

أثر بديع الزمان سعيد النورسي
في إحياء الاتجاه الإسلامي المعاصر
في تركيا



محمد السيد قنديل

توزيع

شركة سوزلر للنشر

١٠ شارع يوسف عباس مدينة التوفيق
مدينة نصر - القاهرة

أثر بديع الزمان سعيد النورسي فد إحياء الاتباه الإسلام المعاصر فد تركيا

محمد السيد قنديل

توزيع
شركة سوزلر للنشر
١٠ شارع يوسف عباس مدينة التوفيق
مدينة نصر - القاهرة

رسالة ماجستير بدرجة الامتياز

رقم الإيداع : ٩٩ / ٢٦٣١
الترقيم الدولي : 977-5323-18-5
الطبعة الأولى : ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

قافر للطباعة

ت : ٣٣٨١٦٣ - المنتزة - الزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

" قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم "

صدق الله العظيم .

سورة البقرة : آية ٣٢

ربنا هذا عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمّك ، نواصيه بيدك ، يقدم هذه
الرسالة إبتغاء مرضاتك وإعلاء كلامك ، فإن كان له ما تمنى فاغفر له
ربنا، وإلا فارحمه رحمة واسعة ، فأنت الغفور الرحيم ، وصلى اللهم على
خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله
وصحابته ومن تبع هداه إلى يوم الدين ...

اللهم آمين .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحابه، ومن دعا بدعوته، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد ..

فقد احتل بديع الزمان (سعيد النورسي) مكانة مرموقة في عهد الدولة العثمانية، وما بعدها، وكان له دور بارز في إحياء الاتجاه الإسلامي، مما كان له الأثر البين فيما بعد من خلال طلابه المخلصين، الذين حملوا الراية من بعده.

ونظراً لأهمية هذا الدور في حياة "سعيد النورسي" ، كانت هذه الدراسة بعنوان (أثر بديع الزمان سعيد النورسي في إحياء الاتجاه الإسلامي المعاصر في تركيا).

لم يتعرض أحد من الباحثين بالدراسة لهذا الموضوع ، ومن ثم كانت المكتبة الإسلامية بحاجة ماسة لهذه الدراسة .

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وثلاثة أبواب وخاتمة، ومن ثم المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

ففي المقدمة بينت أهمية الموضوع ، ودوافع اختياري له، والمنهج المستخدم، والدراسات السابقة عن حياة (سعيد النورسي) وعصره، ومن ثم الشكر والتقدير .

وقد تناولت هذه الدراسة أثر بديع الزمان سعيد النورسي في إحياء الاتجاه الإسلامي المعاصر في تركيا ، وجاءت في مقدمة ، وقد تناول الباب الأول: مقدمات ظهور بديع الزمان سعيد النورسي. أما الباب الثاني، فقد تناولت فيه: حياة بديع الزمان سعيد النورسي. وفي الباب الثالث والأخير تناولت: رسائل بديع الزمان سعيد النورسي بشكل مفصل، وفي الخاتمة بينت نتائج هذه الدراسة، ثم ذكرت المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وكانت المصادر والمراجع : القرآن الكريم ، والسنة النبوية

المظهرة، ومجموعة رسائل النور (ثمانى مجلدات) لبديع الزمان سعيد النورسى. ترجمه الأستاذ إحسان قاسم الصالحى، وبديع الزمان سعيد النورسى (عصره ودعوته) للدكتور فرج محمد الوصيف. والدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها للدكتور عبد العزيز محمد الشاوى..

وقد كانت الدراسات السابقة لهذه الرسالة هي: (الفكر الأدبى والدينى عند الداعية الإسلامى بديع الزمان سعيد النورسى)، للدكتور سمير رجب محمد (رسالة دكتوراة)، والنورسى متكلم العصر الحديث للدكتور محسن عبد الحميد، وبديع الزمان سعيد النورسى (نظرة عامة عن حياته وآثاره) للأستاذ إحسان قاسم الصالحى، وكتاب: بديع الزمان سعيد النورسى (عصره ودعوته) للدكتور فرج محمد الوصيف.. لكن الجديد فى هذه الدراسة الحالية عن تلك الدراسات السابقة هو بيانها أثر بديع الزمان سعيد النورسى فى إحياء الاتجاه الإسلامى المعاصر فى تركيا.

ولد سعيد النورسى فى أواخر الدولة العثمانية وكان مؤسس هذه الدولة هو السلطان الغازى " عثمان خان أرطغرل بن سليمان شاه التركمانى، قائد إحدى قبائل الترك المسلمة التى نزحت عام ٦٨٧هـ من سهول آسيا الوسطى إلى بلاد آسيا الغربية التى كان يحكم غالب بقاعها " علاء الدين كيقباز الثالث " السلجوقى سلطان قوتية (إحدى الإمارات السلجوقية المسلمة، التى كانت ترفع راية الخلافة العباسية)، وكان بين الاثنين علاقة أخوة فى الله، وعلاقة تناصح وتناصر، ضد البيزنطيين والنتار أعداء الإسلام والمسلمين، وقد أقطع (علاء الدين) أراضى واسعة فى الأناضول لـ(أرطغرل) للدفاع عنها ضد الغزو البيزنطى، وكانت نواة للدولة العثمانية. هذه الدولة ظلت قائمة تودى دورها كدولة للخلافة الإسلامية حتى عهد السلطان (عبد الحميد الثانى)، والذى أزيح عن السلطة والمسئولية كخليفة للمسلمين عام ١٣٢٧هـ-١٩٠٩م.

حملت الدولة العثمانية راية الخلافة الإسلامية بعد ضعف الدولة الإسلامية على عهد آل العباس، وبذلك أصبحت الدولة العثمانية هى المسئولة الأولى عن حمل الدعوة الإسلامية إلى أهل الأرض، ومجاهدة الكافرين

والمتمارين على أمة الإسلام.

الدولة العثمانية دولة إسلامية يقوم نظامها السياسي منذ نشأتها وحتى القضاء عليها على عقيدة التوحيد، وتطبيق شريعة الله عز وجل في الأرض، ويقوم نظامها الاقتصادي على التعامل بالذهب والفضة، وعدم التعامل بالربا، وعدم الاتجار بما حرم الله، كما يقوم نظامها التعليمي والإعلامي على قاعدة من العلوم الشرعية^(١).

في ظل الحكم العثماني كان الإسلام هو النظام العالمي للأمم، وكانت الفرائض قائمة، والدعوة إلى الله بالكلمة المقروءة والمسموعة. والعلوم الشرعية تشكل قاعدة التعليم بأكمله سواء العلمي أو الشرعي أو التقني أو العسكري، وكانت اللغة العربية تُدرس جنباً إلى جنب مع اللغة التركية؛ والتي كانت تكتب بالحروف العربية، وكان نظام التعليم يفوق نظام التعليم في أوروبا.

وإن في حياة الأمم رجالاً عاهدوا الله تعالى على البذل والعطاء، وبديع الزمان (سعيد النورسي) هو واحد من هؤلاء، اصطفاه الله تعالى، واختاره، وألقى على عاتقه مسئولية النهوض بتجديد الحياة بالإيمان الرائد في القلوب.

لقد ولد سعيد النورسي -رحمه الله- في عهد السلطان عبدالحميد الثاني، وأواخر عمر الدولة العثمانية الآيلة للسقوط، وعاصر تكالب الأعداء وتزاحمهم للقضاء على هذه الدولة. وبرغم ما بذله السلطان عبد الحميد الثاني من جهود للمحافظة على إمبراطوريته المترامية الأطراف طيلة ثلاث وثلاثين سنة، متوسلاً بدهانه السياسي، إلا أن ذلك كله جاء بعد فوات الأوان، لأن الدوائر الأجنبية استطاعت أن توجد في قلب الإمبراطورية نفسها ركائز استخدمتهم في اللحظة المناسبة لهز شجرة الدولة من الجذور، والإجهاز بعد ذلك على جذعها وأغصانها، فالموامرات كانت قد حبكت بدقة متناهية في دهاليز وأقبية المخابرات الأجنبية، فلم يستطع

(١) جمال عبدالهادي محمد وآخرون: أخطاء يجب أن تصحح (الدولة العثمانية). المتصورة، دار

الوفاء، ج ١، ط ٢، ١٩٩٥، ص ٣.

السلطان منع الانقلاب الذي خططت له القوى الخارجية، واستخدمت زمرة من جمعية الاتحاد والترقي لتنفيذه^(١).

وكان مولد بديع الزمان سعيد النورسي بين الجبال الشم الرواسي، مع أنداء الفجر، في قرية (نورس)، والتي سُمِّي على اسمها، وهي إحدى قرى قضاء (حيزان) التابعة لولاية (بتليس) شرق الأناضول سنة (١٢٩٣هـ - ١٨٧٣م)، وكان أبوه ورعاً يُضرب به المثل، لم يذق حراماً ولم يطعم أولاده من غير الحلال، حتى أنه إذا عاد بمواشيه من المرعى شد أفواها لثلاث تآكل من مزارع الآخرين، وتقول أمه (نورية) إنها ما أرضعت أطفالها إلا وهي على طهر ووضوء.

تلقى بديع الزمان علومه الأولى في كُتَّاب قرية (طاغ) على يد (محمد أفندي) سنة ١٨٨٢م، حيث كان نظام المدارس (الكتّاب) في شرق الأناضول آنذاك قائماً على إعطاء حق فتح المدارس العلمية لكل عالم مجاز، وتكون مصاريف الطلاب على عاتق منشيء المدرسة إن كان قادراً على ذلك، وإلا من زكاة الأهلين ومن تبرعاتهم.

وفي عام ١٨٩٢م ذهب سعيد النورسي إلى (ماردين) حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة، ويجب على أسئلة قاصديه بعد أن طالع كثيراً من كتب علم الكلام، والمنطق، والنحو والتفسير، والحديث والفقه، فحفظ أكثر من ثمانين كتاباً من أمهات الكتب عن ظهر قلب ويختمها كل ثلاثة أشهر، كما أقبل أيضاً على تعلم العلوم الحديثة من جغرافية، وكيمياء وغيرها، ولتعدد قابلياته، ولذكائه الخارق، فقد ذاعت شهرته، وأطلق عليه لقب (بديع الزمان)^(٢) وكانت هذه الكتب واسطة للوصول إلى حقائق القرآن.

عنى بديع الزمان سعيد النورسي بالاطلاع على الصحف اليومية والمطبوعات، في بداية طريقه الدعوى أثناء إقامته في " وان "

(١) إحسان قاسم الصالحى: بديع الزمان سعيد النورسي، نظرة عامة عن حياته وأثاره. استانبول، دار سوزلر للنشر، ط٢، ١٩٩٦، ص١٢.

(٢) مصطفى زكى العاشور: بديع الزمان سعيد النورسي (نظرة عامة عن حياته وأثاره). ألمانيا، دار المحراب، ص٢٣.

وبخاصة ما ينشر بها عن العالم الاسلامى. وذات يوم قرأ خبراً هز كيانه كله هذا عنيفا ، فقد نشرت الصحف مقالته وزير المستعمرات البريطانى "غلاستون" فى مجلس العموم البريطانى ، وهو يخاطب النواب ، وفى يده نسخة من القرآن الكريم قائلاً: (مادام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به)^(١).

فصمم بينه وبين نفسه على أن يكرس كل حياته لإظهار إعجاز القرآن الكريم، وربط المسلمين بكتاب الله عز وجل.

عمل بديع الزمان سعيد النورسي فى بداية حياته بالسياسة منذ أن ناهز العشرين من العمر حيث كتب ضمن كادر جريدة (وولقان) أى البركان، والتي نشرت مقالات سياسية عنيفة ضد الاتحاد والترقى، ونراه يقابل السلطان عبدالحميد الثانى وينصحه فى الله. إلا أنه ابتعد عن الحياة السياسية بعد ذلك تحت شعاره المعروف (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة)، وأخذ على عاتقه مسألة (إنقاذ الإيمان) فى تركيا، وذلك بعد أن أيقن استحالة خدمة الإسلام بالدخول فى معترك السياسة ودهاليزها وصراعاتها، خاصة بعد أن قبض مصطفى كمال أتاتورك على زمام الأمور بيد من حديد، حيث سُدَّت المدارس الدينية، وحولت مئات الجوامع والمساجد إلى مخازن أو اسطبلات، أو مراكز للشباب، فترك سعيد النورسي العمل السياسى وصرف اهتمامه إلى النواحي الإيمانية، والقضايا الاعتقادية، (ومن مظاهر ذلك أنه ترك السيجارة وقراءة الجرائد اعتقاداً منه أنها تحول بينه وبين القضايا الإيمانية)^(٢)، ففوت على أعداء الإسلام كل فرصة أو حجة للوقوف أمام نشاطه.

ومع أن سعيد النورسي قُدم إلى المحاكم تسع عشرة مرة فإن هذه المحاكم لم تكن تجد أى دليل ملموس على أنه يقوم بشىء مخالف للنظام أو

(١) د. فرج محمد الوصيف: بديع الزمان سعيد النورسي، عصره ودعوته. المنصورة، نور الإسلام، ط١، ١٩٩٦، ص ٦١.

(٢) أديب إبراهيم الدباغ وآخرون: بديع الزمان سعيد النورسي فى مؤتمر عالمى حول تجديد الفكر الإسلامى. القاهرة، سوزلر للنشر، ١٩٩٢، ص ٤٨.

الحق، صلاحه، استاذ سعيد النورسي أيقن بثاقب بصره أنه ما لم
يضيء حياء مريم بته ورسوله حتى أعماق قلبه ووجدانه فإن كل شيء
يكون عدا لا يحوى منه.

سبب ما يعانيه المسلمون من عوايس الخطوب، وكالجات
لمريرجع بالأساس الأول إلى غياب الوعي الإيماني العميق، وانطفاء
العقل المسلم القادر على صنع الأفكار المستتيرة، ووقداتهم للحس بمخاطر ما
يحيط بهم وبحياتهم، فما يريد سعيه الجديد مرحلياً هو أن ينشئ جيلاً واعياً
بحقائق الإيمان، قائم الصلب، يملك الدنيا بيده، ولا يدعها تلج إلى قلبه، يرى
الاستشهاد في سبيل حقيقة من حقائق الإيمان شرفاً لا يعدله شرف.

بديع الزمان سعيد النورسي يريد أن يضمن استمرار الإنسان المسلم
على فعل الخير، وبناء الحياة الإنسانية على أسس من
الوعي، والإخلاص، وبمنأى عن النفاق، والرياء، والاحتيال والرعييل الأول
من المسلمين كانوا أساتذة الدنيا بقوة إيمانهم بربهم، وقد لاقوا آلاماً
شديدة، إلا أن الإيمان حين يخاطب القلوب يجعل أصحابها كالجبال
الراسيات. فبالل الحبشي، وعمار بن ياسر، ومصعب بن عمير، وصهيب
الرومي... ضربوا المثل القياسي في صلابة العقيدة وصدق النية.

منذ عام ١٩٢٦م حتى عام ١٩٥٠م خطط الاستعمار لكي ينشئ الجيل
القادم نشأة بعيدة عن الإسلام، وذلك بتجفيف منابع التي تغذي روحه وعقله
بالإسلام ومبادئه.

ومن سلسلة محاربة الإسلام: اعتقال الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي
وهو العالم الورع، المتفرغ للعبادة، ونفيه إلى (بارالا)، وقد شاءت إرادة الله
عز وجل أن تكون هذه البلدة الصغيرة مصدراً لإشعاع إسلامي أضاء فيما
بعد أرجاء تركيا، فقد قضى الأستاذ النورسي في هذه البلدة الطيبة ثمانى
سنوات ونصفاً، ألف فيها معظم رسائل النور.

وفى (بارالا) تعرف الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي على السيد
(سليمان)، الذي ظل تلميذاً وفيماً للأستاذ يساعده ويعاونه ويتلمذ على يديه
طيلة ثمانى سنوات، وكان هو أول حلقة وصل بينه وبين الآخرين، حتى

بدأت حلقة التلاميذ تتسع شيئاً فشيئاً، وبدأ الأستاذ ينشر رسائله الموسومة بـ(رسائل النور) سرّاً، وازدادت هذه الحلقات ونشط أفرادها فى دراسة رسائل النور، واستنساخها ونشرها فى كل أرجاء تركيا، متحمّلين جميع تبعات هذا العمل من اعتقال ومطاردة وتعذيب عن طيب خاطر واطمئنان نفس.

ومن أولى الرسائل التى أعدها هى (رسالة الحشر)، حيث أن مسألة البعث، ووجود يوم القيامة، ويوم الحشر قد أصبح يصور على أنه خرافة لا سند لها من دليل عقلى أو علمى.

يبلغ مجموع رسائل النور مائة وثلاثين رسالة، وقد تم تأليفها فى ثلاث وعشرين سنة تضاف إليها الرسائل التى كتبها لأصدقائه وطلابه جواباً على أسئلتهم، وقد جمعت الأخيرة فى ملاحق وجميع هذه الرسائل باللغة التركية، فضلاً عن بضع رسائل بالعربية.

ولم يحظ (سعيد النورسي) بحظ وافر من حيث القدرة الكتابية، لذلك كان يملئ رسائله على بعض طلابه فى حالات من الجيشان الروحى والوجدانى، وبعد ذلك تتداول النسخة الأصلية بين التلاميذ الذين يقومون بدورهم باستنساخها باليد، ثم ترجع هذه النسخ جميعها إلى الأستاذ سعيد النورسي لكى يقوم بتدقيقها واحدة واحدة، وتصحيح أخطاء الاستنساخ إن وجدت، ولم يكن لديه أية كتب أو مصادر يرجع إليها عند التأليف سوى القرآن الكريم، ومخزونات محفوظاته فى مصادر العلوم الدينية التى كان قد قرأها فى بداية حياته^(١).

وقد وصل عدد الذين يقومون باستنساخ رسائل النور مئات، بل آلاف من طلبة النور رجالاً ونساءً، حتى إن بعضاً منهم قضى سبع سنين لم يغادر منزله وهو منكب على هذه المهمة.

بقيت رسائل النور عشرين سنة تتشر بهذه الطريقة، بعد ذلك طبعت لأول مرة بالرونو عام ١٩٤٩م، ولم يقدر لها أن تطبع فى المطابع

(١) مصطفى زكى العاشور: مرجع سابق، ص ٦٧.

الإعتيادية إلا سنة ١٩٥٦م، وقد انتشرت رسائل النور فى أرجاء تركيا تدريجياً، ومعلنة بأنه لا يمكن إطفاء نور الإسلام أبداً، وقد كانت المحاكم وسيلة فعالة لنشر رسائل النور، ذلك لأن المرافعات الرائعة التى كان يلقاها الأستاذ بديع الزمان - حيث المحاكم كانت علنية - كانت خير وسيلة لشرح غاية رسائل النور، وفضح مرامى وأهداف الذين يقفون ضدها، وكانت هذه المرافعات تستنسخ من قبل طلاب النور وتوزع سرّاً بين الناس، كما كان توقيف طلاب النور وحبسهم خير وسيلة للتعارف فيما بينهم، وقد كانوا من مختلف القرى والنواحي والمدن، فكانت السجون هى أماكن تعارفهم وتآلفهم، وتعلم اللغة العربية، وتجديد العهد بينهم على نذر أنفسهم لخدمة الإسلام، وحقاً إنها كانت مدرسة يوسفية.

كان سعيد النورسي - رحمه الله - ورعاً تقياً، حيث كان يقضى ساعتين كل ليلة دون استثناء فى الدعاء والعبادة حتى الثمانين من عمره، وكان يقضى ساعتين من الليل فى التهجد مع أنه كان معتل الصحة دائماً، وكان قليل الإقبال على الطعام.

انتقل الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي إلى الرفيق الأعلى فى يوم الأربعاء، الخامس والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٩هـ، ٢٣ مارت (أبريل) ١٩٦٠م.

وعلى أكتاف طلابه ومحبيه وعشرات الآلاف من المشيعين، وبينما المطر يتساقط رذاذاً من السماء، وكأن السماء تودعه... دفن سعيد النورسي فى مقبرة (أولو جامع)، ثم بعد ذلك تم نقل رفات هذا العالم الجليل إلى جهة غير معلومة.

ولقد كان للفكر الأوربى أثره الكبير فى قلب أوضاع الدولة العثمانية، وكان من جملة الأسباب التى أدت إلى سقوطها حركات كثيرة منها:
١- القوميون: والقومية ارتبطت بالنصرانية وكان المنصرون يثيرون الفتن فى الدولة العثمانية ويتجسسون لدولهم سياسياً وعسكرياً وبيعون روح

* نسبة إلى سيدنا يوسف عليه السلام ومنهجه الدعوى داخل السجن.

الفرقة بين رعايا الدولة العثمانية^(١).

٢- الماسونيون: لقد تغلغت الماسونية في الدولة العثمانية تغلغلاً واسعاً، حتى وصلت إلى أفراد القصر وعلى رأسهم السلطان مراد الخامس الأخ الأكبر للسلطان عبد الحميد الثاني، ولقد جذب إلى الماسونية عن طريق الملك إدوارد السابع ملك إنجلترا قبل أن يكون ملكاً.

ولقد التفت الماسونية -أيضاً- حول السلطان عبد الحميد -نفسه-، منذ بدء جلوسه على العرش، حتى عزلته عنه، فقد كان أغلب وزرائه، وصدوره العظام، وأمناء القصر الحاكم من الماسونيين.

٣- العلمانيون: وهم الذين لا يعطون للدين أهمية في الحكم، وفي الحياة، وهؤلاء من الممكن أن يكونوا من النصارى، ومن الممكن أن يكونوا من المسلمين -اسما-.

٤- دعاة الإنسانية الأوروبية: وهم يعنون بذلك حب الإنسانية، ومن معاني الكلمة في الأدب التخلص من سطوة الدين، والتعصب والأخذ بالمدنية الأوروبية الجديدة، ولقد انتشر هذا الفكر في الدولة العثمانية عن طريق الترجمات عن اللغات الأوروبية، وعن طريق بعثات الطلاب إلى الخارج.

٥- العقلانيون: وهم يدعون إلى الثقة في قدرة العقل المطلقة، وينكرون الغيب، ويعلنون سيادة الحقائق العلمية.

وما أن أسقط السلطان عبد الحميد الثاني حتى فتحت الأبواب لكل الدعوات المعارضة للوحدة الإسلامية، والخلافة الإسلامية، والإسلام نفسه، خرجت الإرساليات التبشيرية والمحافل الماسونية لتسيطر على الرأي العام عن طريق الصحافة، وتولت الحكم وزارة في الدولة العثمانية فيها ثلاثة وزراء من اليهود، ثم انفتح الطريق إلى فلسطين، وبدأت الحركة الطورانية تشق طريقها في تمزيق وحدة العرب والإسلام^(٢).

(١) د. محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار. دمشق، دار

القلم، ط١، ١٩٩٠، ص ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) أنور الجندي: السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية. بيروت، دار ابن زيدون، ط١، ١٤٠٧هـ، ص

١٦.

وفي عام ١٩٢٣م أقر (بروتوكول لوزان)، بما يلي:

(١) قطع كل صلة بالإسلام.

(٢) إلغاء الخلافة.

(٣) إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد.

(٤) اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس على

الإسلام.

ومع هذا الجو القاتم، بعد سقوط الخلافة الإسلامية قامت حركات إسلامية لتواجه التحديات منها: الحركة النقشبندية، وهي حركة صوفية واعية، قاد عدد غير قليل من أفرادها الثورات المسلحة ضد الحكم العثماني المعادي للإسلام، والحركة النورية، لكنها لم تحمل السلاح واقتصر جهادها على اللسان والتربية، وحزب الرفاه والذي يتزعمه نجم الدين أربكان والذي استطاع أن يصل إلى السلطة مؤخراً.



الباب الأول

مقدمات ظهور بديع الزمان سعيد النورسي

مقدمة.

الفصل الأول : الدولة العثمانية في عهدها الأخير.

الفصل الثاني : المجتمع العثماني بين أواخر عهد الدولة العثمانية وأوائل عهد الجمهورية.

الفصل الثالث : آثار إلغاء الخلافة العثمانية وقيام الجمهورية التركية على تطوير الفكر الإسلامي في تركيا.

مقدمة

للخلافة الإسلامية أهمية كبرى في الإسلام؛ فهي تقوم بحماية المسلمين، وتوحيد كلمتهم بحيث يتمكنون من الدفاع عن عقيدتهم، وأوطانهم عندما تنتهك حرمتهم، أو يعتدى عليها.

وقد مرت الدولة العثمانية بمراحل ثلاث.

أولاً : قوة الدولة العثمانية :

من أهم العوامل التي أدت إلى قوة الدولة العثمانية هي تلك الروح الإسلامية العالية عندهم وكذلك روح الانضباط التي يتحلى بها الجنود فكانت عاملاً من عوامل النصر على الأعداء.

أما إذا تحدثنا عن نظام الحكم في الدولة العثمانية، فكان المتبع في اختيار المرشحين لتولى أمور الدولة يقوم على أساس من الانتقاء، والاختيار، والتدريب والثقافة.. وكان هناك تشديد في اختيار من تؤهله صفاته العقلية والحسية، ومواهبه الأخرى المناسبة لشغل الوظائف.

والسلطان هو الذى يصدر الأوامر المهمة، والتي لها صبغة دينية، وكان يحرص على كسب رضا الله تعالى، واحترام الشرع الإسلامي، وكان العثمانيون يحبون سلاطينهم، فلم يفكروا لمدة سبعة قرون في تحويل السلطنة من آل عثمان إلى غيرهم، وكان النظام والهدوء يسودان الجيش كما كان الصبر على المكاره، والجلد وتحمل الجوع والعطش، وقطع المسافات الطويلة والخفة وسرعة الحركة، دين وزاد جحافل الحق^(١).

لقد كانت للدولة العثمانية مكانتها المؤثرة بين الدول كلها، كما كانت القوة الدولية العظمى التي تؤثر في مجرى الأحداث العالمية، والعالم كله ينظم سياساته حسب اتجاه هذه الدولة الكبرى. هذه الدولة ضمت بين جنبتها أقراناً مختلفي العروق واللغات، وامتد رسمها في التاريخ قرناً مديدة في مدة زمنية لم تحظ بمثلها دولة قبلها.

(١) د. على حسون: الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية. بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٣، ص

-وباختصار- خلاصة المدنية الإسلامية^(١).

لقد اجتاحت الجيوش الإسلامية للدولة العثمانية أقاليم شاسعة في جنوبي شرقى أوروبا ووسطها، وهي أقاليم لم تخضع من قبل قط لحاكم مسلم، وأحرزت باسم الإسلام انتصارات خاطفة وباهرة، وتساقطت في أيديها دول أوروبية عديدة.

ولقد امتدت فتوحات الدولة العثمانية إلى ثلاث قارات هي: آسيا وأوروبا وأفريقيا، وغدت بذلك دولة آسيوية أوربية أفريقية. وكانت جيوشها أكثر الجيوش الأوربية تعداداً، وأحسنها تدريباً، وأعظمها تسليحاً، وأكملها تنظيمياً. عبرت جيوشها إلى أوروبا عام ١٣٥٦م على عهد السلطان أورخان ثانی السلاطين العثمانيين باسم الإسلام ورفعاً لرايته. ومضت في زحفها تكتسح أقاليم نصرانية أوربية، مروراً ببغاريا واليونان، ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، والنمسا، وأمام أسوار (فيينا) عاصمة النمسا توقف السيل العثماني الإسلامي الجارف.

دخل الأتراك العثمانيون آسيا الصغرى في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الميلادي كقبيلة من القبائل التركية التي كانت على فترات متباعدة حيناً، ومتقاربة حيناً آخر، تنزح من مناطق الألبس في وسط آسيا، متجهة غرباً نحو آسيا الصغرى أو الأناضول.

ومن الجدير بالذكر أن العثمانيين اعتنقوا الإسلام طوعاً منذ وقت مبكر إلى حكم عثمان مؤسس الدولة العثمانية، وغدا الإسلام عقيدة دينية رسمية لهم، بعد أن كانت عقيدتهم الدينية غير واضحة، ويحتمل أنهم كانوا في حالة تحول من الوثنية، أو من عقائد أخرى إلى الإسلام^(٢).

وفي عهد العثمانيين الأوائل ارتفع الخط البياني للإسلام وجنده، لكنه عاد للهبوط بعد انقضاء عهد السلاطين العشرة الأوائل، الذين أرسوا كيان الدولة، وعززوا قوتها، ومدوا فتوحاتها وكان دائماً الالتزام بمنهج الله تعالى

(١) د. محمد حرب: مرجع سابق، ص ١٣.

(٢) د. عبدالعزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ج١، ١٩٩٢، ص ٣٦.

هو الأساس^(١).

ولقد كانت الدولة العثمانية تمتاز بمجموعة جيدة من الخصائص العامة، منها العالمية وخصائص أخرى دينية، وعسكرية.. وكانت قوة الدفع الديني تظهر عندما يستنفر السلطان جنوده للحرب، كما كان تصاعد الخط البياني مرتبطاً بعدم الانحراف عن منهج الله تعالى.

ولقد اعتقد الناس في الخلافة العثمانية، وشعروا بأن لها واجباً مقدساً في أعناقهم، فقوى ذلك من نفوذ العثمانيين محلياً ودولياً^(٢).

وذلك مما أعطى الخلافة قوة بارزة جعلتها تبسط سلطانها على كل المناطق التي تقع تحت سلطانها.

ثانياً : دولة في الطريق للإبهار :

بقيت الدولة العثمانية دولة قوية مهابة الجانب تتحدى الدول الاستعمارية الطامعة، حتى قدر لها في نهاية القرن التاسع عشر أن تترزأ بسلاطين مستهترين ضعاف، همهم الملذات والترف والمجون، فانصرفوا عن متابعة شئون الحكم، وأصبحوا أسرى قصورهم، ووقعوا تحت تأثير محظياتهم من الحریم، والمستشارين الفاسدين المرتشين أمثال : السر عسكر حسين عوني باشا الذي تسلم نقوداً من الإنجليز، وكان صدرأ أعظم، وبالتالي فإن مخابراته لا بد أن تبلغ القصر على أنه يؤدي عمله على أكمل وجه^(٣). مما أدى إلى ضعف الدولة، وطمع الطامعين من الدول الاستعمارية بها، والتي أخذت تتدخل في شئون الدولة الداخلية عن طريق قناصلها واستطاعت تلك الدول الحصول على امتيازات للتدخل في الأوضاع الداخلية للدولة العثمانية ففرضت العديد من الدول الاستعمارية وصايتها على

(١) د. علي حسون، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٢) د. علي محمد حسن: التاريخ الأدبي للعصرين العثماني والحديث. القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢، ص ٦.

(٣) د. محمد حرب: مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني. دمشق، دار القلم، ط ٣، ١٩٩١، ص ١٥٨-١٥٩.

الطوائف، والأقليات، واعتبرت نفسها حامية حمى تلك الأقليات^(١). وتولى السلطان عبد العزيز وهو أحد سلاطين الدولة العثمانية السلطة عام (١٢٧٨هـ / ١٨٦١م / ١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م)، فحاول مدحت باشا (١٢٣٧- ١٣٠١هـ / ١٨٢١-١٨٨٣م) إقناعه بوضع دستور للدولة مشتق من النظم الغربية، إلا أن السلطان تحت تأثير التيار المعارض للتغريب رفض ذلك، بل وأصدر أوامره بعزل مدحت باشا، لارتكابه أخطاءً قاتلة تمس الدولة وتقوض دعائمها في الداخل والخارج. ففي الداخل عين ولاية من الأقلية في ولايات الأغلبية المسلمة، وقرر قبول طلبه من الأروام في المدرسة الحربية التي هي عماد الجيش^(٢).

وفي عهد السلطان عبد العزيز بدأت بوادر الانحلال تدب في جسد الدولة العثمانية، بالرغم من الإصلاحات العظيمة التي قام بها فؤاد باشا، وعلى باشا، الصدران الأعظمان، والوزيران المشهوران في التاريخ العثماني، والذان بموتهما تحرر السلطان من الوصاية عليه، واندفع وراء ملذاته بهوس جنوني^(٣).

وقد يوبع السلطان مراد الخامس عام (١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م)، وحكم الأطباء عليه بأنه مصاب بمرض عصبي وراثي، قد تفاقم بسبب إفراطه في تناول المنبهات، وقد خلع من السلطنة باستصدار فتوى من شيخ الإسلام باضطرابه العقلي، وتولى السلطان عبد الحميد الثاني -رحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جنازه- السلطة في ١٢٩٣هـ - ٣١ أغسطس ١٨٧٦م، وكان مسلماً متفهماً لروح العصر. إلا أن الدول الأوروبية اتخذت مبدأ (الهدم من الداخل) لإنهاء وجود الدولة العثمانية. واستطاعت هذه الدول اقتطاع مناطق من البلقان، مستخدمة وسيلة العداء بين العناصر المسلحة في

(١) رفيق شاكرا المنتشه: السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين. الرياض، مطابع الشرق

الأوسط، ط٣، ١٩٨٥، ص ص ٤٣-٤٤.

(٢) د. مصطفى حلمي: الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية. الاسكندرية، دار الدعوة، ط٢

١٩٨٩، ص ١٠٤.

(٣) رفيق شاكرا المنتشه، مرجع سابق، ص ٤٤.

الدولة العثمانية من ناحية، واستنهاض الروح القومية بين المسلمين داخل هذه الدولة من ناحية أخرى.

ومن عوامل الهدم الداخلي أيضاً، النشاط الإنجليزي في نشر النفوذ البريطاني في الدولة العثمانية عن طريق المدارس الأجنبية، حيث أكثرت إنجلترا من هذه المدارس، حتى إنها افتتحت لها مدارس في القرى النائية، ولاسيما بين الدروز^(١).

كما أخذت روسيا في إثارة الحروب المتعددة ضد الدولة العثمانية، والتهايم أجزاء من أراضيها، قطعة بعد أخرى. أما الأماكن التي لم تستطع الاستيلاء عليها فقد عملت على قيام دول نصرانية مستقلة بها، مثل رومانيا، وبلغاريا، والصرب.. كما شنت روسيا حروباً متواصلة ضد الدولة العثمانية؛ لاستنزافها وإجهادها - خاصة - وهي في مرحلة ضعفها حتى تسقط. كما أخذت السياسة الروسية تجاه الدولة العثمانية شكل الحرب الباردة، عن طريق تأليب مواطني الدولة العثمانية من النصاري، وإثارتهم للتمرد ضد الدولة، مثلما حدث في جزيرة كريت، مما أدى إلى تحمل الدولة العثمانية تكاليف باهظة، واستنزاف قواها^(٢).

وظلت الخلافة العثمانية تتدهور، وتستقطع أجزاءها حتى آلت الولاية إلى السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م). وفي عهده فرضت عليه أوروبا المتحالفة معاهدة سان ستيفانو (٣ آذار/ مارس ١٨٧٨م)، والتي بموجبها تم اقتطاع أغلب الأقاليم الأوربية من جسد الإمبراطورية المريض، ثم بدأت في اقتطاع أجزاء من الأقاليم التي يدين أغلبية سكانها بالإسلام، ودخلت الإمبراطورية مرحلة الاحتضار، وكان من الطبيعي أن يدرك السلطان عبد الحميد الثاني أن ما تبقى من الإمبراطورية العثمانية عاجز عن صد الغزو الأوروبي^(٣). وكانت النتيجة الحتمية، انهيار الدولة العثمانية.

(١) د. محمد حرب: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، ص ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٣) سالم على البهنساوي: الشريعة المفترى عليها. المنصورة، دار الوفاء، ط ١، ١٩٩٥، ص ٣٠.

ثالثاً: انهيار الدولة العثمانية:

لقرب ديار الخلافة العثمانية بالغرب، وشدة الاحتكاك به، ووجود الأقليات صاحبة الامتيازات، وتنوع الأجهزة الثقافية والإعلامية المؤثرة التي تبنتها الماسونية، ودوائر التبشير الكنسية، والاستشراق الاستعماري.. كل ذلك مهد لإسقاط البقايا الهيكلية لدولة الرجل المريض كما سماه الغرب الصليبي، عبر قنوات الأجهزة الثقافية، والقوات المسلحة، والأنفاق المظلمة^(١).

لما تجمعت عوامل الضعف والانهيار على الدولة العثمانية خرت متهاوية تحت ضربات أعداء الإسلام من دول غربية، وجماعات ماسونية وصهيونية، حتى لفظت أنفاسها الأخيرة على يد أبنائها غير الشرعيين من أتباع الاتحاد والترقي والدونمة والصهاينة^(٢).

كانت جمعية الاتحاد والترقي إحدى الركائز التي اعتمد عليها الغرب في الداخل، ووصل عن طريقها إلى مآربه. ولقد نشأت هذه الجمعية في أول أيامها في (سالونيك) عام ١٨٨٨م وكان شعارها (الاتحاد، والمساواة، والأخوة)، وكان جمهرة أعضائها من الموظفين والضباط كما كان عدد اليهود، والماسونيين بها كبيراً، وقد نجحت الجمعية بوسائلها المختلفة في إلهاب عواطف الجماهير، حتى أمكنها ضم الجيش الثالث كله إلى صفوفها في ليلة (٢٣ يوليو ١٩٠٨م)^(٣).

وكان اليهود بما وصلوا إليه في الدولة على رأس الذين سعوا للتخلص من السلطان عبد الحميد الثاني؛ لأنه كان سداً منيعاً بينهم وبين ما أرادوا من تحقيق أحلامهم بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، ومن الأسماء اليهودية التي كانت لها الكلمة المسموعة في الجمعية، طلعت باشا الذي كان يهودياً، ثم ادعى الإسلام.

(١) د. محسن عبد الحميد: النورسي متكلم العصر الحديث . القاهرة ، سوزلر ، ١٩٩٤، ص ٨.

(٢) د. سمير رجب محمد: الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان سعيد النورسي.

القاهرة، شركة سوزلر للنشر، ط٢، ١٩٩٥، ص ٨.

(٣) د. فرج محمد الوصيف: مرجع سابق، ص ٦٤.

الفصل الأول

الدولة العثمانية في عهدها الأخير

١- ضعف الدولة.

٢- الصراع بين الفكر الغربي الوافد والفكر الإسلامي.

ضعف الدولة

إن تاريخ إنشاء الكيان اليهودي في فلسطين لم يكن عام ١٩٤٨م، بل كان عام ١٩٠٩م عندما أسقط السلطان عبدالحميد الثاني عن العرش. لقد حاول أعداء الإسلام إضعاف الخلافة الإسلامية وتفتيتها بتحويلها إلى دويلات متفرقة ليسهل القضاء عليها، ومن أبرز هذه المحاولات ما يلي:

أولاً: ضرب المسلمين بعضهم ببعض عن طريق إحياء النزعات القومية، والعنصرية التي مزقت الخلافة الإسلامية، وحولت الأخوة إلى عداوة. والغريب أن يتبنى الدعوة القومية في مصر رجل ليس من العرب وهو محمد علي، بل نجحت أوروبا، خاصة بريطانيا في ضرب الوحدة الإسلامية وإحداث الفتنة بين العرب والأتراك، باستمالة شريف مكة الحسين بن علي، الذي أعلن الثورة ضد السلطان العثماني، معلناً بداية النهاية للدولة العثمانية.

نخلص من ذلك أن قيام الحركات المتمردة على الخلافة الإسلامية والمفارقة لجماعة المسلمين، من أهم ما أضعف الدولة العثمانية، وأطمع فيها النصارى الذين أطلقوا عليها اسم (رجل أوروبا المريض) وهم الذين دسوا لها السم في العسل حتى مرضت، وبدلاً من إسعاف المريض يجهزون عليه ويقتلونه بل، ويقسمون تركته.

ثانياً: التآمر اليهودى والدس في الخفاء: قبل استعراض هذا الأمر لا بد أن ننوه عن وضع اليهود في الدولة العثمانية! لقد عمل اليهود في الدولة العثمانية في كل فروع التجارة والصناعة، ووصل بعضهم إلى مراكز هامة في الدولة.. وتمتع اليهود - كسائر الأقليات داخل الإمبراطورية بقدر كبير من الاستقلال الذاتى والإدارى والطائفي، فكان الحاخام الأكبر (باشى) هو ممثل اليهود في كل أمر أمام الحكومة، كما سمح لأفراد الطائفة اليهودية بحرية اختيار رؤسائهم الروحيين، وحل الخلافات فيما بينهم، وكانت المحكمة اليهودية تحكم بينهم حسب الشريعة اليهودية، كما لم يحدث أدنى تدخل في الأموال التي تجمع لمؤسساتهم الخيرية أو التعليمية، وتمتعت مدارسهم

الطائفية باستقلال ثقافي^(١).

كما لاقى اليهود من مختلف السلاطين العثمانيين المعاملة الحسنة، وتعتبر الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة التي لم يحصل فيها اضطهاد لليهود. فقد حصلوا من السلطان سليمان على إذن بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، ولكن في عهد السلطان عبدالحميد الثاني رفض إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ومن هنا كان منطلق اليهود في تفويض دعائم الخلافة، وكانوا قد أعدوا العدة لذلك من عشرات السنين حيث أعلن جماعة منهم إسلامهم، وهم يهود الدونمة الذين أسلموا خصيصاً من أجل ضرب الخلافة من الداخل، ومن بين هؤلاء تم تأليف حزب تركيا الفتاة، وجماعة الاتحاد والترقي.

والدونمة تعني ذو الملتين، فالدونمة يهودى في السر والحقيقة، والاعتقاد، ومسلم في الظاهر وأمام الناس. يخدعون الناس في إسلامهم، لدرجة أن لبس كثير منهم الجبة والعمامة. ولهم أيضاً نفس هذا الاختراق بين النصارى.

ومؤسس الدونمة اليهودي الأسباني (شيناى حبي) وهو مدرس.. أعلن عام ١٦٤٧م أنه المسيح المنتظر. وفكر الدونمة مأخوذ من مدرسة فكرية يهودية اسمها (الكتاب لا اليهودية)، وخلاصة آراء هذه المدرسة هو ادعاء الثورية، والتقدمية، والتحررية، من خلال ما تنتهه من جمعيات سرية مثل: (١) جماعة شهود يهوه: وهذه المملكة اليهودية سوف يرأسها المسيح آخر الزمان.. مهمتها إزالة كل الممالك من الآن.

(٢) جماعة أبناء العهد: ومهمتها، السيطرة على زعماء العالم مباشرة أو عن طريق زوجاتهم، أو عشيقاتهم.. ولها في مصر محفلان.. محفل دافيد، ومحفل ميمونت، ومهمتهما شراء الأقلام والضمائر، وتضليل الرأى العام^(٢).

(١) رفيق شاكور المنتهه: مرجع سابق، ص ٢٩، نقلاً عن: د. خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق

العربي وصداه (١٩٠٨-١٩١٨م). بيروت، م. ت. ف، مركز الأبحاث، ١٩٧٣، ص ٢٩.

(٢) فهمي الشناوي: مصرع الخلافة العثمانية. القاهرة، المختار الإسلامي، ١٩٩٥، ص ٦٩.

كانت جمعية الاتحاد والترقي صاحبة السلطة الحقيقية في الدولة العثمانية في الفترة ما بين عامي ١٩٠٨ م ، ١٩١٨ م وهي الفترة التي نشطت فيها الجمعيات والأحزاب السياسية، داعية إلى الإصلاح، ولا مركزية الإدارة، وخلال هذه الفترة اتسم حكم جمعية الاتحاد والترقي بالعنف والقضاء على الحريات، ونفي زعماء المعارضة، وأدت سياستهم الداخلية والخارجية آخر الأمر إلى تحطيم الدولة العثمانية، وهزيمتها عام ١٩١٨ م مع حليفاتها ألمانيا، وتقسيم أقاليمها بين الغزاة المنتصرين^(١).

لقد كان إسقاط السلطان عبدالحميد الثاني من مهمة الاتحاديين، أما إسقاط الخلافة العثمانية فهذه مهمة الكماليين، ولم يكن الكماليون والاتحاديون إلا فرع دوحة واحدة، تقاسمت العمل على مرحلتين للإجهاز على الدولة العثمانية والخلافة، وفتح الطريق أمام الصهيونية العالمية لتصل إلى فلسطين. ألغيت الخلافة العثمانية بطريقة هزلية كما يحدث الآن في كثير من الدول النامية، فقد قدم أتاتورك إلى الجمعية الوطنية - وكان هو شخصياً رئيساً لها- مشروع قانون بإلغاء الخلافة ! وأقرت الجمعية الوطنية مشروع القانون دون مناقشة أو اعتراض وخرج أتاتورك من القاعة وأرسل في مساء اليوم نفسه أمراً إلى حاكم اسطنبول بإلقاء القبض على الخليفة، ووضعه خارج الحدود قبل الفجر! باتجاه سويسرا، بعد أن ترك يأخذ حقائب ثيابه، وبعض الدراهم لتدبير أمورهِ.. وبعد يومين حشد أتاتورك جميع الأمراء العثمانيين وأميراتهم، ونفاهم خارج البلاد^(٢).

هنا يتضح التآمر على الإسلام ذاته في أعماق التآمر على الدولة العثمانية.. فالمستهدف هو دولة الإسلام - الخلافة - والإسلام ذاته .. أي الإسلام كله: قرآنه، ورسوله، وفلسفته.. يقصد به المسلمون وأبناؤهم، وأحفادهم.. يقصد به غدنا ومستقبلنا وشرفنا، وعزنا وكرامتنا.. وهذه المحاولات تتردد الآن في القرن العشرين، ليبرهنوا للناس زوراً وبهتاناً

(١) محمد الخير عبد القادر: نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية. القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٨٥، ص ص ٨٤-٨٥.

(٢) مصطفى الزين: ذنب الأناضول. لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ١٩٩١، ص ٢٣٢.

أن الدولة المدنية هي الأكثر استقراراً، والأطول عمراً من الدولة الإسلامية. والآن نحاول أن نعدد الأسباب والعوامل الداخلية، والخارجية التي أدت إلى ضعف، ومن ثم سقوط الدولة العثمانية:

أولاً : الأسباب الداخلية وأهمها ما يلي:

١- تعدد العناصر والقوميات، وتنوع الممل والنحل، وظهور الحركات القومية، والطائفية وقد أدى ذلك رغم سياسة التسامح العثمانية - كانت سياسة العثمانيين بعد فتح القسطنطينية، هي عدم التدخل في شؤون أهالي الديانات الأخرى- إلى ظهور حركات انفصالية، ودعوات استقلالية داخل الدولة، خاصة في منطقة البلقان، إضافة إلى تدخلات أجنبية بحجة حماية قومية معينة، أو فرقة دينية بعينها، لكن هذا العامل هو عامل قوة لا ضعف؛ فتتعدد الممل وتعدد القوميات جعل الدولة العثمانية دولة عالمية تتنوع فيها الأديان والأعراق، وكلها تصب في خدمة الدولة وقوتها. لكن السبب المباشر في ضعف الدولة هو الامتيازات الأجنبية التي منحتها الدولة العثمانية لدول أوروبية عدة، وكانت سبباً مباشراً في تدخل تلك القوى في الشؤون العثمانية الداخلية بحجة حماية الأقليات، والقوميات المتعددة^(١).

لقد كان من أكبر الأخطاء التي وقع فيها العثمانيون وقضى عليهم، إعطاء الامتيازات الأجنبية وإعطاء الحكم الذاتي للأقليات، وإسناد مناصب وزارية إلى أقليات دينية أو دونية. ولقد ساعدت الامتيازات على إشعال بؤر الفتنة، وأربكت الدولة، وشغلته عهوداً طويلة، واتخذت ذريعة لتدخل الدول الصليبية، والدول الشيوعية للتدخل في سياسات الدولة العثمانية بحجة حماية رعاياهم، وبالتالي الاحتلال والعدوان.

٢- التخلف العلمي والتقني للعثمانيين : خاصة في مواكبة التقدم العلمي والتقني الهائل في أوروبا- وهذا التخلف لا يزال قائماً حتى اليوم على الرغم من مرور أكثر من نصف قرن على الحركة التي قادها مصطفى كمال أتاتورك - وعلى سبيل المثال:

(١) د. عبداللطيف بن محمد الحميد: سقوط الدولة العثمانية - دراسة تاريخية في العوامل والأسباب. مقال

في مجلة الدارة. الرياض، دار الملك عبدالعزيز، العدد ٣، رجب ١٣١٧هـ، ص ١٩١.

تأخر دخول الطباعة للممالك العثمانية لفترة تقارب الثلاثة قرون من الزمان، فقد طبع أول كتاب في الغرب بالحروف اللاتينية عام ١٤٤٠م، في حين لم تأذن الدولة العثمانية رسمياً بالطباعة إلا في سنة ١٧٢٦م. هذا فضلاً عن أنهم قد شغلوا كثيراً بالحروب في بداية فتوحاتهم ولم ينصرفوا إلى العلم بسبب الانشغال بالفتوحات، والحروب المستمرة في كل الجبهات، ولم يسمح لهم الأوروبيون بالالتفات إلى العلم، ولا إلى التخطيط، لذا استمروا في طباعة البداوة فأبدوا انتصارات وقدموا خدمات للفتوح، ولكنهم وقفوا عاجزين أمام متطلبات الحضارة وبقيت دولتهم على هذه الصورة حتى نهايتها^(١).

٣- وجود المذاهب المتعددة ومنها: القوميون، والماسونيون والعقلانيون. وقد أشرنا إليها في مقدمة هذه الدراسة.

٤- الفرقة الانكشارية: وهي ذلك الجيش الذي أنشأه السلطان أورخان، باختيار أفراده من أبناء البلاد الأوروبية، وتلقينهم مبادئ الدين الإسلامي، ووضعهم في ثكنات عسكرية خاصة وتدريبهم على فنون الحرب والقتال، فقد أبلى هذا الجيش بلاءً حسناً في كافة المعارك التي خاضها العثمانيون إبان قوتهم، وكانوا يندفعون كالأسود في ساحات القتال. ومع مرور الزمن بدأ الوهن يتسرب إلى صفوفهم عندما عاشوا بين المدنيين، فما اختلط الجند بأهل المدن إلا وقد فسدت طبيعتهم، وتغيرت أخلاقهم.. فصاروا يتدخلون في شؤون الدولة، وتعلقت أفئدتهم بشهوة السلطة، وانغمسوا في الم لذات، والمحرمات.. وهكذا فإن الجيوش لا تهزم إلا حينما تترك عقيدتها ولا تلتزم بمبادئها، خاصة إذا كانت هذه العقيدة هي عقيدة الإسلام.

٥- الجمعيات والأحزاب السرية: لقد لعبت الجمعيات السرية الماسونية دوراً كبيراً في سقوط الدولة العثمانية والتي سيطرت في سالونيك على جمعية الاتحاد والترقي، وساقته إلى أهدافها بعد إسقاط السلطان عبد الحميد الثاني، من حيث تسليم فلسطين لليهود، والسماح لهم بالإقامة فيها.. ثم كانت الخطوة التالية في سبيل إسقاط الخلافة، عندما سيطر (أتاتورك) على تركيا

(١) د. علي حسون: مرجع سابق، ص ٨٠-٨١.

وتابع بصورة أشد قوة، و عنفاً مخططات الاتحاديين والماسونية العالمية، وكانت خطوته النهائية إسقاط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م^(١).

التجأ يهود الدونمة للبلاد العثمانية بعد الاضطهاد الذي تعرضوا له مع المسلمين في الأندلس، وكانوا عوناً للصليبية على المسلمين، وأداة تدمير في الأخلاق والدين، وكانوا وراء حركات التمرد والثورات المسلحة ضد الدولة حتى انتهى بهم المطاف إلى قلب نظام الحكم في عهد السلطان عبدالحميد الثاني وفرض أحكام تناقض أحكام الإسلام والابتعاد بالدولة شيئاً فشيئاً عن جادة الإسلام الصحيح. أما حزب الإتحاد والترقي، الذي شمل بعض اليهود في عضويته فقد ورط البلاد والعباد في حروب ونزاعات، وأرغم قادة الدولة على الانخراط في الحرب العالمية الأولى، دون أن يكون للبلاد أدنى استعداد، ولم يكن لها في دخول الحرب مصلحة تذكر، فانهزمت الدولة وانهارت وانتهت من التاريخ. وكانت الماسونية بالطبع وراء تلك الجمعيات السرية.

٦- التفكك والتفكك: لقد بدأ التفكك والتفكك يحل بالدولة العثمانية منذ بداية القرن التاسع عشر وبدأت التنازلات أمام إنجلترا، وفرنسا، وروسيا القيصرية، إلى أن أصبحت الناحية المالية، والإدارية تحت السيطرة الأجنبية كاملة ف منذ عام ١٨٧٨م، وبسبب الديون الطائلة وضعت مالية الدولة العثمانية تحت رقابة (المجلس الأوربي للديون العثمانية)، وقد تكون المجلس من ممثلين عن الدول الدائنة: إنجلترا- فرنسا- ألمانيا- النمسا- إيطاليا، بعد أن وُضع البنك العثماني تحت السيطرة الكاملة للندن وباريس، وقد احتكر هذا المجلس بمفرده سك العملة، كما دخلت التجارة الخارجية والسكك الحديدية، وحق استخراج المعادن تحت السيطرة الأجنبية. وكان الجيش أيضاً تحت الرقابة الأوربية المشددة، كما كانت الحكومات تُشكل وتُحل بأمر من السفراء الغربيين^(٢).

(١) أنور الجندي: الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي. القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٩٥، ص ٢٧٥.

(٢) درية عوني: عرب وأكراد خصام أم وئام. القاهرة، دار الهلال، ١٩٩٣، ص ٤٩.

٧- انتشار عادة قتل السلاطين لأبنائهم وإخوانهم، وهذا منافع للإنسانية، وإن وجدت لها المبررات الواهية، فقد أودت بأرواح الأطفال، وأرواح الأبرياء بلا ذنب سوى المنازعة من أجل الحكم والملك، فحرمت الأمة من رجال قد يكون الكثير منهم أفضالاً وعباقرة، وحل محلهم رجال احتلوا مناصب رفيعة في الدولة، وفي قيادة الجيوش من بلاد أوروبا العثمانية، تظاهر بعضهم بالإسلام وأبطن غير ذلك، وعاد بالدمار والهزيمة إلى البلاد^(١).

ثانياً: العوامل والأسباب الخارجية:

١- الغزو الخارجي:

أ- الغزو الفكري: تمثل في تسرب المؤثرات الأوروبية، خاصة الفرنسية في المجتمع العثماني الإسلامي عن طريق المدارس الأجنبية، والبعثات التبشيرية، والتي سعت جاهدة إلى تنصير المسلمين، وتشكيكهم في الدين الإسلامي الحنيف، كما لعبت دوراً بارزاً في محاولة طمس الهوية الإسلامية إضافة إلى إثارة الفتن، وتشجيع الأقليات غير المسلمة على التخلص من الحكم العثماني.

ب- الغزو الاستعماري: ويتمثل في السياسات الاستعمارية التي كانت تنتهجها الدول الأوروبية، خاصة روسيا، وبريطانيا، فقد رافق تلك السياسات الاستعمارية جيوش عسكرية روسية، وبريطانية سلخت أجزاء عديدة من الدولة العثمانية، مثل شبه جزيرة القرم، وقبرص، ومصر، و عدن.

٢- عداة اليهود وظهور الحركة الصهيونية:

رغم توفر الأمن والأمان، والملجأ لليهود الهاربين من جحيم محاكم التفتيش النصرانية في الأندلس، إلا أنهم ردوا الجميل بحبك المؤامرات، وزرع الدسائس، لتفتت الدولة العثمانية وإسقاطها، وزادت حدة العداة اليهودي للدولة العثمانية بعد رفض السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٨م) السماح لليهود بإقامة وطن لهم في أرض فلسطين الإسلامية. واليوم لك الله يا أرض فلسطين، فقد أعلن مجلس النواب

(١) د. علي حسون: مرجع سابق، ص ٨٩.

الأمريكي اعتبار القدس عاصمة موحدة لإسرائيل، ونقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، واعتماد مبلغ ٧٥ مليون دولار لبناء السفارة الأمريكية الجديدة في القدس^(١).

واليوم ونحن في نهاية القرن العشرين نسمع عن النظام العالمي الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، والهدف الحقيقي والنهائي لهذا النظام، هو الدولة العالمية الخاضعة للكنيسة ومن هنا كان الإصطدام بالشيوعية في السابق، ثم يكون الإصطدام بالإسلام، وإن كل ما يقال عن عصبة الأمم، ثم هيئة الأمم، ثم حكومة عالمية، ثم نظام عالمي، ما هو إلا تنصير لنظام الخلافة الإسلامية، وتوسيع لمدى النفوذ، بحيث يخضع له جميع البشر^(٢).

هذه الأحلام كلها لم تبرز وتأخذ مكانها على ساحة الأحداث إلا بعد سقوط الخلافة العثمانية لذا أصبح لزاماً علينا أمة الإسلام والدين القويم، بكل أجناسها أن نقيم الخلافة من جديد بالصورة والوضع المحقق لمصلحة الدنيا والدين، ومصلحة أكثر من مليار مسلم، وبتأدية الدور المكلف به المسلمون، وهو أن يكونوا شهداء على الناس.

نظام الخلافة الإسلامية - ولو في شكله الضعيف - كان كفيلاً بصد الهجمات الغربية الصليبية وكان يكفي أن يعلن الخليفة الجهاد حتى يهب العالم الإسلامي على قلب رجل واحد بسبب وحدة العقيدة والهدف، والتماسك الوجداني، والخضوع لأمر رجل واحد، وهو الخليفة.

لذلك كان من نتائج هدم الخلافة العثمانية الآتي:

١- سقط بيت المقدس في يد الحركة الصليبية الحاكمة على الإسلام وأهله.

٢- نشأت إسرائيل على أنقاض الخلافة الإسلامية.

٣- اندمجت الصهيونية في الصليبية والعكس صحيح.

(١) وكالات الأنباء: غضب عربي بعد القرار الأمريكي حول القدس. تعليق في جريدة أخبار اليوم (المصرية)، العدد ٢٧٤٥، ص ١، ص ٦.

(٢) فهمي الشناوي: مرجع سابق، ص ١٦١.

٤- بدأت الانقلابات العسكرية أولاً في تركيا، ثم في باقي العالم الإسلامي.

٥- تقلص نفوذ المسلمين في العالم.

٦- تحولت تركيا عاصمة الخلافة من دولة إسلامية تنزعم العالم الإسلامي إلى دولة لا إسلامية لا قيمة لها. في الوقت نفسه، شعر المسلمون باليتم الروحي، والسياسي بعد انتهاء الخلافة وأصبح الدم المسلم هو أرخص الدماء في العالم، يراق بلا حساب من أجل أتفه الأسباب، لأن المسلمين أصبحوا أقلية في مواجهة التكتلات العالمية.

٧- مقاعد أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنه ورثها بعض الحكام الذين قادوا بلادهم إلى التبعية لأعداء دينهم.

٨- منابذة كثير من الحكام للإسلاميين، وكان الإسلام لم يعد له وطن.

لقد نجح الاستعمار بنوعيه الشرقي والغربي في تفتيت الجسد الواحد للدولة العثمانية، وتحويله إلى دول، ودويلات، لكل منها حاكم، وعلم ونشيد، وحدود جغرافية مصطنعة، وغزاها بأفكار القومية، والوطنية، فأصبح ولاء الأمة إما لأشخاص الزعماء والقادة، ورجال الحكم والسياسة، أو للأفكار والمذاهب والفلسفات الواردة من هنا وهناك. فهل آن الأوان أن نعيد الخلافة الإسلامية من جديد؟ ونحتكم إلى شرع الله تعالى، وإلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم؟ عملاً بالحديث النبوي الشريف، عن النعمان بن بشير قال: كنا قعوداً في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان بشير رجلاً يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخثمي فقال: يا بشير بن سعد: اتحفظ حديث رسول صلى الله عليه وسلم في الأمراء، فقال حذيفة أنا احفظ خطبته فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء

أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت^(١). صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى خلافة المهدي عليه السلام.

(١) رواه الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي. الفتح الرباني. ترتيب أحمد عبدالرحمن البنا. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج٢٣، بلا تاريخ، ص ١٠.
* عاضاً: أي ملكاً عضوضاً: والعرض أى الشد بالأسنان على الشيء، وملك عضوض شديد، وفيه عسف وعنف، وفي الحديث، ثم يكون ملك عضوض: أى يصيب الرعية فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضاً.

** ملكاً جبرياً: أى فيه تجبر وظلم، يحمل الناس عليه حملاً، ويدل على انتشار البغي والظلم والفساد وهذا ما نحن فيه الآن، بعدها تكون الخلافة الراشدة إن شاء الله تعالى.

الصراع بين الفكر الغربي الوافد والفكر الإسلامي

لقد تعرضت تركيا لأبشع حركة تخريب وتدمير للقيم الإسلامية؛ بنقلها من دولة ذات طابع إسلامي، إلى دولة غريبة الطابع.. فقد قام الاتحاديون بتوجيه الدولة وجهة قومية لا دينية.

كان للنظريات والأفكار الغربية الوافدة على الدولة العثمانية في أخريات أيامها آثارها السيئة على حياة المجتمع التركي الذي ظل متمسكاً طوال قرون ممتدة في التاريخ بقيمه الحضارية الإسلامية. ولم يكن انتشار العادات الغربية في الدولة العثمانية وظهورها دفعة واحدة، بل كان ذلك على مراحل.. بدأت المرحلة الأولى منها بتغيير الأفكار والآراء عن الغربيين ونمط حياتهم وهذا مخالف لعادات المجتمع التركي، وكانت المرحلة الثانية، الدعوة إلى اقتباس ما عند الغربيين من مظاهر وأوضاع اجتماعية بحجة أنه نافع ومفيد.

ثم كانت المرحلة الثالثة حين نشط عدد من المثقفين ممن دعا إلى اتباع النظريات الحديثة للمفكرين الغربيين في النفس والمجتمع، أمثال (فرويد) و(دوركايم) وغيرهما. وقامت حكومة الاتحاد والترقي بالاستجابة لهذه الدعوات، فعدت الأخلاق والعادات على النمط الأوربي، واعتبر ذلك من مقتضيات الحضرة. والحكومة تحمي وتؤيد، وتسن القوانين وتقضى على كل من يخالف ويعارض^(١).

وسائل التأثير الغربي في المجتمع العثماني في فترة ضعف الدولة:

ساهمت عوامل عدة في التأثير الغربي في المجتمع العثماني في فترة ضعف الدولة وكان من أهمها ما يلي:

١- البعثات الطلابية إلى الغرب:

فالطلاب الذين يوفدون في بعثات إلى ديار الغرب، ليحصلوا العلوم الأوروبية - الحديثة كما يزعمون لم يكونوا على إمام كاف بالإسلام، ومع حرص الغرب الصليبي على جعل أكثرية المبعوثين إلى دياره يدرسون: الآداب، والفنون، والعلوم الاجتماعية لأنها تصنع للإنسان أفكاره

(١) د. فرج محمد الوصيف: مرجع سابق، ص ٣٦.

وقيمه، وذوقه، واتجاهه وسلوكه، مع أن الشيء الضروري تحصيله من علوم نافعة في المقام الأول، هو العلوم المحضة، والعلوم التطبيقية، والتي يترتب على التفوق فيها، الرقي الصناعي، والنمو العمراني، والتقدم العسكري، والازدهار الاقتصادي..(١).

ولا غرو إذا رأينا هؤلاء المبعوثين إلى الغرب يذهبون إليه شرقيين مسلمين، ويعودون - إلا من عصم الله - (متغربين) علمانيين (لا دينيين)، غيروا وبدلوا أفكارهم وقيمهم، ونظرتهم إلى الدين، وإلى الحياة. وعند عودتهم إلى ديارهم يطرحون حلولاً لمشاكل مجتمعهم من واقع ما وجدوه في أوروبا دون مراعاة للشريعة الإسلامية الغراء.

٢ - الغربيون المستقدمون للعمل في الكليات العسكرية والمدارس المدنية:

فقد استقدمت الدولة العثمانية أعداداً لا بأس بها من الأساتذة الأوربيين للتدريس في هذه الأماكن، وكان لهم - فرنسيين ثم ألمان - تأثير واضح على طلاب هذه المدارس والكليات وبالتالي استطاعوا نشر الأفكار الغربية في تلك المؤسسات، التي كانت تضم الصفوة المختارة من المثقفين العثمانيين، وكان من مفردات هذه المؤسسات التعليمية، تدريس كافة كتب الفلاسفة الماديين.

كما كانت الدراسة في هذه المؤسسات تقوم على أسس غريبة خالصة، والتي أخذ الغرب بوجهها، ويراقبها، ويضع لها أهدافها ومناهجها التي يرضى عنها، ويصنع لهذه الأهداف والمناهج الكتاب الذي يخدمها، والمعلم الذي ينقلها من السطور إلى الصدور، والإدارة التعليمية التي تشرف على عملية التنفيذ.

وفي المقابل نجد التضييق على المدارس والمؤسسات الوطنية الخالصة، خاصة تلك التي تحافظ على عقيدة الأمة وثقافتها وتراثها.

(١) د. يوسف القرضاوي: الحلول المستوردة وكيف جذت على أمتنا. القاهرة، مكتبة وهبة، ط ٥، ١٩٩٣،

والهدف الأسمى من وراء ذلك كله ، زحزحة المسلمين عن الإسلام والإعتداد به، والتكتل تحت لوائه ، وتشويه صورة الإسلام في أعين النشء، كى يسهل عزلهم عن الثقافة الإسلامية الأصيلة مع إبراز وجه الحضارة الغربية وكأنه جذاب فاتن.

حضارة الغرب: مما تقدم آنفاً يتضح أن هذه الوسائل، قد فتحت الباب واسعاً أمام الأفكار الغربية، لتشق طريقها في الدولة العثمانية، مما مهد طريق ضعفها، ومن ثم زوالها في النهاية غير أن أخريات الدولة العثمانية قد شهدت صراعاً مريراً بين أصحاب الاتجاه الغربي، وكانوا كثرة، وبين أصحاب الاتجاه الإسلامي الأصيل وكانوا قلة.. وكانت الغلبة لممثلي الاتجاه الغربي الذي مكن له عسكرياً وإدارياً، وثقافياً، وإعلامياً بدون موارد عدائهم للإسلام ودعاته، خاصة بعد إلغاء الخلافة، وقيام الجمهورية.

لقد نفضت الحضارة الغربية عنها سمة الدين، وقطعت كل صلة تصلها به، فهي اليوم حضارة لا دينية لحماً ودماً. والحق أن حضارة الغرب قد أقامت ناطحات السحاب، ووضعت قدم الإنسان على وجه القمر، وغمرت الأسواق بألوان الترف.. لكنها لم تدخل على مشاعر الناس، وأحاسيسهم إلا القلق والحيرة، ولم تثر في تفكيرهم إلا دوافع العدوان والتسلط^(١).

قاد مصطفى كمال بنفسه الحملة على الإسلام ودعاته، وكان منذ صغره يعتقد أنه لا حاجة إلى الله، وأن الله عز وجل، اسم غامض، مجرد عن كل حقيقة -كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً- كان مصطفى كمال لا يؤمن إلا بالمشاهد المحسوس، وكان يرى أن الإسلام ظل عاملاً هداماً في الماضي، وأنه قد جنى على تركيا جناية كبيرة، وألحق بها خسائر فادحة.. لذلك ترك العنان لأتباعه يعبثون بعقيدة الأمة على كل المستويات..

مظاهر التغريب الخلقي والاجتماعي على عهد الكماليين:

أولاً: وافق البرلمان التركي في ٢٨ ربيع الأول عام ١٣٤٥هـ -
أكتوبر ١٩٢٦م على ما يأتي:

١- تحريم تعدد الزوجات: وهذا مخالف لقول الله عز وجل ﴿وإن خفتم

(١) عيد الكريم الخطيب: الله ذاتاً وموضوعاً. القاهرة، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٨٣، ص ٥١.

ألا تقسطوا في اليتامى، فإنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى، وثلاث ورباع... ﴿١﴾. صدق الله العظيم

٢- إلغاء نظام الفصل بين أماكن الرجال والنساء في حافلات النقل العام، والقطارات وكذا السفن والمراكب..

٣- التغيير في أحكام الميراث الشرعي والتسوية بين الذكر، والأنثى، وهذا مخالف لقول الله تبارك وتعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ، لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ ﴿٢﴾. صدق الله العظيم

٤- تحديد سن معين للزواج.

٥- منع الزوج من حقه في طلاق زوجته، وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجْلَهُنَّ، فَأَمْسَكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا...﴾ ﴿٣﴾. صدق الله العظيم

٦- إلغاء نظام الإرث بالقرابة البعيدة، والإرث بالتعصيب. وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ، مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ، نَصِيبًا مَفْرُوضًا...﴾ ﴿٤﴾. صدق الله العظيم

٧- حرية زواج المرأة المسلمة التركية من نصراني أو من يهودي، دون التقييد بشرط إسلامهم وهذا مخالف لشرع الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ، وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا، وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ...﴾ ﴿٥﴾. صدق الله العظيم

واتخذت الحكومة الإجراءات العملية لتطبيق ذلك في حياة المجتمع

(١) سورة النساء: آية ٣.

(٢) سورة النساء: آية ١١.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٣١.

(٤) سورة النساء: آية ٧.

(٥) سورة البقرة: آية ٢٢١.

التركي، مع سن القوانين العقابية لمن يخالف ذلك^(١).

ثانياً: الترويج لانتشار الفاحشة على نطاق واسع دون حياء:

فقد قامت الدولة بإرسال الفتيات إلى الدول الغربية دون أن يكون معهن محارم بحجة التعليم والدراسة، فعدن بعد سنوات دون أن يستفدن من العلم شيئاً، غير أنهن نشرن ما حملن من سموم فكرية وخلقية في الأوساط الشعبية، وفي مدارس الطالبات.

واليهود، هم وراء كل دسيسة، والغرب المسيحي يؤمن بعودة اليهود إلى أرض فلسطين وبناء هيكل سليمان، واقتلاع أصحاب الأرض من مسكنهم، ليحل محلهم (شعب الله المختار) ويعتقدون أن ذلك أمر حتمي. طالما وعدهم (الله) بذلك. وكرر وعده في التوراة المقدسة التي تشربت بها نفس الغربي مع نموه في أحضان اليهودية، في البيت، والمدرسة، والكنيسة والنادى والمجتمع، عبر الكتاب المقدس، بجزئيه: التوراة والانجيل. وترددت في قباب الكنائس أصداء المواعظ، وعلت في النوادي والمحافل أصوات المحاضرين. وجميعهم يدعون إلى الإيمان العميق بنبوءات التوراة والمساعدة في تحقيقها. لأن فيها خدمة للكنيسة وللرب^(٢).

وأود أن أشير إلى أن هؤلاء اليهود قد اعتنقوا المسيحية بغرض التخريب، والتشويه والتزييف ولأن الدم اليهودي يجري في عروقهم، أو لأن الصهيونية استطاعت شراءهم بالمال وسخرتهم لخدمة هذه الغايات ونشرها بين الناس.

ونتيجة عملية لإرسال فتياتنا للدول الغربية، أن الفتاة التركية المتقفة لم تجد حرجاً في أن تكون صورة للمرأة الغربية في التكشف والعري، وارتداء الملابس الفاضحة باسم الموضة والإقبال على الأغاني الغربية المائجة، مما أدى إلى إثارة الغرائز، وانتشار الزنا على نطاق واسع وأصبحت الأماكن العامة، والمتنزّهات، والحدائق العامة أماكن للفسق والفجور، خاصة بين الطلاب والطالبات، وانتشرت من جراء ذلك الأمراض الفتاكة، التي لم يجد

(١) د. فرج محمد الوصيف: مرجع سابق، ص ٣٦-٤١.

(٢) د. جورجى كنعان: وثيقة الصهيونية في العهد القديم. بيروت، دار النهار للنشر، ط ٢، ١٩٨٢، ص ١٩.

لها العلم الحديث أى دواء^(١).

ثالثاً: انتشار العادات الغربية السيئة بين الناس:

أقبل الناس مع مرور الأيام على العادات الغربية لتكون بديلاً عن المظاهر الإسلامية النابعة من عقيدتهم ، ومن ذلك:

١- انتشار النعرة القومية انتشاراً مذهباً بين طبقات المجتمع ، وكان لجمعية (تدقيق التاريخ التركى) التي أنشئت عام ١٣٤٩هـ-١٩٣١م دور كبير في ذلك ، وقد ركزت على^(٢):

- أن الشعب التركى أقدم الشعوب .

- أن الأتراك هم منشئو أقدم حضارة عالمية .

- طوبى لمن يقول أنا تركى .

وكان من مظاهر التعصب للقومية التركية :

- تنزيك الأذان والقرآن الكريم .

- إحياء الأسماء التركية القديمة بدلاً من الأسماء الإسلامية . وكان

لهذا كله أثره في غربة الإسلام في تركيا ، وفصل الشعب التركى المسلم عن الشعوب الإسلامية.

وقد كانت النظرة إلى العثمانيين على أنهم خلفاء للمسلمين ، امتداداً واستمراراً للخلافة الأموية، فالعباسية الراشدة. لقد كانوا أتراكاً من حيث الجنسية، ولكنهم لم ينتسبوا للتركية أبداً، وقد اقتبسوا ما شاءوا من العربية، والفارسية، إضافة إلى أن الأبجدية كانت عربية خالصة كما أن علماءهم سواء أكانوا أتراكاً أم عربياً ، أم غيرهم لهم ميزات خاصة ، مثل الإعفاء من الجندية، والإعفاء من دفع الضرائب^(٣).

ومع هذا فقد تغلغل الفكر القومى في الأجهزة الرسمية للدولة ، وأصبح تأسيس الدول القومية ، يتنافى مع تكوين الدولة العثمانية ، التي قامت إسلامية تجمع تحت رايتها عناصر قومية مختلفة . وكانت وسيلة تغلغل هذا

(١) د. فرج محمد الوصيف: مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٠.

(٣) د. علي حسون: مرجع سابق، ص ١٤١.

الفكر الوافد، بين صفوف الشباب العثماني المثقف ، عن طريق البعثات إلى أوروبا، وعن طريق الترجمة والصحافة ، وكتب الأدب . وقد أخذ هؤلاء الشباب مكانتهم فيما بعد في أماكن النفوذ في أجهزة الدولة .

٢- صار الخمر والميسر ، ولحم الخنزير من أركان الترقى . حتى فتحت مطاعم في أنقرة لا تطبخ إلا لحم خنزير ! واعتبار رأس السنة الميلادية أهم من العيدين ؛ تنفق فيه على المستوى الشعبي والرسمي الأموال الطائلة، ويسهر الناس في ليلته في النوادي والفنادق ، والبيوت والساحات العامة، وهم يعاقرون الخمر ويرقصون ، ويمارسون ألواناً من الرذائل والمنكرات .

كما دخلت مظاهر الحياة الغربية في المجتمع في مناسبات الأفراح والأتراح، بحيث توضع أكاليل الزهور على قبور الموتى ، وتعزف الموسيقى الخاصة بالجزءاء في أثناء الدفن ، أما في الأفراح فتعقد حلقات الرقص، وتقام حفلات الغناء، وتقدم الخمر ، ويظل الناس في فسق وفجور حتى مطلع الفجر .

كما انتشرت أماكن بيع الخمر ، وحانات شربها ، والدعاية لها بشتى وسائل الإعلان، وإنشاء المصانع الخاصة بها من قبل الدولة ، والترخيص للمؤسسات الاقتصادية والأفراد بذلك . وهذا كله يأباه الدين ، ويحرمه القرآن أشد التحريم .

٣- تفكك الأسر، التي هي الرباط القويم للمجتمع ، واعتبار الأولاد مسئولين عن أنفسهم بعد سن معينة ، كما يفعل الغرب ، وسنت الدولة قانوناً يجعل كل من بلغ سن الرشد حراً في اختيار أى دين شاء^(١) .

٤- تشجيع الاختلاط بين الرجال والنساء ، في المدارس ، والجامعات وأماكن العمل والنوادي ... ويرى الإسلام في الاختلاط بين الرجل والمرأة خطراً محققاً . فهو يباعد بينهما إلا بالزواج .

يقول دعاة الاختلاط إن في الكلام السابق حرماناً للجنسين من لذة الاجتماع، وحلاوة الأنس التي يجدها كل منهما في سكونه للأخر ، والتي

(١) د. فرج محمد الوصيف: مرجع سابق، ص ٣٩ .

توجد شعوراً يستتبع كثيراً من الآداب الاجتماعية من الرقة ، وحسن المعاشرة، ولطف الحديث، ودماثة الطبع . ويظهر من ذلك أن هذا الفعل يؤدي إلى ضياع الأعراض، وفساد النفوس ، وتهدم البيوت ، وشقاء الأسر، وبلاء الجريمة، وما يستلزم هذا الاختلاط من طراوة في الأخلاق ، ولين في الرجولة^(١).

لقد أباح الإسلام للمرأة شهود العيد، وحضور الجماعة، والخروج في القتال عند الضرورة الماسة، ولكنه وقف عند هذا الحد، واشترط له شروطاً شديدة:

- البعد عن كل مظاهر الزينة .
- ستر الجسم ، وإحاطة الثياب به (اللباس الشرعي) الذي لا يظهر منه إلا الوجه والكفان .

والإسلام يرى للمرأة مهمة أساسية ، طبيعية ، وهي المنزل والطفل. وإذا كان من الضرورات الاجتماعية مايلجىء المرأة إلى مزاوله عمل آخر غير هذه المهمة الطبيعية لها ، فإن من واجبها حينئذ أن تراعي هذه الشرائط التي وضعها الإسلام لإبعاد فتنة المرأة عن الرجل، وفتنة الرجل عن المرأة، ومن واجبها أن يكون عملها هذا بقدر ضرورتها، لا أن يكون هذا نظاماً عاماً ، من حق كل امرأة أن تعمل على أساسه^(٢).

٥- انتشار البنوك الربوية في المدن والقرى التركبية ذات الكثرة السكانية، الأمر الذي أدى إلى تضخم ثروات الأغنياء على حساب الطبقات المتوسطة والفقيرة .

تدرج الفكر الغربي في الدولة العثمانية :

إن الدولة التي كان عليها من حيث المبدأ ، ألا تراعي غير الشريعة؛ أي القانون الديني الإسلامي ، قد وجدت نفسها مضطرة بحكم الطبيعة المركبة لسكانها إلى الاعتراف بالقانون العرفي لمختلف الجماعات التي تتشكل منها الإمبراطورية العثمانية .

(١) حسن البنا: مجموعة رسائل الإمام حسن البنا. الاسكندرية، دار الدعوة، ١٩٨٩، ص ٣٠٠.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٥.

وللسلطان حق المبادرة في سن تشريع زمنى (قانون)، على أن هذا التشريع يجب أن يكون قاصراً على مسائل القانون العام، كالدستورية والإدارية، والمالية، والجزائية، دون أن يحل محل الشريعة^(١).

وكان دور المفتى بارزاً ، من حيث إبداء المشورة حول المسائل القانونية، خاصة تقييم مدى تمشي قرار سياسى ما مع الشريعة الإسلامية. ولقد شهدت الفترة الممتدة من عام ١٧٠٠م إلى عام ١٧٧٤م ميلاد ذهنية جديدة في الدولة العثمانية بين صفوف بعض الأوساط الحاكمة ، تدفعها إلى الانفتاح على البلدان الأوروبية.

لقد أدرك القادة العثمانيون أن الدولة العثمانية لم تعد الدولة السائدة في أوروبا، ولا في المشرق، وأن تفوقها قد تعرض لإصابات بالغة ، وأن هناك تطوراً يحدث في العالم الغربى لم يتسن للأتراك رصده أو أخذه في الحسبان . والقرن الثامن عشر ، في تاريخ الدولة العثمانية ، يرمز إلى البداية الحقيقية لهجوم الدول الأوروبية العظمى على تلك الدولة سواء في المجال العسكرى والديبلوماسى، أو في المجال الاقتصادى.

كان الهدف من دخول الفكر الغربى الوافد للدولة العثمانية ، أن يمتد هذا التغريب تدريجياً إلى مختلف فئات السكان ، اقتداء بما يفعله بعض القادة، وعمالء التغريب في الدولة العثمانية من ارتداء الملابس الأوروبية، وتعلم الفرنسية، وتنظيم حفلات استقبال ومهرجانات ، وإدخال الموسيقى الغربية للبلاد.

واقْتداءً بهؤلاء ، يرتدى الموظفون الحكوميون ، والوجهاء الزى الأوروبى، والذى يصبح إلزاماً فيما بعد ، وأن تصبح اللغة الفرنسية علامة الحضارة، وتنتشر بشكل متزايد بين صفوف النخبة ، إلا أنه لا يمكن الحديث عن تطور كبير للعادات ، إذ يوجد دائماً وسط تقليدى قوى يتمسك بعرقلة

(١) روبر مانتريان: تاريخ الدولة العثمانية. القاهرة، ترجمة/ بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ج١، ١٩٩٢، ص ٢٥١.

حركة التغريب، والحفاظ على المؤسسات الدينية والثقافية^(١).
أعلن دعاة التغريب أن الدولة العثمانية ليست دولة أسيرة ماضيها، وأن
بوسعها الانفتاح على روح العصر الحديث . وفي هذا عدوان على مبادئ
الإسلام العظيم، وعلى التقاليد العثمانية حيث الوافد من الغرب ليس كله
بثمين، بل معظمه غث.

ما حفلت به فترة التنظيمات من نواحي الخلل التي تمثلت في:
١- دور الأدباء: لقد جرب الأدباء شيئاً فشيئاً الأشكال الأدبية المأخوذة
عن الغرب -رواية، مسرح وغيره- لتوجيه النقد إلى القادة، ولتهذيب
القراء كما يزعمون .

والمسرح من البداية مأخوذ بالكامل عن أوروبا؛ حيث اهتم
بالحديث عن إيجابيات الحضارة الغربية، والإعلاء من شأن
الأفكار، وأساليب الحياة الواردة من أوروبا . كما لعبت الرواية بفعالية، من
خلال الدعوة إلى حضارة الغرب الحديثة، من حيث العلاقات بين الجنسين
والدعوة إلى التحرر الأنثوي .

٢- أما كتاب الصحافة، فكانوا شديدي الإعجاب بفلسفة التنوير، وكانوا
نادراً ما يتخذون من الإسلام مرجعاً، بل كانوا يبدون أنهم يديرون ظهورهم
له. إلا أننا لا ننكر أن من بين الصحفيين من كان يستمد جانباً مهماً من
إلهامه من الفكر الصوفي الإسلامي، ويبدى نزعة محافظة، دينية وثقافية.

٣- الحرية: كان يوجد من يؤكد أن الإنسان يولد حراً، وأن هذه
الحرية (ضرورية ضرورة الماء والهواء)، ومن حق الإنسان أن يحيا حراً، لا
أن يحيا فحسب.

ألقى بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - خطبة شهيرة في
ميدان الحرية في (سلانيك) شرح فيها المفهوم الصحيح للحرية، وبين أنها
الحرية الشرعية؛ أي الحرية التي يرسم الشرع حدودها، وليست الحرية

(١) روبرت مانتريان: تاريخ الدولة العثمانية . القاهرة، ترجمة/ بشير السباعي، دار الفكر للدراسات
والنشر والتوزيع، ج٢، ١٩٩٣، ص ٥٩.

الفوضوية التي لا ضابط لها^(١).

إن الحرية التي نبعث من الأفكار الغربية ، هي حرية غير محدودة ، ولا ملتزمة ، فالحرية ليست الشر والفجور ، والحرية المطلقة التي لا تلتزم بقيد أو شرط ليست سوى البهيمية . فلا بد من تحديد الحرية للبشر ، ومن يرفض الحرية المحدودة ، ويطالب بالحرية المطلقة ، ما هو إلا أسير نفسه الأمانة بالسوء .

والخلاصة أن الحرية التي تخرج عن دائرة الشريعة الإسلامية هي حرية بهيمية . وأكبر سند للحرية الشرعية هو الإيمان بالله وطاعته ، ومن كان عبداً لله لا يكون عبداً لغيره^(٢).

٤- تأسيس الجمعيات السرية: مثل جمعية (العثمانيين الشبان) والتي تم تأسيسها عام ١٨٦٥م ، بهدف الترويج للأفكار الجديدة . وكانت السنوات الخمس التي قضاها خارج الإمبراطورية ، سنوات اكتساب للنضج ، كما أتاحت لهم فرصة التعرف على الأفكار والتقنيات وأساليب الحياة التي لم يكونوا يملكون عنها من قبل غير معرفة مستمدة من الكتب ، وهذا الاتصال المباشر من شأنه أن يشكل إضافة إلى قوة الإقناع التي تتميز بها كتاباتهم . لقد نجح البعض منهم في تعبئة جزء من الرأي العام لحساب الأفكار الجديدة . بناء على هذا ، رأى فريق من الناس أن إنقاذ الإمبراطورية العثمانية يمكن أن يكون بمركزة الإدارة ، وتحديث جهاز الدولة ، وتغريب المجتمع ، وعلمنة القانون ..

٥- جنود الإصلاح: من سلاطين ، وصدور عظام ، وأدباء مشهورين .. وإلى جانبهم جنود إصلاح مجهولون مثل الخبراء ، والفنيين ، والمدرسين .. كل أولئك أسهموا في نشر الحداثة في شتى أرجاء الإمبراطورية . وإلى جانب العسكريين وموظفي الدولة المدنيين ، يبرز فريق آخر:

ذلك هو فريق التجار والصيارفة ، وهؤلاء الرجال كان عليهم أن يلعبوا دوراً يعرفونه جيداً ، ألا وهو دور الوساطة من الدرجة الأولى بين

(١) د. محسن عبد الحميد: مرجع سابق، ص ١٦ .

(٢) سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠-٢٥١ .

أوروبا، والدولة العثمانية. وإذا كانوا متخصصين في تبادل السلع ، وتحركات رأس المال، فإنهم يقومون أيضاً بترويج أساليب الحياة ، والفنون والفلسفات، ويتولون مهمة تمويل التغيير ، من بناء القصور ، والمدارس التي ترمز إلى الروح الجديدة.

٦- علمنة التعليم وتجفيف المنابع: وذلك بإنشاء هياكل تعليمية منفصلة عن التربية الدينية سعياً إلى تكوين أشخاص قادرين على إدارة عملية التحديث بفعالية كاملة.

إن الفصل بين الدراسات الشرعية ، والدراسات التاريخية ، قد أدى إلى أن تقوم الدراسات التاريخية المعاصرة في العالم أجمع ، وفي البلاد الإسلامية على وجه الخصوص على الأساس الذي وضعتة المدرسة الاستشراقية ، والتي تقوم على أكتاف اليهود والنصارى، يعاون في ذلك كثير من أبناء الإسلام . فنشأ عن ذلك أجيال من خريجي الجامعات ، وأساتذة التاريخ ، لا يعرفون أحكام دينهم ، ولا يشعرون بأى صلة تربط هذا التاريخ بدراسة الشريعة ، وأحكام الإسلام وأكبر دليل على ذلك إستكار صلة الدين الإسلامي بالتاريخ^(١).

لقد أحس بديع الزمان سعيد النورسي مسبقاً بأن أعنى العواصف وأشد الرياح ستهب من أوروبا ، حاملة إلى العالم الإسلامي فتناً كقطع الليل المظلم، وزلازل تزلزل أفكاره وعقائده، وتهز عقله ووجدانه ، وأن أوروبا القوية بعلمها، وفكرها وحضارتها ، ستجد في شعوب الشرق عامة، والشرق الإسلامي خاصة لقمة سائغة ، وفريسة سهلة المنال ، لما كان يعانيه الفكر الإسلامي من ركود وهمود وتخلف ، فأسرع النورسي يقرع أجراس الخطر الداهم، ويطلق صفارات الإنذار ، وينبه المسلمين لما سيحقيق بهم من أخطار، فدعاهم إلى الانكباب على دراسة العلوم الحديثة ، وطالب بإدخال هذه العلوم إلى المدارس الدينية لتدرس جنباً إلى جنب مع العلوم الدينية.. إلا أن بنى قومه لم يفهموا عنه ما يريد ، ولم يدركوا أبعاد كلامه، وأعماق

(١) د. جمال عبد الهادي ، د. وفاء محمد رفعت: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ- منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا؟ وكيف؟ . المنصورة ، دار الوفاء ، ط٣ ، ١٩٩٤ ، ص ١٧.

صرخاته وقد استطاعت الدوائر المعادية للإسلام والمسلمين -بمساعدة المدارس الاستشراقية- أن تستقطب إلى أروقنها الفكرية ، والثقافية والسياسية أتباع رجالنا وأذكاهم ، من مفكرين وسياسيين ، وقادة عسكريين، حيث تمكنت أن تجعل منهم جسوراً ومعايير تنقل من خلالها وأحياناً من فوقهم ، هيمنتها السياسية، والإقتصادية ، والفكرية ، والعسكرية إلى بلاد هذا العالم البكر بطاقاته، وثوراته ، ومواقفه الإستراتيجية الهامة^(١).
لقد كان هناك غزو حضارى غربى ، مادي في جنوره وأصوله يهدد العالم الإسلامي كله ويكاد يطبق على خناقه ، والذي كانت تركيا أولى ضحاياه، فلا يمكن دفع هذا الغزو أو إيقاف زحفه إلا بانبعاث إيماني جديد، يفجر طاقات شعوب هذا العالم الروحية ، ويسلحها بالقوى الفكرية والنفسية القادرة على مواجهة هذا الزحف الحضارى المادي .

لقد أعجب السلطان عبد الحميد الثاني بالتقدم العلمى والتقى الأوربي، مما دفعه أثناء سلطنته إلى الاهتمام بإدخال المخترعات الحديثة في دولته في مختلف نواحي الحياة وأنشأ المدارس الحديثة ، وأدخل فيها العلوم العصرية، وأدخل للبلاد أول سيارة ، وأول دراجة ، وأخذ بنظام القياس المترى ، لكنه وقف بحزم ضد سريان الفكر الغربى في البلاد^(٢).

ومما لا شك فيه أن المجتمع الإسلامي في العصر الحديث في حاجة إلى اقتباس العلم والتكنولوجيا ، ومشاركة الأمم في هذا التراث الحضارى. مع مراعاة أن يتحقق ذلك دون أن يخرج عن إطار فكره ، وذاتيته، وثقافته ومن هنا فإن قانون الإجتهد هو الأداة المشروعة لتحقيق هذا العمل^(٣).

٧- استخدام سلاح المرأة: كان وضع المرأة العثمانية بسبيله إلى التغيير عام ١٩٠٠م . ففي الفئات العليا من المجتمع ، تنبى أعداد متزايدة باطراد من النساء المسلمات أساليب السلوك الغربية ، تحت تأثير الاطلاع

(١) أديب ابراهيم الدباغ . سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان. الكويت، دار الوثائق، ط١، ١٩٨٦، ص ٣٣ .

(٢) د. محمد حرب . السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، ص ٥٧.

(٣) أنور الجندي . الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، ص ١٥٧.

على المجالات أو محاكاة لوصيفاتهن الأرمنيات واليونانيات . فتبدأن في تعلم الفرنسية ، وفي تأثيث منازلهن وفق النموذج الأوروبي ، وفي تلقى العزف على البيانو وفي ارتداء الأزياء الغربية ، وفي الخروج بمفردهن في الشارع . ولكن أخلاقية الإسلام تفرض عليهن قواعد سلوك غير هذا . فقد صدر منشور عام ١٩٠١م يحرم عليهن التردد على المحال الأوروبية ، ويلزمهن بارتداء الحجاب ، حتى وهن في العربات . ويجرى النص تفصيلاً على طول وسمك الحجاب ، ونوع الأحذية التي يتعين عليهن لبسها . أما النساء اللواتي يجازفن بالسير في الشارع بمفردهن ، فإنهن يصبحن عرضة للقبض عليهن^(١).

مقارنة بين الفكر الإسلامي ، والفكر الغربي :

أجمعت أبحاث المفكرين المسلمين ، على أن للمسلمين منهجاً فكرياً، واجتماعياً استمدوه من القرآن الكريم ، وأن هذا المنهج هو سر نجاحهم وظفرهم ، واتساع ملكهم ، وفيه تكمن قوتهم الحقيقية . ويدور هذا المنهج حول التوحيد، والعدل، وإعداد القوة لإرهاب أعداء الله والدين، وبالجهاد لمواجهة من يعتدى على حرمة الدين وعليهم ، مع الاستمسك بالحق، والشورى، والنهي عن اتخاذ بطانة من دون المؤمنين .. ولقد مضى المسلمون على هذا النهج فانتصروا، وعزوا ، ولما انصرفوا عنه، وقصروا فيه ، ذلوا وضعفوا، وكلما عادوا إليه عادت إليهم العزة والسيادة.

إن من الأخطاء التي سادت بين بعض المثقفين الذين درسوا في الغرب، هو اعتقادهم أن التعصب الديني هو سبب تأخر المسلمين حضارياً، وقد تم تغذية هذا الرأي وتشجيعه في تركيا ومما أكسبه أهمية بالغة أن الكثير من مؤيديه يشغلون كثيراً من المناصب الإدارية ، والقيادية وقد اعترض بديع الزمان سعيد النورسي على الادعاء بأن التعصب الديني هو المانع للتقدم حيث أن التاريخ خير شاهد صدق على أن أهل الإسلام يرتقون، ويتقدمون حين يتمسكون بدينهم ، وأن العالم الإسلامي يتدنى بتركه

(١) روبرت مانتران . مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

لدينه الحنيف^(١).

وتبدو التفرقة واضحة بين مفهوم الفكر الإسلامي ، ومفهوم الفكر الغربي ، فالإسلام ليس ديناً فحسب ، ولكنه دين ونظام مجتمع . ذلك أن الإسلام لم يفصل بين علاقة الإنسان بربه وعلاقته بالناس والمجتمع ، بل هما عنصران متكاملان لا ينفصلان . في حين أن مفهوم الدين في نظر المفكرين الغربيين قائم في أساسه على العلاقة بين الله والإنسان ، أما فيما يتعلق بالمجتمع فقد أثر الغربيون مناهج اليونان والرومان .

إن الهدف الأسمى لأعداء الله ، هو القضاء على وحدة الفكر الجامع التي أقامها القرآن الكريم في الأمة الإسلامية ، وخلق الصراع الفكري . ويعتمد الاستشراق والتغريب في دراسة الإسلام أو الكتابة عنه على الفكر الباطني ، وعلى الفكر الفلسفي الذي كتبه ابن سينا ، والكندي وغيرهما ، كما يعتمد على الفكر التصوفي الفلسفي الذي كتبه البسطامي ، والحكيم الترمذي ..

مطالب اليهود في أرض فلسطين :

لقد عاصرت الدولة العثمانية مولد الحركة الصهيونية ثم نشأتها . ولقد وضع هرتزل - كان من أخطر زعماء الصهيونية في العالم - في مخططة الاتصال بالسلطان عبد الحميد الثاني ، لإغرائه بالمال ، حتى يأذن له في إنشاء الدولة اليهودية المرتجاة في فلسطين ، زاعماً له أن الحركة الصهيونية هي دعوة إنسانية سلمية ، لا تتطوى على أي أخطار تتهدد الدولة العثمانية . وأكد له كذباً وزوراً ، أن الصهيونيين يكونون ولاءً للدولة العثمانية ولسلطانها ، وأن المنظمة الصهيونية اعترضت على كل تسلسل يهودي مهما كان ضئيل الحجم إلى فلسطين دون موافقة السلطة صاحبة السيادة على البلاد (وهي الدولة العثمانية) . وأكد هرتزل أن فوائد جمة ستجنحها الدولة العثمانية إذا أذنت لليهود في إقامة دولة ذات حكم ذاتي في فلسطين ، وسبحان الله ، احتل اليهود أرض فلسطين وارتكبوا مذابح لا حصر لها ضد الشعب المسلم الفلسطيني ، ولا يزالون يرتكبون مذابح عدة ضد الشعب الأعزل ، تحت سمع وبصر العالم كله ، ولا يسمحون بإقامة دولة فلسطينية هزيلة على أرض

(١) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٦١ .

فلسطين.

وكان الرد الحميدى ، فليحتفظ اليهود بملايينهم . وإذا مزقت الإمبراطورية يوماً ، فإن اليهود يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن^(١) . وهاهم اليوم أخذوها بلا ثمن !

في شهر مايو عام ١٩٠٢م طلب هرتزل من السلطان عبد الحميد الثانى أن يأذن له في إنشاء جامعة عبرية في بيت المقدس تفتح أبوابها للطلبة العثمانيين بدلاً من إيفادهم في بعثات علمية إلى الجامعات الأوروبية ، وكان هرتزل يبرر موقفه ، أنه حريص على عدم تعريض الطلاب العثمانيين في أوروبا لأخطار الغوايات السياسية ، فيعتقدون آراء ثورية ، قد يطالبون بتطبيقها في الدولة بعد عودتهم من أوروبا . وتكون الدولة أمام أحد أمرين: إما تعريض الطلبة العثمانيين لأخطار هذه الاتجاهات السياسية الثورية، وإما أن تحول بينهم وبين مناهل العلم في أوروبا . أما الدافع الثانى، فإن الطلبة العثمانيين قد يبتعدون عن التقاليد الإسلامية ، بمعنى أن الحياة الخلفية الماجنة التي تسود مدن أوروبا قد تفتتهم.

إلا أن نقطة الضعف في سياسة السلطان عبد الحميد الثانى تجاه المسألة الفلسطينية، أنه أصدر فرمانات جزئية لصالح بعض اليهود ، وأذن لهم بمقتضاها شراء بعض مساحات محدودة من الأرض الفلسطينية. هذه فرمانات كانت سندا قويا في يد الصهيونية للتوسع في شراء مزيد من الأراضى الفلسطينية ، سواء بطرق مشروعة ، أو غير مشروعة. والسلطة الفلسطينية الآن ، تقوم بقتل من يبيع أرضه لليهود داخل فلسطين المحتلة.

ولقد سجل التاريخ تجارب عدة فترة مصرع الخلافة العثمانية لنا أن نتحدث عنها:

تجارب التاريخ:

من تجارب التاريخ في فترة مصرع الخلافة العثمانية ما يلي:

(١) د. عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ، ج٢ ، ط٢ ، ١٩٨٦ ، ص ٩٩٠.

١- **الجامعة العثمانية:** كانت هذه دعوة رجال الاتحاد والترقي، وظاهر دعواهم، إيجاد أمة عثمانية يتساوى فيها جميع الرعايا على اختلاف جنسياتهم، والغرب يرحب بذلك، والغرض الحقيقي من الجامعة العثمانية بدلاً من الجامعة الإسلامية، هو الطعن على الإسلام بأنه لا يحقق عدالة مع اليهود والنصارى. بناء عليه يفرض اليهود والنصارى الأتراك على المسلمين نظامهم هم.

ولقد فشلت هذه الدعوة عند التطبيق، لأنها أثارَت القوميات غير التركية، خاصة العناصر غير الإسلامية. فالنصراني أو اليهودي غير التركي، ما الذي يدعوهُ إلى قبول سيادة العثماني عليه؟^(١).

٢- **الجامعة الطورانية:** هي رابطة الترك قبل إسلامهم، كالفرعونية في مصر. ودعاة الطورانية، أرادوا بدعوتهم ضم الناطقين باللغات التركية والذين من أصل نترى إليهم وفيلسوف هذه الفكرة هو (ضياء ألب)، وهو فيلسوف الاتحاد والترقي الدونمي اليهودي؛ على الأقل من الناحية السياسية. ولم يكن للترك قومية طوال تسعة قرون تقريباً، إلا القومية الإسلامية، إلى أن جاء العصر الحديث فدخلت القوميتان الإسلامية والتركية في دور جديد، عند ما دافع المتقفون الأتراك عن هذه الفكرة في ثلاث شعب هي:

أ- **تتريك اللغة:** أى نبذ كل الكلمات غير التركية، وتترك العديد منها لمسايرة الحضارة الحديثة وبخاصة ما استقر منها في نفوس الشعب.

ب- **تتريك الجنس:** يقصد به اعتبار القيرغيز، والأوزبك، والقوقازان.. من جنس واحد، هو الجنس التركي، مهما تباعدت حدودهم الجغرافية، وتباينت ثقافتهم، ولغاتهم، وأديانهم، وما العثمانيون إلا فرع من هذه الشجرة الوارفة الظلال^(٢).

ج- **تتريك التاريخ:** أى إعادة دراسة الترك قبل العثمانيين، وقبل الإسلام، وإظهار ما فيه من أمجاد الترك.

(١) فهمى الشناوى، مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٢) د. سمير رجب محمد، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

٣- الجامعة الإسلامية : نشأت الدولة العثمانية على مبادئ الدين الإسلامي، ففكرها فكر إسلامي ، وجيشها هو الجيش الفاتح بإسم الإسلام ورفع رايته، والقرآن كتابها ، والسنة دستورها .. والمسلمون فيها سواسية في الحقوق والواجبات ، وسلطانهم يحكم ويتكلم بوصفه خليفة للمسلمين، واستمر هذا الحال حتى عام ١٨٣٩م عندما أعلن رشيد باشا أنه لا فرق بعد الآن بين الأديان على اختلافها ، والجنسيات على تباينها أمام القانون ، فساوى بذلك بين العثمانيين جميعاً في الحقوق والواجبات.

نشطت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية في عهد السلطان عبدالعزيز (١٢٧٧هـ - ١٨٦١م) ومن بعده السلطان عبدالحميد الثاني الذي نادى بالجامعة الإسلامية لاستقطاب نفوس العرب خاصة والمسلمين عامة ، وكان جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده قطبي هذا الفكر ، كما ظهر محمد عاكف عام ١٨٧٣-١٩٣٦م ، وهو شاعر الإسلام في تركيا وكان مناضلاً ضد الطورانية والعثمانية ، ورأى أن كليهما دعوة استعمارية لتفريق العالم الإسلامي.

٤- فصل الدين عن الدولة : الدين الإسلامي هو الرباط الوحيد بين الرعايا، وفصل الدين عن الدولة، مقولة تتناقض مع أصول العقيدة الإسلامية؛ أي إخضاع الدين للدولة؛ كإلغاء المحاكم الشرعية والأوقاف، وتحويل الجامعات الدينية إلى جامعات عادية، ورفع الحجاب وفرض القبعة، وتحريم تعدد الزوجات، وتحليل إفطار رمضان^(١). وهذا كله يؤدي إلى ضياع الدين والدولة معاً ، وقد تحولت الدولة العثمانية، والتي كانت تهز العالم إلى دولة ثانوية .

ويجدر بي في هذا المقام أن أحذر من تقليد الغرب في الفصل بين الدين والدولة، والسياسة والتشريع ، كذلك ليس لديهم علم الفقه المستنبط من كتابهم، وسنة نبيهم ، وليس لديهم أيضاً أصول الفقه ، وكيف نترك تراثنا التشريعي العظيم، ونستورد قوانين من صنع البشر !؟

(١) فهمى الشناوى ، مرجع سابق ، ص ١٠٩.

إن ضرورة المحافظة على استقلال المسلمين أفراداً ومجتمعات تقتضي الامتناع عن تقليد الأمم الأخرى^(١).

ولنظل قليلاً على سماحة إسلامنا العظيم ، في التعامل مع أهل الكتاب بصفة خاصة، ومع الناس جميعاً بصفة عامة ، فقد بقى بين أظهر المسلمين حتى في أبعد القرى وأصغرها نصارى ، ويهود وصابئة ، وسامرة ومجوس، وكلهم كانوا متعايشين ؛ لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين . هذا في الوقت الذي نجد فيه غير ذلك في غير القليل من دول العالم غير الإسلامية. وصدق الشاعر حيث قال:

(كيف احتراسى من عدوى إذا كان عدوى بين أضلاعى)
الفرد المسلم ، وحقيقة المعركة :

إن غاية الإسلام ، الفرد المسلم ، الذى يتذوق الجمال والقبح ، ويدرك إدراكاً صحيحاً يتصور به الصواب والخطأ ، وإرادة حازمة لا تضعف ولا تلين أمام الحق، وجسماً سليماً يقوم بأعباء الواجبات الإنسانية حق القيام، وينصر الحق والخير^(٢). وسيكون لهذا الإصلاح الفردى أثره في الأسرة ، ذلك أن الأسرة مجموعة أفراد ، فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة - وهما عماد الأسرة - استطاعا أن يكونا بيتاً نموذجياً وفق القواعد التي وضعها الإسلام.

لقد وضع الإسلام قواعد البيت فأحكم وضعها ، فأرشد إلى حسن الاختيار، وبين أفضل الطرائق للارتباط ، وحدد الحقوق والواجبات، وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات هذا الزواج حتى تينع وتتضح في غير عيب ولا إهمال، وعالج ما يعترض هذه الحياة الزوجية من المشكلات أدق علاج، واختط في كل نظراته طريقاً وسطاً لا تقرط فيه ولا إفراط.

والبيت المسلم من نماذج الدعوة إلى الله ، فأفراده يؤمنون بأن الدعوة الإسلامية فريضة وضرورة شرعية ، ويتطلب هذا منهم تخصيص جزء مقسوم من المال ، والجهد والوقت للدعوة إلى الله تعالى ، ومن ثم يجب

(١) د. مصطفى حلمي ، مرجع سابق ، ص ص ٨٦-٨٧ .

(٢) حسن البنا ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

على الزوجة أن تعين زوجها على الدعوة ، ولا يجب على الزوج أن يضيق
واسعاً على المرأة في مجال الدعوة^(١).

وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة ، وقد وضع الإسلام للأمة قواعد
الحياة الاجتماعية السعيدة ، فعقد بين بنيتها آصرة الأخوة ، وجعلها قرينة
الإيمان ، ورفع مستوى هذه الصلة إلى المحبة بل إلى الإيثار ، وحدد الحقوق
والواجبات والصلوات .

ثم بعد ذلك تكون الحكومة الإسلامية الراشدة ، فالخلافة الراشدة ، ثم
استاذية العالم إن شاء الله.

إن إدراك حقيقة المعركة وموضوعها ، ومعرفة أطراف الصراع
الأصليين والتابعين ، وتحديد ميدان المعركة - حالياً - من أهم مفردات
ومكونات الرؤية الواضحة ، والناظر إلى المعركة الدائرة بين أمة الإسلام
وبين عدوها قد يظن - لأول وهلة - أنها صارت معركة غير متكافئة ، ولم
يعد هناك مبرر لاستمرارها ؛ إذ يبدو أنها حُسمت بالتفوق الساحق لأعداء
الإسلام على المسلمين حتى صار المسلمون لا يملكون من أمر أنفسهم
شيئاً؛ فهناك فجوة هائلة في امتلاك أسباب القوة العسكرية بين المسلمين
وأعدائهم، تلك الفجوة التي إن تحققت مثلها بين أي عدوين متقاتلين لاكتفي
المتفوق منهما بها، واعتبر نفسه منتصراً انتصاراً عسكرياً ساحقاً ، وعدّ
عدوه من المهزومين الذين انتهى خطرهم . والواقع هو أن كلاً من قوى
الخير ، وقوى الشر قد انقسمت بدورها إلى أحزاب متعددة . وكل مجموعة
من هذه الأحزاب تتصارع فيما بينها أيضاً في محاولتها الوصول إلى الهدف
المشترك ، ونعني به الصراع الدائم بين قوى الخير ، وقوى الشر ، لتقرير
ما إذا كانت أوامر الله العلي القدير هي التي ستسيطر ، أم أن العالم سيعمه
الشر والفساد؟^(٢).

(١) د. حسين شحاته: اقتصاد البيت المسلم في ضوء الشريعة الإسلامية . القاهرة ، دار الطباعة والنشر
الإسلامية ، ١٩٩٠ ، ص ٢٧ .

(٢) وليام غاي كار . أحجار على رقعة الشطرنج . بيروت، ترجمة/ سعيد جزائري ، مراجعة وتحرير م
بدوي، دار النفائس ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص ٢٩ .

وعلى الصعيد السياسى ، فإن الكيانات السياسية التي تضم المسلمين على اتساع الكرة الأرضية لا تملك استقلال الإرادة السياسية ، وحرية القرار ، وكذلك الحال على الصعيد الاقتصادى .. والآن : ماذا يريد المنتصر أكثر من هذا ؟

إن معركة يحقق فيها أحد طرفيها مثل هذه الانتصارات على عدوه جديرة بأن ينقش غبارها وتخدم ناراها ، ولكنها ليست هي الحقيقة ، فما زال الطرف المتفوق يكيل لنا الضربات ، ويحتاط منا ، ويجمع علينا - بل - ما زال يعدنا العدو الأول الذى يخشى جانبه ، ما زال الطرف المنتصر يزيد المعركة شراسة حتى إن الحرب لا يبدو عليها أنها في طريقها لتضع أوزارها بل العكس ! لأن عدونا يفهم حقيقة المعركة ، فما هي هذه الحقيقة ؟ نجح عدونا مرات عديدة في تفريغ الإنسان المسلم والمجتمع المسلم من مظاهر الإسلام ، لكنه صدم - أيما صدمة - حين وجد كيان الفرد المسلم يمثلئ إسلاماً مرة أخرى بمجرد أن تسنح له الفرصة ، أدرك العدو أن كيان الإنسان المسلم ما زال سليماً يصلح أن يحمل إسلاماً يوماً ما .. لذلك فإن ميدان المعركة الحقيقى الذى يحارب فيه عدونا الآن ، هو ميدان كيان الإنسان المسلم .



الفصل الثاني

المجتمع العثماني بين أواخر عهد الدولة وأوائل عهد الجمهورية

مقدمة

١- البيئة الفكرية للمجتمع العثماني.

٢- البيئة العلمية في المجتمع العثماني.

مقدمة

القواميس التي بين أيدينا لا تذكر كلمة (ثقافة) إلا لماماً، سواء في ذلك القديمة والحديثة. فلسان العرب يقول في المجلد الأول: (يقال ثقف الشيء) أي سرعة التعلم^(١). وابن دريد يقول: (ثقفت الشيء) أي حذقته، والقواميس الحديثة تقول: (ثقف ثقافة) أي صار حاذقاً خفيفاً، وثقف الكلام أي فهمه بسرعة.

إن فكرة الثقافة بمفهومها المشوش فكرة حديثة جاءتنا من أوروبا. فمفهوم (ثقافة) ثمرة من ثمار عصر النهضة، عندما شهدت أوروبا في القرن السادس عشر انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية الجليلة في الفن، وفي الأدب، وفي الفكر^(٢).

والثقافة ليست مجرد تعبير عن واقع، بل هي وسيلة فعالة لتغيير هذا الواقع. والصراع الثقافي في المجتمع هو دائماً صراع اجتماعي؛ صراع بين أوضاع اجتماعية متناقضة، يتخذ مظهراً فكرياً أو أدبياً أو فنياً^(٣). وهناك فرق بين الثقافة والتعليم؛ فالتعليم، هو تلقى معلومات منظمة بطريقة مخططة لصياغة الفكر، وتوجيه الوجدان. أما الثقافة فهي: ثمرة المعيشة الحية الثقافية في أغلب الأحيان، وهي ثمرة التمرس بالحياة والتفاعل مع تجاربها، وخبراتها المختلفة، وقد يكون التعليم أحد مصادرها. فاللقاء في مبنى واحد بين مكان العبادة، ومكان التعليم ليس بمستغرب في العالم الإسلامي.

وفي المدرسة الغربية، نجد أن الثقافة ثمرة الفكر؛ أي ثمرة الإنسان، أما في المدرسة الماركسية فالثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع. والثقافة إذا ما رددنا الأمر إلى مستوى اجتماعي، فهي حياة المجتمع وبدونها يصبح المجتمع ميتاً. ولا يمكن لنا أن نتصور تاريخاً بلا ثقافة

(١) جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري: لسان العرب. القاهرة، دار المعارف، ج. بدون تاريخ، ص ٤٩٢.

(٢) مالك بن نبي: مشكلة الثقافة. بيروت ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط ٢، ١٣٩١ هـ، ص ١٩.

(٣) إبراهيم عامر وآخرون. موسوعة الهلال الاشتراكية. القاهرة، مراجعة الطبعة الأولى، كامل

زهيري، دار الهلال، ١٩٦٨، ص ١٦٤.

فالشعب الذى يفقد ثقافته ، يفقد حتماً تاريخه .
والثقافة تتدخل فى شؤون الفرد ، وفى بناء المجتمع ، وتعالج مشكلة القيادة ، كما تعالج مشكلة الجماهير .

ومما تقدم ، نرى أن الوعي الاجتماعى هو: إدراك الإنسان لقيمته كإنسان، وإدراكه أن له حقوقاً طبيعية لا يجوز لأحد أن يسلبها منه، ولا يجوز حتى له أن يتنازل عنها . وهذه الحقوق تشمل حقه فى الحياة، وحقه فى المحافظة عليها ، وحقه فى التمتع بمؤهلاته الطبيعية وفى إنمائها.. بحيث يكون عضواً نافعاً فى المجتمع.

والوعي الاجتماعى يعنى أيضاً إدراك المرء لقيمة المجتمع الذى يعيش فيه، وسعيه لترقيته بما لديه من مؤهلات .. لكى لا يكون المجتمع مجرد مجموعة بشرية ، تعيش عيشة المجموعات الحيوانية .. الحياة فى نظرها أكل، وشرب، وتناسل فقط^(١).

كما أن هنالك الوعي السياسى لشعب ما ، وهو ظاهرة من ظواهر ثقافته العامة، ولا يعنى بالثقافة مجرد التعلم وكفى .. إنما يعنى بذلك اتساع أفق المرء، بحيث يكون متفهماً لواقعه وواقع المجتمع الذى يعيش فيه.
إن الإنسان البسيط ، سواء أكان عاملاً أم فلاحاً ، أم حرفياً ، ومهما كان متواضعاً ، أم فقيراً أم غير متعلم ، متى كان عنده من الوعي ما يمكنه من معالجة شؤونه ، وشؤون عائلته على وجه يكفل سيرها ، وما يمكنه من تذليل الصعوبات التى تعترض طريق سيرها .. إن الإنسان الذى هذا شأنه، من المعقول أن يكون عنده من الوعي ما يخوله حق الاشتراك فى معالجة شؤون المجتمع الذى هو عضو فيه .



(١) د. جورج حنا: معنى الثورة. بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٧، ص ٨٣.

البيئة الفكرية للمجتمع العثماني

أ - البيئة الفكرية للمجتمع العثماني أواخر عهد الدولة العثمانية:

لقد تم إنشاء العديد من الكليات في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وكان من أهمها: دار العلوم السياسية ، الجامعة بفروعها : العلوم ، والحقوق والآداب، وأكاديمية الفنون الجميلة وكلية الهندسة العالية ، ومدرسة المالية ومدرسة التجارة ، ومدرسة اللغات، ومدرسة المعوقين ومدرسة الفنون النسوية، ومدرسة الزراعة العالية.. وفي العهد العثماني كان هناك ثلاث مدارس للطب في دمشق وحدها ، أما الصيدلة فقد كانت فخر العهد العثماني، حيث كان الصيدلي في العهد العثماني يعتبر عالماً كيميائياً خطيراً له أسرار وله معجزات.. وله معمل ومستحضر ومختبر^(١).

كما أسس السلطان عبد الحميد الثاني التعليم الابتدائي والمتوسط ، وأنشأ المدارس الإعدادية والثانوية في كافة الولايات وأكثر المناطق ، وجعل تعليم اللغة الأجنبية إلزامياً في المرحلة الإعدادية ومن بعض المؤسسات الثقافية التي افتتحها:

متحف الآثار القديمة ، والمتحف العسكري ، ومكتبة بايزيد ، ومكتبة يلدرز..^(٢).

لقد كان نظام التعليم والتربية قبل عهد السلطان عبد الحميد الثاني قد أصابه الخمول والتوقف عن مساندة إنجازات العصر ، فأعطى منذ توليه الخلافة عناية كبيرة لإصلاح التعليم وتطوير ما يحتاج إلى تطوير فيه وإحداث الجديد اللازم له ، وإبقاء القديم الصالح على ما هو عليه . وقد قام بتحديث الجيش ، فأسرع بتجهيزه بالأسلحة الحديثة ، وما هو مناسب من فنون الحرب. وهكذا يبدو جلياً أن السلطان عبد الحميد الثاني ، قد أدخل الجديد في مجال العلم، فقد أمر بتدريس الفلسفة في مدرسة ملكية شاهانه (وهي تعادل كلية العلوم السياسية في وقتنا الحاضر)، بعد تغيير اسمها إلى (الحكمة) بدلاً من (الفلسفة). كما بذل كل ما في وسعه لكي يرى في كل

(١) فهمى الشناوى ، مرجع سابق ، ص ١٥١.

(٢) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية . بيروت ، مؤسسة الرسالة، ط٥ ، ١٩٨٦ ، ص١٣.

قريّة مسجداً وبجانب المسجد مدرسة ، ولنا أن نتخيل كم عدد الكتب التي طُبعت في عهده؟ وكم من أديب ، وفيلسوف ، وعالم كبير طُبعت أحسن أعمالهم في عهده وراجت بيعاً وقراءة؟ وفي عهده ظهر العلماء المتخصصون، لأن سياسته التعليمية كانت تهدف في المقام الأول إلى إعداد الإنسان المثقف ثقافة عالية لكي يخدم دولته ووطنه.

وقد كانت المدارس الملحقة بالمساجد تنقسم إلى :

١- المدارس الابتدائية ، ويطلق عليها المكاتب .

٢- المدارس المتوسطة ، وكان يدرس فيها عدة مقررات في النحو

والبلاغة ، والمنطق والهندسة ، وعلم الفلك ، وعلم اللغة .

٣- المدارس العالية ، ويدرس فيها الشريعة والقانون ، ولم يكن التعليم

إجبارياً، على الرغم من وفرة عدد المدارس ، وكان التعليم بالمجان في

المدارس الابتدائية ، والتي كانت تقدم لبعض تلاميذها الطعام والمأوى . أما

المدارس المتوسطة فكانت تقدم مثل هذه الخدمات لبعض تلاميذها وفي

المدارس العالية كان الطلاب يتقاضون مرتبات شهرية^(١).

ومن الملاحظ أن الدولة العثمانية قد صرفت النظر عن إرسال طلاب

من الطبقات العليا إلى أوروبا ، وبقائهم هناك سنين عديدة ، وإرسال بدلاً

منهم طلاباً من سائر الطبقات لمدد قصيرة لتعلم الأمور النافعة ، فيتسع أفقهم

الفكري، وكان السلطان عبدالحميد الثاني من المعادين للعلم الضار حتى آخر

نفس في حياته.

وكان مفهوم السلطان حول مفهوم التقدم ، والتجديد والتطور ، ينبع من

كونه حاكماً مسلماً تربي على الثقافة الإسلامية ، وأنه خليفة المسلمين.

والتقدم عنده يعنى الهدوء ، ويعنى الاعتدال فى تطبيق العلوم

التقنية، والصناعات الأوربية، وبالتالي فإنه كان مع التقدم وليس ضده ، ومع

الأخذ بما وصل إليه الغرب من تقنية ، بشرط أن تكون الحاجة إليها قائمة .

ولم ينس الاستفادة مما وصلت إليه أوروبا فى تعليم الصم والبكم والعمى ، فأقام

مدرسة حديثة لهذا.

(١) د. عبدالعزيز الشناوى: مرجع سابق ، ص ٤٤٧ .

وإذا كان الوقوف ضد التطور العلمى ، خطأ ، فإننا نجد أن السلطان عبدالحميد الثانى يؤمن بقيمة هذا التطور فى حياة الشعوب ، بل كان يشجعه طالما أن إدخاله لن يؤثر سياسياً أو اجتماعياً أو أخلاقياً فى البلاد . وقد أنشأ على حسابه الخاص أحدث كلية طب فى العالم^(١).

وفى القرن الثامن عشر بدأ الفساد ينتشر فى جسد الدولة العثمانية ، وذلك لأسباب عديدة أهمها وصول سلاطين وحكومات إلى السلطة ، لم يهتموا بأحوال رعاياهم بقدر اهتمامهم بملذاتهم ، ومصالحهم ، ترتب على ذلك انتشار الجهل والتخلف ، والفساد والرشوة فى أنحاء الدولة ، فى الوقت الذى قطعت فيه الشعوب الأوربية شوطاً بعيداً فى ميدان التقدم العلمى والاقتصادى والعسكرى . وبدأ الجيل الجديد فى الدولة العثمانية يتطلع إلى الغرب ومدارسه وكتباته ، والتى قبلت عدداً كبيراً من الطلبة العثمانيين من قوميات مختلفة ، وقد تلقوا تعليماً عصرياً أوروبياً ، يختلف اختلافاً جوهرياً عن التعليم الذى كان زملاؤهم يتلقونه فى مدارس الدولة العثمانية.

ومن الطبيعى أن ينقل هؤلاء أفكارهم إلى بنى جلدتهم ، وإلى زملائهم ويعملون جاهدين على التأثير فى مجتمعهم ، بما يحملونه من الاستهانة بقيم الدين ، واليأس من مستقبله ، وكرهية رجاله^(٢).

أما بالنسبة للأقليات غير المسلمة ، فقد كانوا متعلقين بتراثهم اللغوى والثقافى ، بحيث يصعب عليهم الذوبان فى غيره ، وكانت لهم مدارسهم الخاصة بهم ، والأفضل غالباً من المؤسسات التعليمية الموضوعه تحت إشراف الدولة^(٣).

ومع ذلك لم تحصر الدولة العثمانية قوام العاهلية فى العنصر التركى الضيق النطاق ، بل كان الاعتبار الأول فيها ، أنها عاهلية شاملة ، فكان لكل رجل مهما كان عنصره أو مكان مولده مجال لتقلد مناصب فى الدولة وبلوغ أعلى الدرجات فيها ، بشرط مراعاته للتقاليد المرعية فى

(١) د. محمد حرب: السلطان عبدالحميد الثانى آخر السلاطين العثمانيين الكبار ، ص ٨٠-٨١ .

(٢) رفيق شاعر الننتشة ، مرجع سابق ، ص ص ١١٤-١١٥ .

(٣) إشراف ، رويبر مانتران ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

الدولة، واصطبغاه بالصبغة الثقافية العامة ، من مراعاة مذهب أهل السنة، وعاداتهم الاجتماعية وتعلم الفنون الحربية مع التدريب عليها ، وإجادة اللغة التركية، المقتبسة للكثير من عباراتها وألفاظها من اللغتين العربية والفارسية، والتي ناصرها العثمانيون حتى صارت اللغة الرسمية في الحكومة^(١).

ب- البيئة الفكرية للمجتمع العثماني أوائل عهد الجمهورية:

شهدت السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تطوراً فكرياً وثقافياً في الدولة العثمانية ، فقد كان للضغوط العسكرية والصراعات السياسية الأثر البالغ في ظهور آراء مختلفة ، تتمثل في فكرة الأيديولوجية العثمانية، والفكر التركي الطوراني ، والجامعة الإسلامية وكانت جميعها رغم تباينها ، تتفق حول النقاط التالية:

- ١- ضرورة إنقاذ الدولة العثمانية ، وإعادة عظمتها من جديد .
 - ٢- الاقتناع بتقدم الغرب ، وضرورة الارتقاء لمستواه ، خاصة في التقنيات العالية ، والتي تعود بالنفع على المجتمع .
 - ٣- ضرورة التخلص من التقليد الأعمى للغرب .
 - ٤- الابتعاد عن الرومانسية في كل مناحي الحياة ، والالتزام بالواقعية .
- وعلى الرغم من إعلان العلمانية في تركيا ، إلا أن الاتجاه الإسلامي ظل سائداً، تدور حوله المناقشات ، ويشكل تياراً فكرياً نشطاً^(٢).
- وإثر هدم الخلافة الإسلامية ، وإلغاء السلطنة العثمانية ، انفرد مصطفى كمال بحكم تركيا . وأقر الدستور الجمهوري الذي لا يتمشى مع روح الإسلام، وألغى المحاكم والمدارس الشرعية واستبدل بها أنظمة أخرى، بينما كان الأوربيون يعتنون بالتعليم الديني في مدارسهم ويهتمون بالمدارس الأهلية المخصصة لذلك . كما ألغى القانون الإسلامي ، وتبنى قانون الأحوال الشخصية الذي لا يتمشى أيضاً مع روح الإسلام ، وألغى الحروف العربية

(١) جورج كيرك: موجز تاريخ الشرق الأوسط . القاهرة ترجمة عمر الاسكندري ، مراجعة د. سليم

حسن ، مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٥٧ ، ص ٩٠ .

(٢) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٤١ .

فقطع صلة الشعب المسلم بماضيه الإسلامى ، ونشأ بذلك جيل مبتور الصلة بالماضى الإسلامى العريق ، وتقهقرت الحياة الأدبية والثقافية.

وعند إعلان الجمهورية ، حذفت دروس الدين من المدارس ، كما حذفت كلمات (الخالق والرب ، والله جل جلاله) من الكتب المدرسية، ووضعت بدلاً منها كلمات (الطبيعة ، التطور الوطنية ، القومية ...) ونشر أن من علامات الثقافة والعلم إنكار وجود الله تعالى . ولم يكن بديع الزمان سعيد النورسى بمنأى عن كل هذه الأحداث ، التى يندى لها الجبين ، فلقد عاش بديع الزمان سعيد النورسى فى عصر ملىء بالشبهات التى تسللت إليه عن طريق المؤسسات الثقافية والإعلامية والتربوية، الرسمية منها وغير الرسمية ، كجزء من خطة شاملة لشن الغزو الفكرى على الإسلام ، قرآناً ونبياً ، وتاريخاً وحضارة .

ولم يبق جانب من جوانب العقيدة ، ولا الشريعة ، إلا أثاروا حوله الشبهات ، من أجل زعزعة الإيمان فى نفوس المسلمين ، وتشكيكهم فى مبادئ شريعتهم ، وقواعد أخلاقهم وسلوكهم وأعرافهم المحمودة^(١).

ولقد تبنت الدولة عبر مؤسساتها الرسمية المتنوعة نشر هذه الشبهات بكل ما أوتيت من قوة السلطة والثقافة والمال ، ولقد تصدى سعيد النورسى -رحمه الله- لهذا كله ؛ فما من شبهة إحادية أو ثقافية.. إلا وصلت إليه، فناقشها، وردّها بعقلانية فى غاية القوة ، حتى أن تلك المناقشات والردود تستغرق حيزاً كبيراً فى رسائله النورية كلها.



(١) د. محسن عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص ٢٣٦.

البيئة العلمية فى المجتمع العثماني

أولاً : تعريفات أولية لمعنى كلمة " دين " :

الدين فى اللغة : لفظ مشترك بين عدة معان كأن نقول : دان الرجل إذا أطاع ، ودان إذا عز ودان إذا ذل .. فهو من أفاض الأضداد .
قال ابن منظور^(١) حول معنى كلمة الدين :

دان نفسه ، أى أذل نفسه ، واستعبدها ، وقيل حاسبها ، وفى التنزيل ، قال تعالى : " .. ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك ... " ^(٢) صدق الله العظيم

قال قتادة : أى قضاء الملك .

والدين فى الاصطلاح : وضع إلهى شرع لإسعاد الناس فى معاشهم ومعادهم ؛ أى فى دنياهم وأخراهم :

أما إسعاد الناس فى الدنيا ، فيكون بتوفية مطالبهم المادية والروحية بحيث لا يضلون ، ولا يشقون كأفراد وجماعات. وأما إسعادهم فى الآخرة فيكون بالفوز بالجنة والنجاة من النار ، قال تعالى " ... فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز " ^(٣) صدق الله العظيم .

ومما جاء مؤكداً لسعادة الدارين ، قوله تعالى " من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجيها حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون " ^(٤) صدق الله العظيم

وإذا كان الدين واحداً لا يتعدد باعتبار وحدة مصدره ، وهو الله الواحد القهار ، فإنه يمكن أن يتعدد باعتبار رسالات الرسل ، الذين حملوها والأقوام الذين كلفوا بها ، وهى كلها تتحد فى الأصول التى جاءت بها ، تختلف فى بعض الفروع التى تتناسب مع ظروف الزمان والمكان .

(١) ابن منظور - لسان العرب . القاهرة ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، ص ص ١٤٦٧ - ١٤٧٠ .

(٢) سورة يوسف . آية ٧٦ .

(٣) سورة آل عمران . آية ١٨٥ .

(٤) سورة النحل . آية ٩٧ .

والقرآن الكريم حافل بذكر كلمة « الدين » فقد ورد ذكرها ٦٢ مرة على مدار آيات القرآن الكريم كله. أما كلمة « دين » فقد ذكرت في القرآن الكريم مرة واحدة. وكلمة "ديناً" ٤ مرات ، كلمة "دينكم" ١١ مرة ، وكلمة "دينه" مرتان ، وكلمة "دينهم" ١٠ مرات ، وكلمة "دينى" ثلاث مرات (١) .
تعريف الغرب لكلمة " الدين " بمعنى Religion :

إذا ما اتجهنا إلى الغربيين وجدنا لهم فى تعريف الدين تعبيرات شتى :

١- يقول سيسرون فى كتاب (عن القوانين) : الدين هو الرباط الذى يصل الإنسان بالله

٢- يقول الأب شانل فى كتاب (قانون الإنسانية) : الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق ، وواجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة ، وواجباته نحو نفسه .

٣- يقول ماكس ميلر فى كتاب (نشأة الدين ونموه) : الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره ، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه ، هو التطلع إلى اللانهائى ، هو حب الله .
والدين عند المسلمين هو :

الدين والملة : هو كل ما يعتقدده الإنسان ، ويقدسه ويخضع له نفسه، سواء كان حياً سماوياً أم اختراعاً بشرياً^(٢) . وقد استدل على ذلك بقول الله سبحانه وتعالى " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك " (٣) صدق الله العظيم

(١) محمد فؤاد عبدالباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . القاهرة ، دار الحديث ، بدون تاريخ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ .

(٢) د. سعد الدين صالح السيد صالح . مدخل لدراسة الأديان والملل والنحل . الزقازيق ، دار الأرقم ، ١٩٩١ ، ص ٢١ .

(٣) سورة الشورى : آية ١٣ .

وقد أطلق الدين هنا على الأديان الصحيحة ، أما الأديان غير صحيحة
ففى قوله تعالى " لكم دينكم ولى دين " (١) صدق الله العظيم .
وكلمة " الدين " ، كلمة عربية أصيلة وليست معربة عن العبرية أو
الفارسية كما يقال (٢) .

وعند الحديث عن البيئة العلمية فى المجتمع العثمانى أواخر عهد
الدولة فىمكن القول :

كان العثمانيون ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مسلمون قبل كل
شئ ، فكان ولاؤهم يتجه إلى الدين الإسلامى أولاً ، ثم إلى السلطان ، وكانت
روح الجهاد الدينى غالبية فى إسلام العثمانيين .

وقد اقترنت حركة الفتوح الإسلامية العثمانية ، سواء فى الأناضول ، أو
فى أوروبا بنشر الإسلام عن طريق القضاة ، ورجال الإفتاء ، ومن
نحوهم من رجال الهيئة الدينية الإسلامية الحاكمة ، كذلك عن طريق أتباع
الطرق الصوفية ، ورجال الفكر (٣) .

ومن مظاهر البيئة العلمية " الدينية " فى المجتمع العثمانى ما يأتى :
المساجد والمدارس :

والمساجد هى بيوت الله تعالى فى الأرض ، ولذلك نرى سلاطين
الدولة العثمانية وزوجاتهم وسائر أفراد الأسرة العثمانية الحاكمة وأثرياء
العثمانيين يحرصون على إقامة المساجد الرائعة والمعاهد ، والمدارس
لتدريس علوم الشريعة ، وأصول الدين ، وما يتصل بها من دراسات إسلامية
عليا وكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ، كما أقاموا العديد من التكايا
والخانقاوات (٤) .

(١) سورة الكافرون : آية ٦ .

(٢) د. محمد عبد الله دراز . الدين . بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان . الكويت ، دار القلم ، ط٢ ، ١٩٧٠ ، ص ٣٢ .

(٣) د. عبد العزيز محمد الشناوى ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٤) خانقاوات أو خوانق ، وهى الدار التى يتفرغ فيها الصوفية للعبادة والذكر وتلاوة الأوراد .

وتناثرت المساجد الكبرى فى المدن العثمانية لاكتساب قلوب الشعب عن طريق الدين . وكان يتبع الهيئة الإسلامية موظفو الجوامع والمساجد وهم :

الإمام : حيث كان الإمام يؤم المصلين يومياً .

خطيب المسجد : والذي يلقى خطب صلاة الجمعة ، وعيد الفطر والأضحى ، ويؤم المصلين فى صلاة الجمعة والعيدين ، وكان الخطيب أعلى مركزاً من إمام المسجد ، وهو يتناول فى خطبه المسائل الدينية، وقضايا الساعة ، وموقف الشريعة الإسلامية منها .

الواعظ : والذي يقوم بإلقاء دروس دينية فى رحاب المسجد ، ويبصر المسلمين بشئون دينهم ودنياهم ، عقب صلاة الجمعة ، أو بعد صلاة العصر أو فى الفترة التى تتخلل صلاة المغرب وصلاة العشاء .

المؤذن : وكان يختار لرخامة صوته . وقد اهتم العثمانيون اهتماماً كبيراً بالآذان . وفى المساجد الجامعة والكبرى كان يشترك عدد من المؤذنين فى أداء الآذان فى وقت واحد ، وصوت واحد عذب يخلق جواً روحانياً يشد المسلمين إلى الصلاة . وكان يسبق تعيين المؤذنين فترة تدريب يقضيها كل منهم على أداء شتى أنواع الآذان . وبجانب الآذان كان عليهم أن يرتلوا بعض الابتهالات ويتخصص بعضهم فى ترتيل آيات القرآن الكريم .

القيم : وكان يشرف على موظفى الجامع أو المسجد ، ويراقب حضورهم فى الوقت المناسب أى قبل حلول الصلاة بوقت كاف ، ويراقب أداء أعمالهم .

أما فى المساجد الصغيرة ، فكان لا يوجد سوى إمام يقوم أيضاً بوظائف الخطيب ، والمؤذن والقيم .. وكان التعيين فى تلك الوظائف يتم بمعرفة المشرفين على المؤسسات الخيرية التى تدفع مرتبات موظفى المساجد .

وقد كان المستوى العلمى لهؤلاء الموظفين لا يرقى إلى مستوى أفراد هيئة العلماء . والمسجد الكبير (الجامع) ، موقع احتشاد الجماعة لأداء

الصلاة والاستماع إلى الموعظة ، والاعتكاف والتعليم القرآنى للأطفال، ومناقشة الشؤون العامة^(١) .

بدأ السلطان عبد الحميد الثانى عهده بالاهتمام بالحركة التعليمية ، نتيجة حبه للمعارف ولتخريج موظفين واعين لإدارة البلاد ، إلا أن بعض المدارس قد تحولت إلى ميدان لتيار القومية التركية وإعداد دعاة لهذه القومية .

رأى السلطان أن المدارس ، ونظام التعليم ، أصبح متأثراً بالفكر الغربى ، وأن التيار القومى هو التيار السائد فى هذه المدارس ، فأمر باستبعاد مادة الأدب ، والتاريخ العام من البرامج الدراسية^(٢) . كما وضع دروس الفقه والتفسير والأخلاق فى برامج الدراسة ، والاقتصاد فقط على تدريس التاريخ الإسلامى بما فيه العثمانى ، وجعل السلطان مدارس الدولة تحت رقابته الشخصية .

كما أنشأ السلطان عبد الحميد " مدرسة العشائر العربية " من أجل تعليم وإعداد أولاد العشائر العربية ، وبرنامجهما؛ قرآن كريم ، وعلوم دينية تجويد .. وكذلك علوم غير دينية نافعة مثل : الجغرافيا ، والحساب .. كما أنشأ السلطان عبد الحميد " معهد تدريب الوعاظ والمرشدين " لإعداد الدعاة للجامعة الإسلامية ، والانطلاق إلى أرجاء العالم الإسلامى ، يدعون للإسلام والخلافة ، والجامعة الإسلامية .

وتم إنشاء مطبعة الولاية فى مكة المكرمة ، لطبع الكتب الدينية ، باللغات العربية ، والتركية والفارسية ، والهندية .. وتطبع الكتب الإسلامية ، ثم توزع على البلاد الإسلامية .

ومن تلك المدارس التى اهتمت بها الدولة العثمانية :

مدارس العميان : والترک ، ولهم أن يزهاوا - على مدى التاريخ - بأنهم أول من أنشأ مدارس تحفيظ القرآن الكريم للعميان ...

(١) إشراف . روبير مانتران ، مرجع سابق ج١ ، ص ٣٥٣ .

(٢) د. محمد حرب . السلطان عبد الحميد الثانى آخر السلاطين العثمانيين الكبار ، ص ٢٠١ .

ومن الجدير بالذكر أن الدولة لم تقم بالإتفاق على الكتاتيب ، بل كان الأهالي هم الذين يقومون بذلك ، كما أن الأمية لم تكن متفشية ، وكان العلم من أجل العلم ذاته ، وكان التعليم ميسراً ، ومادته الأولى القرآن الكريم ... ومن مظاهر الاعتزاز بالعلم أن المدرسين كانوا يدرسون علومهم حسبة لله تعالى ، وبدون أجر (١) .

ابتدع العثمانيون مدارس حفظ القرآن " الكتاتيب " ونشروها في جميع القرى ، والمدن . وقد كانت الكتاتيب تقوم بتحفيظ القرآن الكريم بالعربية دون فهم أحياناً !!

وإلى جانب علوم الدين ، كانت المدارس العليا تدرس الرياضيات، والفلك والتاريخ الطبيعي، وبالرغم من أن المذهب الفقهي للدولة كان الحنفي ، إلا أنه لم تغلق مدرسة واحدة لأي مذهب آخر .

دور القضاة في حياة الناس :

ينتمي القضاة إلى الهيئة الإسلامية ، وكانت المحاكم الإسلامية تنظر جميع أنواع القضايا ، سواء أكانت مدنية أو جنائية ... وكان القضاة على بكرة أبيهم مسلمين ، ويفصلون في القضايا في ضوء مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ، وهو المذهب الرسمي للدولة (٢) .

وكانت الهيئة الدينية الإسلامية الحاكمة ، وعلى رأسها شيخ الإسلام تؤدي رسالتها الإسلامية نشرًا وتعليمًا وقضاءً وإفتاءً ، وكانت هي صمام الأمان للشعب والحكومة معاً . كما كان السلطان يقوم بتعيين أحد الفقهاء في منصب قاضي القضاة لمدة سنتين أو ثلاث سنوات لكي يشرف على حفظ الحقوق طبقاً للشرع ، وباسم أمير المؤمنين (٣) .

إن القضاء في عهد العثمانيين كان مفخرة ، حيث كانت القضايا شبه منعدمة لسرعة البت فيها ، والبت فيها يكون بشريعة الله تعالى ، والقاضي

(١) فهمي الشناوي ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

(٢) د. عبد العزيز محمد الشناوي ، مرجع سابق ، ص ٤٢١ .

(٣) د. جلال يحيى . الثورة والتنظيم السياسي . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ، ص ٢٨ .

الذى يحكم بين المتنازعين هو المفتى ؛ الذى يفتى فى أمور الدنيا والدين لكل من يطرق بابه ، ودون أن يتقاضى أجراً على ذلك .

لقد كان هناك مؤسسة دينية ترعى الدين والتعليم معاً ، وفى المؤسسة الدينية لم يكن هناك فواصل بين القضاة ، والمفتيين ، والمدرسين وخطباء المساجد ، وكان القاضى دائماً هو الذى يقود هؤلاء ، وهو الذى له وحده دون باقى أفراد الحكم ، الاتصال المباشر بالسلطان ، وكانت هناك مدارس رفيعة المستوى جداً لتخريج هؤلاء القضاة ، كما كان هناك تدقيق شديد فى مستوى التدريس والتخرج .

والدولة العثمانية دولة إسلامية ، وكان يطلق على رئيسها الخليفة، ثم أطلق عليه بعد ذلك اسم شيخ الإسلام . وكانت الهيئات ذات الطابع الدينى تخضع له . وكان يعرض على شيخ الإسلام مشروعات القوانين الوضعية قبل إقرارها بصفة نهائية . ويطلب منه الرأى فى مدى مطابقتها لمبادئ الشريعة الإسلامية . وكان السلطان لا يقدم على حرب دون أن يستصدر من شيخ الإسلام فتوى يقرر فيها أن أهداف هذه الحرب لا تتعارض مع الدين ، بل إن هذه الحرب لها أسبابها القوية من وجهة نظر الشريعة الإسلامية .

وكان من حق شيخ الإسلام إصدار الفتاوى التى تجيز عزل السلطان الحاكم لسبب أو لآخر . وكان شيخ الإسلام يتقدم على جميع موظفى الدولة . ثم غدا يتمتع بمركز يمتاز عن مركز الصدر الأعظم " رئيس الوزراء " الحياة الأسرية :

فى العهد العثمانى كان الابن يحس أن أكبر خطب يتعرض له هو أن يغضب عليه والداه وكان الزواج مبكراً ، لأن الولد يدخل فى سلك العمل وسنه خمسة عشر عاماً ، ولأن تكاليف الزواج كانت رخيصة جداً ، وأعباؤه يتحملها الفقير والغنى ، وبالتالي لم تكن هناك عنوسة فأقلهن صداقاً أكثرهن بركة ، وكانت الحياة عفيفة ، وأحياناً لا يدفع الطرفان مهراً ، إذا تبادلوا أختيهما .

ولأهمية الأسرة أثار أصحاب الفكر الأوروبي شبهات حول مسألة الرق، مع أن الشرع الحنيف يأمر بمعاملة الرق معاملة شفوقة ، ويحمى الرقيق من المعاملات السيئة كافة ، والجارية تصبح فى كثير من الأحيان زوجة للباشا ، وللوزير ، وللقائد... كان الرق نظاماً شائعاً فى العالم ، وكل الاختلاف كان فى حسن معاملة الرقيق ، أو الإساءة إليهم ، وقد أمرت الديانة اليهودية بحسن معاملة الرقيق ، وحددت زمن الاسترقاق بسبع سنوات يصبح الرقيق بعدها حراً... (١) .

ومن المعروف أن سبب الرق هو : وقوع غير المسلم أسيراً فى يد المسلمين عند الحرب ، ويجوز لإمام المسلمين أن يسترق أهل البلد الذى فتح فى الحرب رجالاً أو نساء (٢) .
ولو وقع غير المسلمين فى الأسر فاسترق ، ثم أسلم ، لا يزول عنه الرق ، لأنه يُعَدُّ مالا ...

ولنعد مرة أخرى إلى دور المرأة فى العهد العثمانى ، حيث كانت تقوم بجميع أعمال المنزل مهما ارتفع مستوى الأسرة المادى ، والفتاة تضع الحجاب فى سن تسع سنوات ، وتشارك الرجل فى الحقل إذا كانت تعيش معه فى القرية ، وكل هواياتها التطريز ! فلا نوادى ، ولا سهرات حتى الفجر !

وكانت احتفالات الأسرة فى مولد الطفل ، ثم فى ختانه ، ثم فى ختمه للقرآن ، ثم فى عودته من الحج ... وكانت احتفالات الأمة فى عيدى الفطر ، والأضحى ، والمولد النبوى الشريف ، وخروج موكب الحج ، والسابع والعشرين من رجب ... وكانت الطوائف الدينية تعيش فى حرية وأمان ، واستقلال داخلى ، ولكنها فى نفس الوقت مسلمة اجتماعياً ، تحتفل باحتفال المسلمين ، وتفرح أفراحهم ، وتحزن أحزانهم ، وتوالى من والاهم، وتحارب من حاربهم (٣) .

(١) أحمد أمين . فجر الإسلام . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١٥ ، ١٩٩٤ ، ص ٨٧ .

(٢) أحمد أمين . ضحى الإسلام . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٩ ، ١٩٧٧ ، ص ٧٩ .

(٣) فهمى الشناوى ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ .

كما كان هناك تسامح فى الزواج من غير المسلمات " الكتابية " فلقد تزوج كثير من كبار موظفى الدولة بفتيات من النصارى دون أن يلقوا أى عناء ، كذلك الضباط الذين أرسلوا ببعثات إلى الخارج ، فقد عاد أكثرهم بزوجات نصرانيات . كما سُمح للنصارى بزيارة الأماكن المقدسة لهم فى كل وقت وحين . وهذا مع الوضع فى الاعتبار أن علماء الشريعة قد وضعوا عدة مبادئ فيما يختص بالزواج من الكتابيات هى :

- ١- أن يكون جميع الأولاد مسلمين بدون فرق بين الذكر والأنثى .
- ٢- عدم التوارث بين الزوجين إذا مات أحدهما .
- ٣- يكون للزوجة الكتابية كل حقوق الزوجة المسلمة ، وعليها كل واجباتها نحو زوجها وأولادها فيما عدا التوارث .

ولا يجوز للمسلم المتزوج من كتابية أن يرغمها على ترك دينها ، كما لا يجوز أن يمنعها من أداء عبادتها وشعائرها دينها . ولقد عمد عدد كبير من السلاطين للدولة العثمانية إلى الزواج من الكتابيات الأجنيات " النصرانيات " اللاتى لم يكن من رعايا الدولة العثمانية .

فقد اختار عثمان الأول لنفسه زوجة نصرانية من قبليقيا ، ورشح زوجة نصرانية أخرى لابنه أورخان ، أطلق عليها اسم " زهرة اللوتس " ، وكانت رائعة الجمال ، وقد أنجب السلطان أورخان من هذه السيدة اليونانية ابناً تولى العرش من بعده باسم السلطان مراد الأول (١٥٨٩م) ..

ومن الجدير بالذكر أن الدولة العثمانية قد خطت خطوات واسعة فى القرن التاسع عشر بوجه خاص لإزالة الفروق الدينية والمذهبية بين رعاياها المسلمين وغير المسلمين^(١) .

لقد تجلت سماحة الدولة العثمانية ، حينما فتحت أبوابها لليهود الفارين من أسبانيا نتيجة الاضطهاد النصرانى ، وفى ظلها عاش اليهود ، والنصارى على اختلاف فئاتهم آمنين على دينهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ...

(١) د. عبدالعزيز محمد الشناوى ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

وفى ظل الحكم العثماني ما كان يجرؤ حاكم عثمانى أن يقول نستفتى على تطبيق شريعة الله، أو نستبدل الاشتراكية أو الماركسية أو غيرها بالإسلام^(١). وكان الإسلام هو النظام العالمي للأمة الذي لا يجوز الاعتداء عليه بالكلمة أو السخرية من أهله .

شعيرة الحج :

لقد كانت الدولة العثمانية حريصة كل الحرص على تيسير سبل الحج أمام المسلمين ، وتأمين طرق الحج ، وقد تولت الدولة تنظيم الحج إلى الأراضي الحجازية ، أشرفت عليه إشرافاً فعلياً واعتبرت هذا العمل واجباً يقع على عاتقها ... فأنشأت الدولة الآبار على طول الطرق المؤدية إلى الحجاز ، وأقامت في البادية حصوناً لحراسة الآبار ، وشجعت على تشييد الفنادق ، وأقامت المخافر .

كان من ضمن ألقاب سلاطين الدولة العثمانية ، لقب " خادم الحرمين الشريفين " ، ولقد اهتم هؤلاء السلاطين بإقامة الشعائر الإسلامية والسنن المحمدية ، وتعظيم العلماء ، وأهل الدين وخدمة الحرمين الشريفين^(٢) .
ويبرز الطابع الديني للدولة في اهتمامها الكبير بإقليم الحجاز منذ أن غدا ولاية عثمانية . فكانت تبعية الحجاز للدولة قد أضفت عليها مركزاً دينياً مرموقاً في جميع أرجاء العالم الإسلامي على أساس أن هذه الولاية تضم أهم الأماكن المقدسة الإسلامية على وجه الأرض .

وكان هناك أمير للحج ، يشرف على عملية قوافل الحج ، ويرسل الهبات والصدقات إلى الأراضي المقدسة سنوياً^(٣) .

أما عن أرض المعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم " فلسطين " ففي ظل الدولة العثمانية ظلت " فلسطين " المسجد الأقصى إسلامية ، لا موضع فيها لليهودية أو الصليبية ، ولعلنا لا ننسى موقف السلطان " سليم

(١) جمال عبدالهادى محمد ، د. وفاء محمد رفعت . أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ " الدولة العثمانية " ، ص ٦ .

(٢) د. عبدالعزيز محمد الشناوى ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٣) د. جلال يحيى ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

الأول “ الذى أصدر أمراً بمنع الهجرة اليهودية إلى سيناء ، وسار على نفس النهج خلفه السلطان “ سليمان “ عام ٩٢٧هـ وكذلك السلطان “ مراد الثالث “، وكان السلطان عبدالحميد الثانى على نفس الطريق ، فلقد رفض بإيادى وشمم منح اليهود “ فلسطين “ وقال عنها : “ إنها أرض الأقصى التى رواها الأجداد والآباء بدمائهم “، (١) .

والحق يقال ، أن الدولة العثمانية قد أسدت خدمات كثيرة وجليلة للعالم الإسلامى تذكر فتشكر . فقد جعل السلطان عبدالحميد الثانى لبيت المقدس كياناً إدارياً خاصاً ليديرها عنها محاولات الصهيونيين لإغراقها باليهود، فأنشأ فى سنة ١٨٨٧م “ متصرفة القدس الشريف “ وجعلها تابعة للباب العالى رأساً ، أسوة بالولاية ، وبذلك ألغى تبعيتها الإدارية لولاية الشام أو دمشق ، وأصبح متصرف بيت المقدس يتصل بالباب العالى رأساً دون وساطة أو تدخل الباشا العثمانى فى دمشق (٢) .

والآن ونحن نرى المسجد الأقصى الأسير ، فإننا ننبه ، أن الأمم حينما تشرع فى أن تتمسك بماضيها من غير أن تعمل لمستقبلها شيئاً ، فإن شمسها حينئذ تكون قد أذنت بمغيب ، على أن هذه الأمم تظل موجودة ، لأن الأمم فى العادة لا تموت (٣) .

نظام الحكم فى الدولة العثمانية :

فى ظل الحكم العثمانى كانت الفرائض قائمة ، والدعوة إلى الله تعالى بالكلمة المقروءة والمسموعة ، والعلوم الشرعية تشكل قاعدة التعليم بأكمله ، سواء العلمى أو الشرعى ، أو التقنى ، أو العسكرى ، وكانت اللغة

(١) د. جمال عبدالهادى محمد ، د. وفاء محمد رفعت . أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ “ الدولة العثمانية “، ص ٥ .

(٢) د. حسن صبرى الخولى . سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين . القاهرة ، دار المعارف ، ج ١ ، ١٩٧٣ ، ص ٩-١٠ .

(٣) جورج سارتون وآخرون . الشرق الأوسط فى مؤلفات الأمريكين . القاهرة ترجمة عمر فروخ أشرف على جمعه وتحريره مجيد خدورى ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٣، ص ٥٠ .

العربية تدرس جنباً إلى جنب مع اللغة التركية ، والتي كانت تكتب بالحروف العربية .

والحكم العثماني كان يقوم على الشورى الإسلامية ؛ ومحل استطلاع حكم الإسلام في كل خطوة ، وكان لشيخ الإسلام الكلمة المسموعة ، كما كانت مجالس العلماء والفقهاء في كل قطر من الأقطار تقوم بتبيين حكم الله تعالى للناس ، وكان القضاء يحكم بما أنزل الله تعالى .

وفيما يتصل بشأن الدعوة إلى الله من قبل القائمين على الحكم فهي في مرتبة الواجب ومضمون الدعوة ثابت لا يتغير ، وحقائقها لا اختلاف عليها، وذلك لسبب واضح ، وهو أننا لسنا الواضعين لها ، ولا المختارين لها، بل هي تنزيل من رب العالمين ، واختيار مالك يوم الدين .

ونصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة قد حددت هذا المضمون وبينت معالمه ، ومطلوب من الداعية أن لا يفرط في هذا المضمون مهما كانت الدواعي والأسباب^(١) .

ومن مقتضيات الدعوة إلى الله تعالى ، إعطاء الولاء لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ورفض المبادئ والأفكار التي لا تتبثق من شريعة الله تعالى " شريعة الإسلام العظيم "

وقد اعتمدت الحكومة العثمانية منذ تأسيسها على شيوخ الطرق الصوفية من الزهاد في بعض أسس سياستها الخارجية . ففي عهد الفتوحات العثمانية في أوروبا ، كانت الحكومة العثمانية ترسل هؤلاء الزهاد إلى المناطق الأوربية المراد فتحها ، فيقيمون فيها ، ويتعرفون على الأهالي ويتعرف الأهالي عليهم ، وهذا نوع من الدعاية العثمانية للإسلام ، حتى إذا جاءت الجيوش العثمانية الفاتحة بعد ذلك ، تجد أرضاً تعرفها وتعرفهم . ثم استخدمت الحكومة العثمانية هؤلاء الزهاد في معرفة الرأي العام الإسلامي واتجاهاته .

كان من مظاهر الاتجاه الديني في سياسة الدولة تشجيع التصوف بين العثمانيين . وقد تركت الدولة مشايخ الطرق الصوفية يمارسون سلطات

(١) محمد داود . الإسلام والزمن المقبل . القاهرة ، دار المنار ، ط ١ ، ١٩٩١ ، ص ٦٩ .

واسعة على المريدين والأتباع ، وانتشرت هذه الطرق انتشاراً واسعاً ، وكان من أهم الطرق الصوفية : النقشبندية ، والمولوية ، والبكتاشية ..

ومن ثمرة النجاح الذي حققته الدولة العثمانية في مجال الدعوة الإسلامية ، افتتاحها ، ولأول مرة كلية للدراسات الإسلامية في يوغوسلافيا السابقة ، حيث يعيش فيها اليوم أكثر من أربعة ملايين مسلم ومسلمة . وستكون هذه الكلية نواة لجامعة إسلامية تدفع بالعمل الإسلامي في أوروبا خطوات واسعة إن شاء الله .

إلا أن هذا الخير كله أريد به ردة مظلمة في عهد الجمهورية التركية لتشويه الهوية الإسلامية .

ثانياً : البيئة العلمية " الدينية " في المجتمع العثماني أوائل عهد

الجمهورية :

لقد قام مصطفى كمال باستثارة روح الجهاد في الأتراك ، ورفع القرآن ، ورد اليونانيين على أديارهم في موقعة " سقاريا " عام ١٩٢١م، وتراجعت أمامه قوات الحلفاء ، دون أن يستعمل أسلحته كلها، وأخلت أمامه المواقع (١) .

انتقل مصطفى كمال إلى أنقرة واتخذها مقراً له ، ولرفاقه ، وقد دعا الجمعية الوطنية إلى إجتماع طارئ ، وطالبها بفصل السلطنة عن الخلافة .

عقد مصطفى كمال مع الحلفاء في ٢٤/٧/١٩٢٣ معاهدة لوزان، واعتبرها نصراً عزيزاً مؤزراً ، وقد وضع " كرزون " رئيس الوفد الانجليزي أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا وهي :-

- ١- قطع كل صلة لتركيا بالإسلام .
- ٢- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تاماً .
- ٣- إخراج خليفة المسلمين ، وأنصار الخلافة والإسلام من البلاد، ومصادرة أموال الخليفة وإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .
- ٤- اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم .

(١) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

ولهذا كله ، فقد أعلن مصطفى كمال فجأة وبلا مقدمات فى الجمعية الوطنية النظام الجمهورى فى البلاد . وبموجب هذا الإعلان ، أصبح أتاتورك رئيساً للجمهورية ، ورئيساً للجمعية الوطنية ، وقائداً أعلى للجيش ، وزعيماً لحزب الشعب الذى شكله بنفسه ، وجعله الحزب الأوحد ، المرخص به فى البلاد ، بالإضافة إلى ممارساته الفعلية لرئاسة مجلس الوزراء ، وفى يوم ١٩٢٤/٣/٣م استصدر قراراً من الجمعية الوطنية بإلغاء الخلافة ، وكان ذلك إنطلاقة عهد النموذج الأول ، الذى تحذى به دول الشرق الإسلامى . لقد كان لذلك صدى الواسع فى كل مجالات الحياة فى تركيا التى تدين بالإسلام وشريعته فى كل مظاهر حياتها .

فقد قام أتاتورك بمصادرة أملاك الأوقاف ، ومنع قراءة القرآن الكريم باللغة العربية ، ومنع النشاط الإسلامى كله ، وحول الأذان الشرعى إلى الأذان باللغة التركية ، وحول مساجد كثيرة إلى مخازن ومتاحف ...^(١) .

كما قرر تدريس الفلسفة المادية فى الصفوف الأولى للمدارس المتوسطة . بجانب هذا ، فقد استبدل بأحكام الشريعة الغراء القانون السويسرى ، وفرض لبس القبعة بقوة القانون على الناس مع وضع الحياة الاجتماعية الغربية بدلاً من الحياة الاجتماعية الإسلامية .

فى سبتمبر عام ١٩٢٥م - ١٣٤٤هـ ، ألغى الكماليون الطرق الصوفية ، وأغلقوا التكايا والزوايا ، وحرّموا الزى الدينى على غير رجال الدين ، وحرّم على رجال الدين أن يلبسوا زيهم إلا فى داخل المساجد ، وحددت الحكومة عدد المساجد ، ولم تصرح بغير مسجد واحد فى كل دائرة من الأرض يبلغ محيطها ٥٠٠ متر^(٢) .

خفض مصطفى كمال عدد الوعاظ من المساجد ، وأغلق أشهر مسجدين فى استانبول وهما مسجد " أيا صوفيا " ، فقد حوله إلى متحف ، أما مسجد الفاتح فقد حوله إلى مستودع .

(١) د. محسن عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٢) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

غيرت الحكومة التقويم الهجرى ، وحل محله التقويم الميلادى ، وفى دستور عام ١٩٢٨م أغفل فيه النص على أن تركيا دولة إسلامية ، كما غير نص القسم الذى يقسمه رجال الدولة عند توليهم مناصبهم ، فأصبح القسم بالشرف على تأدية الواجب بدلاً من الحلف بالله تعالى .

تغيرت العطلة الرسمية إلى يوم الأحد بدلاً من يوم الجمعة ، وأهملت الحكومة التعليم الدينى وأغلقت كلية الشريعة سنة ١٩٣٣م . كما بدأت الحكومة تفرض على الناس استخدام الأحرف اللاتينية إجبارياً .

واجهت الحكومة كل نقد دينى بالعنف ، كما قامت الحكومة التركية برصد حركات الدعاة والوعاظ والأئمة ، والخطباء ، وتتبع ما يقولون أو يعملون فى جو من عدم الراحة والإرهاب الفكرى الصارم ، والتهديد بالسجن والتعذيب ... ووصل الأمر بالدولة حد مراقبة من تحدث عن الخلافة ، حتى خارج حدود البلاد .

كما أن الكتب التى سبق طبعها بالعربية ، نقلت إلى مصر ، وقارس ، والهند ، وهكذا قطعت حكومة تركيا ما بين تركيا وماضيها الإسلامى . حيث أدى إلى تجهيل الأمة ، بفصل الجيل الجديد عن منهجه ، وثقافته الإسلامية وتراثه .

ألغى حجاب المرأة ، وأمرها بالسفور ، وألغى قوامة الرجل على المرأة ، وأطلق لها العنان باسم الحرية والمساواة ، وشجع الحفلات الراقصة ، والمسارح المختلطة .

كما تزوج من " لطيفة هانم " ابنة أحد أغنياء " أزمير " ، وجرت مراسم الزواج على الطريقة الغربية ، كى يشجع على نبذ العادات الإسلامية ، وطاف بها أرجاء تركيا ، وهى باديلة لمفاتها مرتدية لأحدث الأزياء العصرية

لقد التفت أتاتورك إلى المدارس والكليات ومعاهد العلم فرفع منها دروس الدين ، وتوجه إلى الكتب المتداولة بين أيدي الطلبة فحذف منها كل

ما يشير إلى الله عز وجل ، كخالق مبدع ورب قدير ... ونسبوا الخلق والإبداع إلى نظريات وهمية ، ليس لها أى أساس علمي ...^(١) .
لم يُشيد الكماليون أى مسجد جديد فى أنقرة عاصمة الجمهورية، كما ألغى الكماليون منصب شيخ الإسلام ، ووزارة الأوقاف ، والمؤسسات الخيرية ... وهذا قليل من كثير ، نترك تفصيله فى الفصل الثالث من هذا الباب إن شاء الله .

(١) أديب إبراهيم الدباغ ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

الفصل الثالث

آثار إلغاء الخلافة العثمانية وقيام الجمهورية التركية على تغييب الفكر الإسلامى فى تركيا

مقدمة

- ١- القرارات التاريخية الخاصة بإلغاء الخلافة العثمانية ، وقيام الجمهورية التركية .
- ٢- مبادئ الجمهورية التركية .
- ٣- موقع مظاهر الدين الإسلامى فى هذه المبادئ وظهور المصلحين .

مقدمة

لقد كان في عهد حكومة المجلس الوطنى الكبير ، قانون التشكيلات الأساسية ، الذى وضعه أول مجلس وطنى تشكل فى أنقرة عام ١٩٢١م، اعترف للدين والشريعة الاسلامية بمكانة فوق مكانة القانون . إلا أن المادة الأولى من قانون ٢٠ كانون الثانى/يناير ١٩٢١م ينص على " أن السيادة للأمة دون قيد أو شرط ، وأصول الحكم تستند على أساس حكم الشعب لمقدراته بنفسه" (١) .

وهذا فى حد ذاته تمهيد لإلغاء السلطنة ، ومن ثم الخلافة العثمانية . ولقد أمضى المجلس الوطنى الكبير شهر تشرين الأول عام ١٩٢٢م ببحث ومناقشة موضوع إلغاء السلطنة . وكان الحديث ينصب بين سدة الحكم، وأفراد الشعب على ذم السلطنة ، ومدح الخلافة .

ولقد أسهب مصطفى أتاتورك فى التاريخ الإسلامى ، والفقه والسيرة " عن طريق الخطب المكتوبة له " ، مستنتجاً ضرورة بقاء الخلافة، وإلغاء السلطنة ، لأن الاسلام ليس فيه سلطنة وهذه هى البداية الحقيقية لإعلان الجمهورية .

أولاً : قيام الجمهورية :

فى يوم ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٢٣م - ١٣٣٩هـ أنت سماء أنقرة ، واستانبول وسماء مدن الأناضول بأصوات طلقات المدافع ... فقد أعلن المجلس النيابى قيام الجمهورية وانتخب مصطفى كمال بالإجماع من قبل ١٥٨ نائباً اشتركوا فى التصويت رئيساً للجمهورية . لكن بعض الجرائد وقفت موقفاً معارضاً لهذه الجمهورية ، التى أعلنت بصورة مستعجلة ومرتبلة .

فى بداية عهد الجمهورية ، تم إلغاء السلطنة ، مع المحافظة على الخلافة إلى وقت معلوم . ولقد هيا مصطفى كمال كل المستلزمات

(١) حسن حسين جيلان . الصراع بين الإسلام والعمانية . السعودية ترجمة كمال خوجة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ٣٤ .

الضرورية لحكمه المستقبلي ؛ فألف الحكومة من أتباعه ، وغير نظام الدولة وشكلها ، بحيث لم يبق هناك أى مقام ، أو جبهة منافسة .

وقد جعل جميع القواد والضباط المعروفين فى الجيش نواباً فى المجلس دون أن يتخلوا عن مواقعهم فى قيادة الجيش ، وذلك ضمن نظام غريب لم يطبق فى أى بلد فى العالم.

وكان الغرض من ذلك ، جعل هؤلاء القواد تحت يده ، وتحت مراقبته الدائمة فى المجلس ، وليحول دون قيامهم وهم على رأس وحداتهم بأية حركة ضده (١) .

ثم كانت الخطوة التالية ، التمهيد لإسقاط الخلافة العثمانية ، فقد نشر خبر فى جريدة " أقسام " مفاده ، بأن الخليفة عبدالمجيد يفكر فى الاستقالة ، وتقول الجريدة : " إذا قرر الخليفة الاستقالة ، ووضع قراره موضع التنفيذ ، فقد تتحول الخلافة إلى وضع أكثر حيوية ونشاطاً ، بعد أن كانت لا تقوم بأى مهمة عملية ! ، ومن المقترحات التى يمكن القيام بها، مؤتمر الخلافة يعقد فى استانبول يضم ممثلين من الدول الإسلامية " (٢) .

لم يسمح مصطفى أتاتورك للخليفة أن يتدخل فى شؤون الجمهورية، وبعد إلغاء مخصصات الخليفة ، وضمانه للتأييد الكامل من الصحافة والجامعة ، والجيش ، بدأت الخطوات التنفيذية لإلغاء الخلافة .

فها هو واصف جيناز ، المعلم والصحفى ، ومدعى عام محكمة الاستقلال ... وأكبر مؤيدى أتاتورك بالكتابة والخطابة فى مرحلة ما قبل الثورة أول من دعا صراحة إلى إلغاء الخلافة . وفى ٣ آذار/مارس عام ١٩٢٤م قدمت الاقتراحات مذيلة بتوقيع بعض نواب المجلس الوطنى ، وكان من أوائل الموقعين على اقتراح إلغاء الخلافة ، وإبعاد بنى عثمان خارج ممالك الجمهورية التركية الشيخ صفوت أفندى نائب أورفا ، والشيخ ثروت أفندى نائب بورصة .

(١) ضابط تركى سابق، الرجل الصنم كمال أتاتورك. بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤ ، ١٩٨٢، ص٢٩٨ .

(٢) حسن حسين جيلان ، مرجع سابق ، ص١٥٠ .

وقد قيل أن القصد من الخلافة ، نشر الحق والعدل ، واحترام الحق، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وإزهاق الباطل ، وحماية حقوق الناس، ومهمة الخليفة ، السعى لتحقيق هذه المقاصد والتي تقوم بها الحكومة الجمهورية أصلاً . كما قيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعين حين وفاته خليفة ، كما لم يعهد بذلك إلى أحد من الصحابة . وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ترك الأمر "الخليفة" شورى بين ستة من الصحابة، وهم سيدنا عثمان بن عفان ، وسيدنا علي ابن أبى طالب، وعبدالرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وطلحة ، وسعد ابن أبى وقاص وهؤلاء الستة عينوا عبدالرحمن بن عوف حكماً فى اختيار واحد منهم ، فاختر عثمان بن عفان رضى الله عنهم جميعاً .

بعد هذه المقدمات ، تم إلغاء الخلافة الإسلامية على يد مصطفى كمال ورفاقه فى ٣ آذار/مارس عام ١٩٢٤م ، وأنكروا الصفة الإسلامية، والصفة الشرقية للجمهورية التركية ، ولم يهتموا إلا بالطابع التركى ، والطابع المتحرر من الدين الإسلامى^(١) .

وكان القانون الخاص بإلغاء الخلافة ، هو القانون رقم ٤٣١ بمواده

التالية:

المادة الأولى : لقد خلع الخليفة ، ودمجت الخلافة أساساً فى معنى ومفهوم الحكومة والجمهورية ، فمقام الخلافة ملغى .

المادة الثانية : إن الخليفة المخلوع ، وأسررة السلطنة العثمانية المندرسة من رجال ونساء وجميع الأصهار ممنوعون من حق الإقامة داخل ممالك الجمهورية التركية منعاً أبدياً . وتسرى أحكام هذه المادة على من تولد لهذه الأسرة من النساء الأخريات .

المادة الثالثة : على جميع من شملتهم المادة الثانية أن يغادروا أراضي الجمهورية التركية اعتباراً من تاريخ إعلان هذا القانون ، وخلال مدة أقصاها عشرة أيام .

(١) د. عبدالعزيز محمد الشناوى ، مرجع سابق ، ص ١٠٢٠ .

المادة الرابعة : تسقط صفة ، وحقوق المواطنة التركية من جميع

من شملتهم المادة الثانية .

وهكذا من مواد ظالمة ، لا تتماشى مع روح الإسلام وعدله ورحمته .
كان الخليفة يحكم بالشريعة ، والعلماء هم الناطقون باسم الشريعة
والخليفة ، ولهذا السبب فقد كان العلماء يملكون قوة ونفوذاً عظيمين .
فالقوانين " قبل صدور قوانين ٣ آذار عام ١٩٢٤م " بقيت تحت حكم
الشريعة التي يطبقها العلماء . وبالرغم من إلغاء السلطنة ، فقد كان العلماء
هم القوة الوحيدة التي يمكنها أن تتحدى زعامة النظام الجديد " ^(١) .

لم يجرؤ مصطفى أتاتورك في بداية الأمر على مهاجمة
الخلافة، لأن ذلك من شأنه المساس بالشعور الديني للشعب بأسره . فنأدى
بالسلطان عبدالمجيد خليفة للمسلمين ، لا سلطاناً ... خليفة مجرداً من كل
سلطان ونفوذ ... ثم إلغاء مظاهر الأبهة التي تحيط بموكب الخليفة في أثناء
تأدية الصلاة ... كما خفض مرتبه إلى الحد الأدنى ، وأندر أتباعه بوجوب
التخلي عنه ، حيث لا ينبغي أن يبقى في القسطنطينية رئيس ديني يتحدى
حكومة أنقرة .

ولا فرق بين الكماليين والاتحاديين من حيث المبدأ ، فكلاهما متفق على
نزع السلطة عن الخلفاء والسلطين تحت شعار منحها للأمة ، بل كلاهما
جمهوري ، وكلاهما لا ينظر إلى الدين على أنه دين حياة ، وكلاهما مفرط
في الشعارات الرنانة من " حرية ، وأخوة ، ومساواة " باللفظ ، دون
المعنى ^(٢) .

والاتحاديون هم أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، أما الكماليون فهم
أتباع مصطفى كمال أتاتورك ، يخلف بعضهم بعضاً على نفس مبادئه .
بعد إعلان الجمهورية ، وإلغاء الخلافة ، كان تطبيق نظرية فصل
الدين عن الدولة ... وإن فصل الدين عن السياسة هو في حقيقته تجريد

(١) حسن حسين جيلان ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤ .

(٢) د. مصطفى حلمي ، مرجع سابق ، ص ٢١٦-٢١٧ .

الحكومة من الدين لتعمل بعقلها المحدود ، متحذلة من أوامر الدين، وأحكامه، وهذا مالم تجرؤ عليه حكومة من قبل طوال التاريخ الإسلامي، بل لم تكن الفكرة تطوف ببال أية حكومة من حكومات المسلمين مهما كانت مستهترة .

كان النظام أيام الخلافة لا تخلو فيه أى مؤسسة سياسية ، أو اجتماعية من الطابع الدينى ففى القضاء كانت المحاكم الشرعية منفصلة عن المحاكم النظامية ، والمدارس الدينية كانت توجد بجانب مدارس المعارف ، وميزانية الدولة واحدة للأوقاف ، وأخرى للمالية ... ولم ير الباحث أن هناك مصلحة دينية أو قومية ساقط مصطفى أتاتورك إلى الفصل بين الخلافة والسلطة ، فإن كان الهدف من ذلك إزالة فساد الخلفاء ، فالعلاج إذن هو إبعاد هؤلاء الأشخاص، وتبديلهم بالمصلحين .

فأى حجة بعد عزل الشخص من عزل الخلافة ؟

وتدخل الجيش وتحكمه فى سياسة الدولة ، من شأنه أن يدفع البلاد إلى عدم الاستقرار السياسى . وكان أتاتورك مع إلغائه الخلافة مصمماً على منع العلماء من اعاقه خطواته الثورية . فأصبح الإلغاء بمثابة الضربة الساحقة على تنظيماتهم الإدارية ، أما إلغاء مقام شيخ الإسلام وإلغاء وزارة الشرعية ، واغلاق المدارس الدينية ... فكان بمثابة الضربات المتممة للضربة الأولى .

القرارات التاريخية الخاصة بإلغاء الخلافة العثمانية ، وقيام الجمهورية

التركيية :

تخلصت الدولة من الخليفة والأسرة ، وانفصلت الدولة عن الدين، مما ترتب على ذلك آثار منها :

١- الشريعة-السلطة المدنية : تم إلغاء وزارة الشريعة والأوقاف في ٣ آذار عام ١٩٢٤م. وفي ٨ آذار من عام ١٣٤٣هـ-١٩٢٤م ، ألغى أتاتورك وزارة المحاكم الشرعية ، وعهد بشؤونها إلى وزارة المعارف .
لقد استبدلت القوانين المدنية بالشريعة الإسلامية ، والمأخوذة عن القانون السويسري عام ١٣٤٥هـ-١٩٢٦م .. وتم إحلال التقويم الغربى مكان التقويم الهجرى ، فأصبح عام ١٣٤٢هـ ملغياً في كل أنحاء تركيا، وحل محله عام ١٩٢٦م^(١) .

وفي دستور عام ١٣٤٧هـ-١٩٢٨م أغفل النص الذى يقول بأن تركيا دولة إسلامية . وفي فبراير عام ١٩٣٧م أضيفت إلى المادة الثانية من الدستور : أن الدولة التركية هي دولة جمهورية وطنية شعبية .. وكأنهم لا يعرفون خطورة قوله تعالى " يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله " ^(٢) .
ومن الجدير بالذكر أنه كان مكتوباً فى الدستور القديم أن دين الدولة الإسلام ، وأن من حقوق السلطان إجراء الأحكام الشرعية ، والمحافظة عليها، فجاء المجلس الوطنى فى عهد أتاتورك ولقب الدستور هذا بالكتاب الأسود.

ولذلك فمئذ ١٩١٣م أصدرت الحكومة تشريعاً جديداً يحد بشكل ملحوظ من مجال تدخل المحاكم الدينية ، ويضع القضاة الشرعيين والمفسرين الآخرين للشريعة تحت سيطرة سلطات مدنية.

وفى عام ١٩١٥م نص على توحيد مجمل الجهاز القضائى ، بما فى ذلك المحاكم الدينية تحت سيطرة وزارة العدل ، واجتهدت الحكومة فى تحويل

(١) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٢) سورة ص : آية ٢٦ .

العلماء إلى موظفين يتقاضون رواتبهم ، مثلهم مثل موظفي الدولة . أما المدارس الدينية فقد وضعت تحت وصاية وزارة التعليم^(١) .
إن سيلاً من التشريعات الاجتماعية والثقافية أدى إلى تغيير المظهر الإسلامي التركي ، فمن منع ملابس شرقية ، إلى أبجدية لاتينية حلت محل اللغة العربية ، كذلك دعا أتاتورك إلى الابتعاد عن التعبير الظاهري للتقوى^(٢) .

ومما يثير العجب أن حكومة أتاتورك قد أصدرت قانوناً عام ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م ، يقضى بأن يحمل كل فرد اسم أسرته ، ويكون التعامل رسمياً بهذا الاسم . وبعد أن صدقت الجمعية الوطنية على هذا القانون، أضفت على مصطفى كمال لقب " أتاتورك " ، ومعناه أبو الأتراك .
فمن هو مصطفى كمال الذي ادعى لنفسه أنه أبو الترك ؟ وما أصله ؟ وما هي طبيعة حياته التي جعلته يقوم بكل هذه الأعمال تجاه الخلافة العثمانية ؟

٢- المرأة - الطربوش - العطلة الأسبوعية :

تم إلغاء حجاب المرأة ، وأمرت بالسفور ، كما تم إلغاء قوامة الرجل على المرأة ، وأطلق لها العنان باسم الحرية ، والمساواة مع الرجل، وشجعت الحفلات الراقصة ، والمسارح المختلطة . كما تم إزالة الحواجز الفاصلة بين مقاعد الرجال والنساء في السفن ، وسائر المراكب .. مع الادعاء بأن في ذلك فائدة صحية . وتم النهي عن تعدد الزوجات ، وهذا مخالف لقول الله تعالى {.. فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم .. }^(٣) . وقد أحله الله تعالى في كتابه الكريم مثنى وثلاث ورباع . كما منع زواج أبناء وبنات

(١) إشراف . رويبر مانتران ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٣٢٣ .

(٢) فيليبس روبنس . تركيا والشرق الأوسط . قبرص ترجمة ميخائيل نجم طوري ، مكتبة

مدبولي ، ١٩٩٣ ، ص ١١ .

(٣) سورة النساء : آية ٣ .

أقل من سبع عشرة أو ثمانى عشرة سنة^(١) .

ولقد جعل القضاء وحده هو الحاكم الفصل فى طلب الطلاق ، كما ألغيت الشريعة الإسلامية ، وفرضت قوانين الأحوال الشخصية ، كما أبيع للمرأة المسلمة أن تتزوج ممن تشاء ؛ بغض النظر عن ديانتها . وعدلت قوانين المواريث الإسلامية ، فسوى بين الأبن والبنت .

وفى مجال العمل السياسى فقد أعطى أتاتورك للمرأة حق التصويت لاختيار أعضاء المجالس البلدية .. وحررها من التقاليد العثمانية " الإسلامية" القديمة كما يزعم ، وفرض عليها التعليم الإلزامى، وشجعها على العمل فى مختلف الحقول والميادين ؛ فى الشركات والمؤسسات والمصارف، والبنوك والمتاجر ، والتدريس على مختلف مستوياته^(٢) .

وفى عام ١٩٢٦م ، ألغى أتاتورك الزواج الشرعى ، وجعله مدنياً . وألزم توثيقه أمام موظفى الدولة . وإذا كان كل ذلك قد صدر من شخص يدعى الإسلام والانتساب له ، فمن المعلوم أنه ليس من شأن المسلم أن يتحايل على شرع الله تعالى ، ولا حق لأحد أن يحلل أو يحرم إلا الله تبارك وتعالى وعندما يفعل المسلم الحرام ، ثم يلتمس طريقاً لتحليله ، فهذا التحايل دليل على ضعف إيمانه ، وهوان دينه عليه .

بل إن أهل الإيمان الحقيقيين يجدون سعادة فى الامتثال لأمر الله تعالى، ولا يجدون غضاظة فى نفوسهم من ذلك .

وفى هذا الصدد فإنه يكفى المرأة شرفاً أن الله تعالى أوصانا بها فى كتابه العزيز ، ومدحها رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ، بل إن القرآن الكريم ليُقرن طاعة الوالدين ، والأم خاصة بطاعة الله عز وجل ، ويجعل طاعتهما من طاعة الله .

(١) د٠ مصطفى حلمى ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ .

(٢) د٠ مصطفى الزين ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣ .

قال تعالى " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحساناً " (١)
صدق الله العظيم

وجعل الله تعالى عقوق الأم ذنباً يعجل لصاحبه العقاب فى الدنيا قبل
الآخرة ، حتى أن لسان العاق يعقد عند موته ، فلا يستطيع النطق بالشهادتين
تم تخويل كل شخص بالغ الحق فى تغيير عقيدته الدينية حسب
رغبته، وهذه ردة فى شريعة الإسلام (٢) .

وكما أعلن الحرب على الحجاب والنقاب بالنسبة للسيدات ، فقد أعلن
الحرب كذلك على الأزياء القديمة بالنسبة للرجال ، والذين كان عليهم أن
يرتدوا الملابس الأوروبية .

وكما أوجب الإسلام على الرجل القوامة ، فقد حبا المرأة بمكرمة
الأمومة . وكما كلف الإسلام الرجل بالعمل والسعى فى أرض الله ، فقد
كلف المرأة بعمل لا يقل خطراً وقيمة عما كلف به الرجل .. ألا وهو
التنشئة، ورعاية الأبناء ، فقد جعل الإسلام المرأة فى بيتها ملكاً غير متوج .
ولم يفرق الإسلام بين رجل ، وامرأة فيما شرعه من فرائض وما يترتب عن
هذه الفرائض من ثواب وعقاب ، وحدد للمرأة أدوارها من المهد إلى
اللحد، ولم يحرمها من الخروج فى طلب العلم ، لكنه نظم خروجها للعمل أو
للعلم أو الاستمتاع بما أحل الله تعالى .. بشرط أن يكون فى إطار الطهر
والعفاف (٣) .

وفى عام ١٩٣٥م غيرت الحكومة العطلة الرسمية ، فلم تعد يوم
الجمعة، بل أصبحت يوم الأحد تشبهاً بالغرب ، وتبدأ من الساعة الأولى من
بعد ظهر يوم السبت إلى صباح يوم الاثنين كما أصدرت الحكومة التركية
قراراً آخر بإلغاء لبس الطربوش ، وأمرت بلبس القبعة . ولم يعترض أحد

(١) سورة الإسراء : آية ٢٣ .

(٢) د جمال عبدالهادى محمد ، د وفاء محمد رفعت . أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ " منهج كتابة

للتاريخ الاسلامى لماذا؟ وكيف؟ ، ص ١٤٦ .

(٣) محمد داود ، مرجع سابق ، ص ٧٩ .

من رجال الدين ، وهم الذين كانوا يثورون لأتفه الأسباب ، وأن أول من لبس القبعة كان أحد رجال الدين ، وكان مفتياً " حسن فهمي " ملقباً بذي اللحية الحمراء^(١) . واستخدمت القوة ضد من يتعالى أو يرفض لبس القبعة . لقد فرض أتاتورك القبعة أولاً على نفسه ، ثم على حرسه الخاص ، ثم على الجيش كله ضباطه وجنوده^(٢) .

ولم يكد يمضى شهر واحد تقريباً حتى أصبح كل تركى من استانبول إلى آخر قرية في الأناضول يرتدى القبعة !

٣- تترك القرآن الكريم ، والأذان ، واستعمال الحرف اللاتينية :

أمر أتاتورك بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية ، ففقد كل معانيه ومدلولاته . كما منع تعلم القرآن الكريم بأى شكل من الأشكال وذلك بوضع أفراد من الجيش والشرطة عند المساجد وعند منازل العلماء ، حتى يحولوا دون تعلم القرآن الكريم من أى راغب فيه ، وشمل هذا العنت الصغار عندما منعوا من تعليم قصار السور . وكان إذا ضبط أحد متلبساً بتعليم القرآن الكريم أو تعلمه ، حول إلى المحاكم بالجرم المشهود ، وهو معارضة قانون الحروف اللاتينية^(٣) .

وحتى الأذان الذى توارثته الشعوب الإسلامية من غير العرب جيلاً بعد جيل ، والذى ترده مآذن جوامعها ومساجدها موقوفاً كما ثبت نصه فى السنة النبوية المطهرة ، أبى مصطفى أتاتورك إلا أن يخترع له ترجمة تركية أفقدته الكثير من الرواء والجمال ، وفرض على المؤذنين أن ينادوا به للصلاة . وذلك عام ١٩٢٨م ، واستمر الوضع هكذا حتى عام ١٩٥٠م حيث أعيد إلى وضعه الشرعى باللغة العربية .

(١) ضابط تركى سابق ، مرجع سابق ، ص ص ٣١٤-٣١٥ .

(٢) مصطفى الزين ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩ .

(٣) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

كما ألغى مصطفى أتاتورك كل التراث الثقافي للمملكة التركية، بإصداره قراراً بإلغاء الكتابة بالحروف العربية ، فتحولت الأمة التركية إلى أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ، وبدأت تتعلم من جديد ، ولهذا لم تتجب تركيا الحديثة أديباً عالمياً ، ولا عالماً ولا مؤرخاً^(١) . بسبب تفهقر الحياة الأدبية، والثقافية .. ولا نقطاعها عن جذور ثقافتها المتصلة باللغة العربية .

ثم التحول من اللغة التركية إلى اللغة اللاتينية بالتدريج ، فكانت الصحف اليومية في استانبول تنشر كل يوم نماذج من الكتابة الجديدة ، إلا أن المحافظين من رجال العلم ، والأوساط الأدبية كانوا ضد هذا التغيير الجذري ، وكانوا يتساءلون عن مصير النفاثس من الكتب باللغة التركية خاصة القديمة إن الأحرف التركية القديمة ليست تركية أو فارسية ، أو حتى عربية ، بل هي أحرف إسلامية من منبع عربي^(٢) .

ولقد استصدر أتاتورك من الجمعية الوطنية الكبرى قراراً يجعل كتابة اللغة التركية بالحرف اللاتيني إلزامية في أنحاء البلاد كافة ، اعتباراً من ٣ تشرين الثاني (نوفمبر عام ١٩٢٨ م)

ورفض أى معاملة في دوائر الدولة تكتب بالحرف العربي .. كما وعد أتاتورك بالإفراج عن كل سجين يثبت إتقانه للقراءة والكتابة للغة التركية بالحروف اللاتينية قبل إنقضاء المدة المحكوم بها !

إن الترجمة الحرفية للقرآن الكريم لا تفي بالغرض المقصود منه ، لا في الإعجاز ، ولا في الهداية الصحيحة والشاملة .

ولا يتحتم أن يكون تبليغ القرآن الكريم بترجمته ، بل يمكن تبليغ فحواه ومعناه بالسنة مختلفة حتى إذا دخلت أجناس مختلفة هذا الدين ، وأرادوا التفقه فيه تعلموا لغة القرآن ، وقرعوه بها^(٣) .

أما عن قراءة ترجمة القرآن الكريم في الصلاة ، هل تجوز أم لا ؟

(١) د. مصطفى حلمي ، مرجع سابق ، ص ص ٢٧٦-٢٧٧ .

(٢) ضابط تركي سابق ، مرجع سابق ، ص ٣٤٠ .

(٣) الأزهر الشريف . بيان للناس . مطابع وزارة الأوقاف ج ٢ ، ١٩٩٤ ، ص ٣٤٦ .

فخلاصة ما جاء فى ذلك أن الأئمة الثلاثة وهم : مالك، والشافعى، وأحمد بن حنبل لا يجيزون قراءة القرآن فى الصلاة بغير اللغة العربية . ويقول الإمام النووى فى المجموع : ترجمة القرآن الكريم ليست قرآناً بإجماع المسلمين ، ومحاولة إثبات الدليل تكلف . أما أبو حنيفة، فلم يجز القراءة بغير العربية إلا لمن عجز عنها^(١) .

٤- المساجد :

لقد تمادى مصطفى كمال فى تهجمه على بيوت الله فى الأرض، فخفض عدد الوعاظ الذين تدفع لهم الدولة أجورهم ، وأمرهم أن يفسحوا المجال فى خطبة الجمعة ، للتحدث عن الشؤون الزراعية، والصناعية، وسياسة الدولة ، حتى كبل المديح لرئيس الجمهورية، كما قام بإغلاق أشهر مسجدين فى استانبول ، وحول أحدهما وهو مسجد "أياصوفيا" إلى متحف وحول الآخر وهو مسجد "الفتاح" إلى مستودع . وجعل نفسه بذلك ممن عنتهم الآية الكريمة فى قول الله تعالى "ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ..."^(٢) .

وفى عام ١٣٥١هـ-١٩٣٢م حددت الحكومة عدد المساجد ، ولم تسمح بغير مسجد واحد فى كل دائرة من الأرض يبلغ محيطها ٥٠٠ م .

لمحة تاريخية عن حياة "أتاتورك"

"أتاتورك" لقب الغازى مصطفى كمال باشا ، أول رئيس للجمهورية التركية . ولد عام ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م) بمدينة سالونيك ، وهو ابن على رضا ، وكان موظفاً ، ثم تاجراً للأخشاب . التحق بمدرسة موناستير الإعدادية العسكرية (بالصرب) ، ثم بالمدرسة الحربية فى استانبول ، وتخرج منها عام ١٩٠١م ، وتدرج فى مناصب الجيش ، ثم انضم إلى حزب تركيا الفتاة .

(١) الأزهر الشريف . مرجع سابق ، ج٢ ، ١٩٩٤ ، ص٣٤٨ .

(٢) سورة البقرة : آية ١١٤ .

ولد مصطفى أتاتورك فى بيت قديم فى الحى التركى على الحدود الشمالية لمدينة سالونيك عام ١٨٨٠م وأختير عام ١٨٩٩م للالتحاق بكلية أركان الحرب فى استانبول . وقد تخرج منها عام ١٩٠١م ، ورقى عام ١٩٠٥م ، وسنة لم يجاوز الرابعة والعشرين . وقد برز اسمه عام ١٩١٥م أبان الحرب العالمية الأولى فى معركة غاليبولى ، والدفاع عن الدردنيل ضد الحلفاء . وبعد سقوط الدولة العثمانية ، واحتلال الحلفاء لاستانبول .

أعلن استقلاله عن حكومة استانبول ، وأسس المجلس الوطنى ، وفى عام ١٩٢١م انتصر فى معركة " سقاريا " ، فمنحه المجلس الوطنى لقب "غازى" وفى ٢٤ يوليه ١٩٢٣م عقد مع الحلفاء معاهدة لوزان ، وفى أول نوفمبر عام ١٩٢٣م أعلن الجمهورية فى تركيا ، ونقل العاصمة إلى أنقرة، وألغى السلطنة ، ومن ثم الخلافة الإسلامية ، وانتهج نظاماً مدنياً فى الإصلاح (١) .

توفى أتاتورك يوم ١٠ نوفمبر عام ١٩٣٨م على سريريه بقصر "الدولماباش" . وظل جسمانه المسجى معروضاً فيه أمام آلاف المودعين الأتراك طوال ثلاثة أيام . ثم نقل فى قطار خاص ، حيث دفن فى احتفال كبير فى الضريح الذى أقيم له فى أنقرة^(٢) . فليعش الإنسان مهما يعش فإنه ميت ، وليحبيب ما شاء فإنه مفارقه ، وليعمل ما شاء فإنه مجازى عنه .

مبادئ الجمهورية التركية :

لقد تجلت سياسة أتاتورك فى برنامج حزبه (حزب الشعب الجمهورى) لعام ١٣٤٩هـ وعام ١٣٥٥هـ بالمبادئ الستة التى رُسمت بشكل ستة أسهم على علم الحزب وهى :-
القومية - الجمهورية - الشعبية - العلمانية - الثورة - سلطة الدولة.

(١) أحمد عطية الله . القاموس الإسلامى . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ج١ ، ١٩٦٣ ، ص ٢٠ .

(٢) لجنة الرواد والمشاهير . إشراف د. رءوف سلامة موسى . مصطفى كمال أتاتورك . الاسكندرية ،

مراجعة وتقديم فتحى رضوان ، دار ومطابع المستقبل ، ١٩٨٣ ، ص ٩٦ .

اعتمد مصطفى كمال على الجيش في تنفيذ أغراضه ، لكنه أراد الجمع بين القوة العسكرية والشرعية ، المستندة إلى إرادة شعبية ، فهداه تفكيره إلى إنشاء " حزب الشعب " الذي أخذ يحكم بإسمه . وينتكون هذا الحزب من لجان المقاومة المحلية التي أنشأها في الأقاليم بمعاونة رءوف ورفعت سنة ١٩١٩م ، والتي كانت نواة المنظمات الشعبية " المسلحة " التي طردت الإنجليز واليونانيين من البلاد ، وقادتها إلى النصر (١) .

تقد كان لحزب الشعب سلطة اختيار عمدة القرية ، وواعظها ، وناظر مدرستها ، ومدير شرطتها ، وكناس شوارعها .. وقد تم تأسيس حزب الشعب الجمهوري عام ١٣٤٠هـ ، ٧ كانون الأول سنة ١٩٢٢م بمبادئه الست وهي :

أولاً : القومية :

لقد كانت كلمة " الأتراك " لا تتردد على الألسن إلا نادراً ، ويقصد بها البدو من التركمان أو الفلاحين في قرى الأناضول . وحتى كلمة " عثمانيين " لم تكن تحمل معنى قومياً ، وإنما كانت في مدلولها شبيهة بكلمة عباسيين ، أو أمويين ، أو سلاجقة " أما الأتراك فكان تعريفهم لأنفسهم أنهم مسلمون ، ولاؤهم للإسلام ، وليبيت آل عثمان " (٢) .

لقد تسربت فكرة القومية من أوروبا إلى الأتراك أولاً ، ثم إلى غيرهم بعد ذلك .

ولقد كان اللاجئون البولنديون والمجريون على الغالب ، أول الناقلين للقومية عندما ذهبوا لتركيا بعد فشل ثورتهم سنة ١٨٤٨م ، وبقي قسم كبير فيها ، واعتنقوا الإسلام ، واحتلوا مناصب هامة في الدولة العثمانية (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن أول من نادى بالقومية في مصر " نابليون " ، في محاولة لإبعاد مصر والشام عن الدولة العثمانية ، وإشعار العرب بأنهم مختلفون عن الأتراك . وجاء محمد علي ليرقع نفس الشعاع ، ثم تسلم الدعوة

(١) د. مصطفى حلمي ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧ .

(٢) محمد الخير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٣) د. يوسف القرضاوي . الحلول المستوردة وكيف جنت علي أمتهاء ص ص ١٤٣-١٤٤ .

بعد ذلك الشباب العربي المسيحي وبعض المسلمين المستغربين، ابتغاء تقويض الخلافة تحت شعارات مختلفة^(١).

وشتان بين الوطنية الإسلامية أو القومية الإسلامية والقومية الجاهلية، تلك القومية التي هي تحلل من عقدة الإسلام ورباطه، بدعوى القومية، والاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدي إلى انتقاص الأجناس الأخرى والعدوان عليها والتضحية بها في سبيل عزة أمة أخرى وبقائها. وهذا معنى ذميم، ليس من الإنسانية في شيء، ومعناه أن يتناصر بعض الجنس البشري في سبيل وهم لا خير فيه. والباحث يرفض هذه القومية شكلاً وموضوعاً لعدة أسباب منها:

١- أنه في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، وضحت نتائج ظهور الأطر القومية الجديدة. فالدولة القومية تقوم بتعبئة الهويات العرقية - اللغوية، والتي لم تكن قد ظهرت في الماضي داخل أي تجسيد سياسي واضح. وتبرز تلك التعبئة على الفور اختلاف وتفرد تلك الجماعات داخل الدولة. وتصبح تلك الجماعات معرضة لضغوط من جانب الدولة بهدف إذابة الجماعة المغايرة.

وفي حالات متطرفة يمكن أن تنتهي الأمور بالطرد أو بارتكاب مذبحه إذا ما اعترضت إحدى الجماعات على الإذابة. وتقوم جماعات الأقلية في مقاومتها لتلك الضغوط، بتطوير المدارك العرقية الخاصة بها، كما يبرز ردها على الضغوط التي تبذلها الدولة القومية، في المطالبة بإقامة دولة قومية خاصة بها. وهكذا يبرز التناقض والتباين الداخلي للدولة القومية^(٢).

٢- إن قومية الجاهلية كما بينا سابقاً، تؤدي إلى خسارة فادحة، يضيع معها التراث، وتتحط بها المنزلة^(٣). قال تعالى "وإن تتولوا يستبدل قوماً

(١) أنور الجندي. الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، ص ٢٤٨.

(٢) بوعز عفرون. الحساب القومي. القاهرة ترجمة د. محمد محمود أبو غدير، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ١٩٩٥، ص ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٣) د. يوسف القرضاوي. شمول الإسلام. القاهرة، مكتبة وهبة، ط ٢، ١٩٩٥، ص ٩٤.

غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" (١). صدق الله العظيم
لقد نبعت فكرة القومية ، والوطنية من منطلق تحطيم الوحدة
الإسلامية التي تمثلها الخلافة العثمانية ، ولتمزيق العالم الإسلامي إلى أجزاء
يسهل ابتلاعها ، وحتى يصعب إقامة دولة إسلامية كبرى تضم المسلمين
تحت راية الإسلام الخفاقة .

وننتقل من مبدأ القومية إلى مبدأ الجمهورية .

ثانياً : الجمهورية :

بدأ مصطفى كمال يدعو مواطنيه للالتفاف من حوله ، وبدأ الناس
يستجيبون له ، لا سيما بعد ما رأوا أن الزحف اليوناني ينتقل من مدينة إلى
أخرى ، ويرتكب من الجرائم ما لا يصدقُه عقل .. إلا أن الروح الوطنية
سادت الشعب ، فتطوع الرجال والنساء في الجيش الوطني وأعيد افتتاح
البرلمان ، وتكونت جمعية وطنية ، سميت بالجمعية الوطنية الكبرى، وانتخب
مصطفى كمال رئيساً لها . وفي ٢٩ من أكتوبر عام ١٩٢٣م ، أعلنت
الجمهورية التركية ، وكان مصطفى كمال أول رئيس لها ، على الرغم من
عدم اشتراك أربعين في المائة من النواب بالتصويت (٢) .

وقد كانت سياسة أتاتورك الثابتة قائمة على الانطواء . وهذه العزلة لا
تزال موجودة في الدبلوماسية التركية في الوقت الحاضر ، لذا يرى الباحث
حاجة السياسة التركية الحالية إلى انفتاح أكثر وأكثر على العالم أجمع، خاصة
العالم الإسلامي .

وكانت الجمعية الوطنية تمارس السلطتين التشريعية والتنفيذية ، وهذا
الأمر لا يروق لدى الغازي " مصطفى أتاتورك " ، لذا نراه يعلن أمام
الجمعية الوطنية ، أن هذا الأمر غير مقبول ، وليس له مثيل في جميع دول
العالم المتقدمة في حينه . ويبيّن أن كل فرد في الجمعية الوطنية يريد أن

(١) سورة محمد : آية ٣٨ .

(٢) لجنة الرواد والمشاهير ، مرجع سابق ، ص ٢١ .

يجعل من نفسه وصياً على الحكومة ، وأن يتدخل في كل صغيرة وكبيرة من شؤونها ، وأن تؤخذ موافقته سلفاً على كل خطوة تريد أن تخطوها^(١) .

هذه كانت البداية لإعلان النظام الجمهورى فى البلاد ، وانتخاب رئيس للجمهورية يكون متمتعاً بالسلطات التنفيذية كافة . وكان مشروع تعديل الدستور كما وضعه مع عصمت على النحو التالى :-

- (١) أن نظام الحكم للدولة التركىة هو النظام الجمهورى .
- (٢) يتولى تصريف شؤون الدولة مجلس وزراء ، بإشراف رئيس الجمهورية ، ومراقبة الجمعية الوطنية الكبرى .
- (٣) ينتخب رئيس الجمهورية من قبل الجمعية الوطنية الكبرى ، والتى تلتئم بكامل أعضائها .

(٤) ينتخب رئيس الجمهورية لمرءة واحدة ، ويمارس صلاحياته لغاية انتخاب رئيس جديد ، على أنه يمكن إعادة انتخاب الرئيس السابق .

(٥) إن رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة ، ومن حقه فى الضرورة أن يترأس الجمعية الوطنية ومجلس الوزراء .

(٦) إن رئيس الجمهورية هو الذى يختار من بين أعضاء الجمعية الوطنية رئيساً للوزراء ، وبعد ذلك يختار الرئيس المكلف أعضاء حكومته من بين أعضاء الجمعية الوطنية .

(٧) بعد ذلك يحيل رئيس الجمهورية الحكومة الجديدة على الجمعية الوطنية للتصويت على الثقة بها .

مما سبق يتبين أن مصطفى أتاتورك عازم على نفس النظام الذى كان قائماً قبل ذلك واقتلاعه من الجذور ، وتهيب أكثر نواب الجمعية الوطنية من الإقدام على هذه الخطوة التى وجدوا فيها تفسيراً بإلغاء السلطنة ، ومن ثم الخلافة الإسلامية ! ، فوقف أحدهم وطلب إعطاء النواب فرصة للتفكير فى الأمر . كما طالب نائب ثان بإحالة مشروع التعديل إلى لجنة قانونية لدراسته.. إلا أن مصطفى كمال طلب التصويت على المشروع فوراً ، مذكراً

(١) مصطفى الزين ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤ .

النواب بأنهم قد تعهدوا له خطياً بقبول الحل الذي يرتأيه ، للخروج من أزمة إنتخاب حكومة جديدة ، ومن أى أزمة قادمة .

وكان اعتراض بعض النواب فى محله ، فقد ألغيت السلطنة ، ومن ثم الخلافة ، وقدم مرسوماً بطرد الخليفة ، وفصل الدين عن الدولة ، وألغيت الوظائف الدينية ، وأصبحت الأوقاف ملكاً للدولة ، وتحولت المدارس الدينية إلى مدنية^(١) .

ولما جاءت الجمهورية التركية ، لم يبق فى جميع الأناضول إلا فئة قليلة جداً من النصارى، وهذا رد واضح بالدليل العملى من التاريخ إلى أولئك الذين يعترضون الآن على تطبيق الشريعة الإسلامية بحجة الأقليات!، فقد كان فى السلطنة العثمانية عشرات الملايين من النصارى يعيشون وآخريين ، متمتعين بامتيازات كثيرة .

بعد ما انتُخب أتاتورك أول رئيس للجمهورية التركية ، نشرت صحيفة "تانيں" مقالاً مطولاً هاجمت فيه إعلان الجمهورية ... ومن مبادئ الجمهورية التركية " الاشتراكية " .

ثالثاً : الشعبية :

لا يتم تحويل أى نظام من الأنظمة إلى نظام اشتراكى تلقائياً ، إنما يجب أن تكون هناك قوى سياسية واقتصادية ، تغير من النظام القديم ، وتقيم بدلاً منه نظاماً ذا طابع اشتراكى . عندئذ تظهر أهمية القوى الشعبية العاملة فى البرلمانات الشعبية الديمقراطية ، والمنتخبة انتخاباً حراً من الشعب . فالعمال والفلاحون الأعضاء فى المجالس النيابية الشعبية يستطيعون الاستحواز على الأغلبية البرلمانية ، وإصدار القوانين والتشريعات التى تحول المجتمع ، تدريجياً نحو الاشتراكية^(٢) .

(١) د. على حسون ، مرجع سابق ، ص ٢٧٣ .

(٢) د. صلاح الدين نامق . النظم الاقتصادية المعاصرة وتطبيقاتها " دراسة مقارنة " . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨ ، ص ٢٤١ .

وهناك من المفاهيم أو المدارس التي تعتنق الاشتراكية ، وتعمل من أجلها ، دون أن تكون ماركسية أو لينينية (١) .

من هذه المدارس الاشتراكية غير الماركسية ، ما يعرف باسم اشتراكية الدولة ، والتي سبق أن نادى بها بعض الاشتراكيين الفرنسيين ، وبخاصة "لوى بلان" الذى طالب الدولة بإنشاء المصانع.

لقد شهدت العقود الأولى من قيام الجمهورية أعمالاً اقتصادية حكومية، أصبحت السائدة ولاسيما فى القطاع التصنيعى ، مما أدى إلى ازدهار الاقتصاد التركى ، لكن على حساب دين متزايد بحدة ، وتضخم مرتفع ، وبطالة متنامية .

إن هدف الاشتراكية هو إسعاد الجماعة دون النظر إلى مصالح الأفراد ، وهذا مخالف لفطرة الإنسان ، لذلك سقطت الشيوعية فى مقلتها، أيام " جورباتشوف " رئيس الاتحاد السوفيتى السابق .
والاشتراكية الجماعية ، هى التى تنتظر إلى الدولة على أنها الأداة التى يتم عن طريقها التحول من الوضع القائم إلى الوضع الاشتراكى الكامل (٢) .

لقد أرجع ماركس إلى العقيدة الدينية سبب انحراف الإنسان عن غايته ، وتخاذله ، وتخليه عن مواصلة الكفاح (٣) .

إلا أن نظرة الاسلام تكاد تكون على العكس تماماً من ذلك ، ففي ظل الاسلام ، وفى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان المسلمون يعتبرون أموالهم جميعاً ملكاً لهم ، وقد جمع سيدنا أبو بكر رضى الله عنه من التجارة أربعين ألف درهم قبل إسلامه ، ومع أنه ظل يتاجر بعد إسلامه، فيجنى من التجارة وافر الربح ، إلا أن ماله يوم أن هاجر إلى المدينة كان خمسة آلاف

(١) د. راشد البراوى . المذاهب الاشتراكية المعاصرة " دراسة مقارنة " . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١ ، ١٩٦٧ ، ص ٢٢٢ .

(٢) د. يحيى عويس. الاشتراكية . القاهرة ، دار المعارف ، مجموعة اخترنا لك " ٢١ " الشهرية ، ص ١٢١ .

(٣) د. جلال يحيى . الاشتراكية والفكر الاشتراكى . القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٥ ، ص ١٨٣ .

درهم ، بسبب إنفاقه على فقراء المسلمين ... كما أنفق سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه لخير المسلمين صدقات لا يحصيها العد^(١) .

ولا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وحتى يصل به هذا الإخاء إلى غاية البر والرحمة من غير ضعف ولا استكانة .

كما أن الإسلام لم يضح بمطالب الفرد فى سبيل المجتمع "كالاشتراكية" ، ولم يقدس حرية الفرد ويغفل المجتمع " كالأسمالية " ولكن الإسلام وازن بين الفرد والمجتمع ، وربى فى الناس روح الانتماء بأسمى معانيه ... الانتماء لدين الله تعالى ، وإلى شرف العبودية لله . أما عن الحياة النيابية ، فالشعب هو الذى يختار ممثليه ، الذين تتكون منهم " السلطة التشريعية " والتي لا تملك التشريع فيما لم يأذن به الله ، لا تملك أن تحل حراماً أو تحرم حلالاً ، أو تعطل فريضة ، فالمشروع لأول هو الله تعالى ، ويشرع البشر لأنفسهم فيما أذن لهم فيه ؛ أى فيما لا نص فيه من مصالح دنياهم ، أو فيما يحتمل وجوهاً عدة ، وأفهاماً شتى يرجحون أحدها ، مهتدين بقواعد الشرع .

كما يوجب الإسلام أن تكون فى المجالس التشريعية هيئة من الفقهاء والقادرين على الاستنباط ، والاجتهاد . ثم إن المرشحين لتمثيل الأمة يجب أن يتوافر فيهم الدين والخلق .. بجوار الخبرة بالشؤون العامة .

رابعاً : العلمانية :

ومن المعلوم أن كمال أتاتورك ، مؤسس تركيا الحديثة قد حصر الدين فى المساجد ، وبعض زوايا الحياة البسيطة . وكان من نتائج الفكر العلمانى ، والثقافة العلمانية ، ظهور النزعة الوطنية والقومية ؛ بمعنى أن يصبح ولاء المسلم لرقعة معينة من الأرض ، أو لجنس وعنصر خاص من الناس . فى حين يقف المسلم فى صلاته مناجياً ربه بهذا الدعاء " اهدنا الصراط المستقيم " ^(٢) صدق الله العظيم . بصيغة الجمع ، ليستحضر فى

(١) د محمد حسين كامل . الحكومة الاسلامية . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦ ، ص ٧٢-٧٣ .

(٢) سورة الفاتحة : آية ٦ .

حسه وذهنه أمة الإسلام جمعاء من أقصاها إلى أقصاها ، لكن النزعة الوطنية والقومية جعلت المسلم يفكر في وطنه أولاً ، ويقدم غير بنى جلدته إذا كان من عنصره أو وطنه على أى مسلم من عنصر آخر أو فى بلد آخر ويسميه أجنبياً ويعامله معاملة الأجانب^(١) .

كما أن الاسلام لا يفصل بين الدين والدولة ، ولقد اهتم القرآن الكريم بالسلطة الزمنية اهتمامه بالسلطة الروحية سواء بسواء . وعلى هذا فإن قضية الفصل بين الدين والدنيا لا مجال لها فى دين الله تعالى ، وهذه المسألة فى دين الله تعالى أوضح من الشمس فى رابعة النهار ؛ فالإسلام دين عبادة ، ودين شريعة ، ودين أخلاق ، ودين جهاد ..

خامساً : الثورة :

لقد جاء مصطلح الثورة مصاحباً لكل حركة ضد الاستعمار أو النفوذ الأجنبى ، ثم توسع أصحابه فى استعماله بعد ذلك ليعبر عن كل تغيير داخلى يتم فجأة ، سواء كان مصحوباً بالعنف أو لا .

والثورة تعنى حالة مرحلية فى مجتمع متخلف لإخراجه من وضعه إلى وضع آخر ، وهى بعد أن تؤدى هذا الدور تنتهى مهمتها . والحقيقة أن الإسلام ليس ثورة ، لكنه دعوة ؛ لأن القائمين بالثورات بينهم وبين شعوبهم هوة كبيرة^(٢) .

أما عن بداية إيمان مصطفى أتاتورك بالثورة ، فقد كانت عندما تعرف على عدد من الرهبان فى دير قريب من سالونيك ، وقد عرضوا عليه أن يعلموه اللغة الفرنسية ، فأقبل على هذا النشاط بحماسة . بعدها بدأ يقرأ الكتب الأجنبية ، والتي غذت ميوله الثورية . ولما شعر بأن لديه الكثير الذى يريد أن يُطلع الناس عليه ، أخذ يجرب مواهبه الخطابية فى زملائه بالمدرسة الحربية^(٣) .

(١) د يوسف القرضاوى . الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، ص ٥٥ .

(٢) أنور الجندى . الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى ، ص ٥٥ .

(٣) لجنة الرواد والمشاهير ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

فى كلية أركان الحرب وجد ما يشبع هوايته التى ستلازمه حتى يصبح رئيساً لتركيا ، ألا وهى الانغماس فى النشاط الثورى ، فقد وجد فى الكلية جمعية الوطن الثورية ، والتى كانت تحضر لتقويض الدولة العثمانية ، فتلقى الدرس الأول فى الثورة العملية التى تنادى بالقضاء على السلطان .

ترامى إلى سمع السلطان عبد الحميد الثانى ، نبأ جمعية الوطن ، فأمر بمطاردة أعضائها ، فنزلت تحت الأرض ، وأصبحت جمعية سرية ، فتلقى مصطفى أتاتورك درساً آخر فى العمل السرى . إلا أنه قبض عليه ، وزج به فى السجن ، وكان السجن رهيباً ، ملأته الحشرات ، والرائحة العفنة وعرف فيه كيف يكون عذاب السجن ، فكملت بذلك ميوله الثورية ، وبدأ يفكر فى وسيلة مناسبة للقيام بالثورة .

نحو الثورة :

انتصرت اليابان عسكرياً عام ١٩٠٥م على امبراطورية القياصرة، وكانت اليابان دولة دستورية . كما أن بعض الطرق الشعبية، كالبيكتاشية، وغيرها ، قد لعبت دوراً فى نشر الأفكار الثورية^(١) .

هياً مصطفى كمال المناخ لنفسه ، بعد أن توالى الأحداث فى غير صالح ثورة الاتحاد والترقى التى رفعت شعار " الحرية - الاخاء - المساواة " بين جميع الناس ، بصرف النظر عن دينهم أو عقيدتهم أو جنسهم^(٢) . خاصة بعد دخول تركيا الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، وهزيمتها واحتلال الحلفاء لأجزاء واسعة من أراضيها ، وفرار زعمائها ، وبروز مصطفى أتاتورك كشخصية مرموقة . فتولى زمام القيادة فى البلاد ، عندما صرح لأهالى الأناضول بأن الحكومة التركية فى العاصمة واقعة تحت سلطة الاحتلال الأجنبية . لذلك يجب إنشاء حكومة ثورة ، ورفع

(١) روبرت مانتران ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٢٣٧ .

(٢) د. سعد الدين السيد صالح . الماسونية فى أتواها المعاصرة (البهائية الروتارى الليونز) . القاهرة ، دار الصفا ، ١٩٩٠ ، ص ٢٩ .

راية العصيان . والتف قواد الجيش من حوله ، وخضعت البلاد لحرب أهلية طاحنة .

وهكذا يمكن أن توجد بطولة ما ، ولشخص ما ، قائداً كان أو غير قائد ، ولكن لا تجوز المغالاة في تقديرها ، ولا يجوز أن ينسب لهذه البطولة وحدها كل الفضل في أعمال شاركها فيها غيرها ، لا سيما إذا كان هذا الغير شعباً بأكمله .

سادساً : سلطة الدولة :

ليس من الصواب أن تعد الحكومة نفسها حرة في سن أى قانون شاءت ، على اعتبار أن كل انسان يجب أن يكون تحت إمرة القانون وحكمه . وعندما تحل القوانين الطبيعية محل القوانين السماوية نجد الفوضى ، وقد سادت في المجتمع لخلوها من القوة التأديبية كالثواب والعقاب ، ومراقبة الله تعالى في السر والعلن .

والدولة هي تلك القوة الاجتماعية المنظمة ، والتي تملك سلطة قوية، تعلو قانوناً فوق أية جماعة داخل المجتمع ، وعلى أى فرد من أفرادها . ويميز الدولة عن بقية الجماعات ذلك الاعتراف لها بحق طلب الطاعة من المواطنين . ويعطيها هذا الحق الأولوية على كل الجماعات الأخرى في المجتمع مثل الأحزاب السياسية ، والجماعات الدينية ، والجماعات الاقتصادية .. وهناك فرق بين الدولة والحكومة ، فالدولة هي الجهاز، والحكومة هي الأشخاص الذين يحكمون باسم الدولة^(١).

لقد نادى البعض بحدوث نهضة في الشرق على غرار نهضة الغرب ، والتي حدثت بعد التحرر من سلطان الدين . ولقد وجدت فئات تؤمن أن الدين لا مكان له في توجيه الدولة وتنظيمها وأبرز مثال على ذلك "دولة كمال أتاتورك"^(٢) .

إلا أن الباحث يرى الإنسان في دولة الإسلام يكون آمناً على نفسه، وأهله ، في حله وترحاله ليس لأن هناك من يحمي أمنه من الحكام

(١) إبراهيم عامر وآخرون ، مرجع سابق ، ص ص ٢١٥-٢١٦

(٢) د يوسف القرضاوى ، شمول الإسلام ، ص ٥٣ .

فحسب ، بل لأن الأمن قد رسخ في نفوس الناس فقرت وأطمأنت ، وتركت مجالات الصراع الذى لا جدوى منه حول نزوة أو رغبة أو هوى ، لتخوض صراعاً أسمى وأكرم .. صراع الإنسان ضد نفسه من حطة ، وجهاده الدائم فى تهذيبها والارتقاء بها .

والسلطة هى القدرة على فرض إرادة ما على إرادة أخرى . والغرض يتم بإحدى وسيلتين ، إما بالقهر والعنف ، وإما بالاقناع الحر ، وضرب المثل ، وتقديم النموذج .

ومن الغرائب أن تستبيح الدولة ما تحرمه على الفرد ، فتراها تحكم بموت من يقتل إنساناً وتقتل الألوف من البشر ، وتسجن من يسرق رغيفاً على حين أنها تسرق أقاليم برمتها ، وتسمى ذلك غزواً وظفراً . وتتهى عن التجسس وتثيب الجواسيس لحسابها ، وتضحى بمن تضحى من الأبرياء حرصاً على سيادتها^(١) .

والدولة لا بد منها للحفاظ على الحق وصيانة الحريات ، وذلك هو مبرر وجودها . أما الطغيان من أى نوع كان ، فتابع لمملكة قيصر ، لمملكة الشيطان .

موقع مظاهر الدين الإسلامى فى مبادئ الجمهورية التركية :

من الواضح أن النيل من علماء الدين يعتبر نيلاً من الدين نفسه . كما أن العلماء فى الدولة العثمانية قد تمتعوا بمكانة مرموقة ، سواء عند السلاطين ، أم عند أفراد الشعب باختلاف طوائفه غير أن النظام الجمهورى حط من هذه المكانة العالية للعلماء ، وقام بالتهوين من شأنهم لدى الناس .. فتم إقالتهم من وظائفهم ، وألغيت مخصصاتهم التى كانت لهم أيام الدولة العثمانية وضيق عليهم فى القيام بواجبهم الدينى فى الأمة ، ومنعت حلقات علوم الشريعة فى المدارس .

أما كلية الإلهيات التى أنشئت مع بداية عهد الجمهورية ، فلم تستطع القيام بتنشئة علماء فى التخصصات الإسلامية ، بل أسهمت فى تنشئة

(١) بولس سلامة . الصراع فى الوجود . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، ص ٤٣٧ .

متخصصين هم أقرب ما يكون إلى الفلاسفة منهم إلى علماء الدين المتخصصين في العلوم الشرعية^(١) .

لقد طرد السلطان العثماني نهائياً خارج تركيا عام ١٩٢٤م ، وصار مصطفى أتاتورك رئيساً للجمهورية ، ومن هذا التاريخ شرع في اتخاذ عدة إجراءات لتغيير الشعب التركي منها :

١- تم إلغاء الخلافة في ٣ مارس عام ١٩٢٤م . وتتابعت الخطوات نحو إنهاء الماضي كله وإنشاء دولة جديدة لا تمت إلى الماضي بأي صلة ، بل تنكره ، وتراه عبئاً ضخماً ، وعقبة كؤوداً .

٢- إلغاء كل القوانين التي كان معمولاً بها في عهد السلطنة، وإعلان فصل الدين عن الدولة ، وتم تأليف لجنة من رجال القانون من أجل إعداد تشريعات مدنية ، وجزائية جديدة مستمدة من أحدث التشريعات الأوروبية^(٢) . فالقانون المدني التركي استمد أحكامه من القانون المدني السويسري ، وصدر في صورته الجديدة في ابريل عام ١٩٢٦م، كما استمد القانون الجنائي التركي من قانون العقوبات الإيطالي ، وصدر في أول يولية عام ١٩٢٦م ، والقانون التجاري اقتبس من القوانين الألمانية والفرنسية والإيطالية ، وصدر في ٤ أكتوبر من نفس السنة^(٣) . والله تعالى يقول تعقيباً على ذلك " أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون"^(٤) صدق الله العظيم .

وبناء على ما تقدم فقد تم إدخال تعديل هام على الدستور الجمهوري الذي كان قد أقره المجلس الوطني الكبير في ٢٠ من ابريل عام ١٩٢٤م . فقد تقرر في ابريل سنة ١٩٢٨م تعديل المادة الثانية من الدستور بحيث يحذف منها العبارة التي تنص على أن " دين الدولة التركية الإسلام " مما ترتب عليه إدخال تعديلات على المواد الأخرى التالية من الدستور والتي

(١) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

(٢) مصطفى الزين ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤ .

(٣) لجنة الرواد والمشاهير ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

(٤) سورة المائدة : آية ٥٠ .

كانت تمس موضوعات فيها إشارة إلى الدين الإسلامي ، فاستبعدت مثل هذه الفقرات من مواد الدستور الجمهورى وفى فبراير عام ١٩٣٧ أضيفت إلى المادة الثانية من الدستور عدة مبادئ كان ينادى بها الحزب الجمهورى الشعبى ، فجاء النص المعدل الذى يقول : إن الدولة التركىة هى دولة جمهورىة وطنىة شعبىة عالمىة^(١) .

٣- ألغى الكمالىون منصب شىخ الإسلام ، ووزارة الأوقاف، والمؤسسات الخبرىة وأنشأوا إدارتىن جددتىن إحداهما للشؤون الدينىة ، ألحقت بمكتب رىس الوزراء فى أنقرة ، وأخرى للمؤسسات الخبرىة .

٤- قامت هىئة من أساتذة كلىة الإلاهيات بجامعة استانبول عام ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م بتقديم لائحة إصلاحات إلى الدولة .. فكان مما تضمنته هذه اللائحة ، أنه ينبغى أن تكون المعابد نظىفة ، وملائمة لزيارتها والجلوس فىها ، كأن توضع فىها الكراسى ، وما يحتاجة الزائرون .. وينبغى أن تؤدى العبادة باللغة التركىة بحيث تتلى الفاتحة وسور القرآن الكرىم، والخطب والأدعية بهذه اللغة وحدها .. أما صىغة العبادة ، فىنبغى أن يتوافر لها الجو الروحى ، وذلك بإعداد الأئمة ، والمؤذنىن من ذوى الأصوات الحسنة ، وممن لديهم استعداد للتغنى ، وذلك بمصاحبة الآلات الموسىقىة^(٢) .

٥- إهمال التعلیم الدینى كلیة فى المدارس الخاصة ، ثم بعد ذلك ألغى نهائىاً ، وبدأ ینقلص عدد طلاب كلیة الشرىة إلى أن أغلقت عام ١٣٥٢هـ-١٩٣٣م . على اعتبار أن الإسلام عقیدة دینیة فقط ، فلم یكن الإسلام فى نظرها نظاماً سیاسیاً أو اجتماعیاً^(٣) . وانطلاقاً من هذا المبدأ ، فقد صادر أتاتورك جمیع المدارس الدینیة الإسلامیة ، والمسیحیة

(١) د. عبد العزیز محمد الشناوى ، مرجع سابق ، ص ٨٦-٨٧ .

(٢) د. فرج محمد الوصیف ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

(٣) د. عبد العزیز محمد الشناوى ، مرجع سابق ، ص ١٠٢٢ .

واليهودية، وحوّلها إلى مدارس حكومية مهنية ، واستدعى الخبراء الأجانب لتعليم الشباب الأتراك لعلوم التقنية والميكانيكية .

٦- تغيير نص القسم الذى يقسمه رجال الدولة عند توليتهم لمناصبهم ، فأصبحوا يقسمون بشرفهم على تأدية الواجب بدلاً من الحلف بالله تعالى ، كما كان عليه الأمر من قبل .

٧- الاهتمام بالفنون حتى ازدهرت ، وأقيمت التماثيل لأتاتورك فى الميادين الكبرى ، وزاد الاهتمام بالرسم والموسيقا ، ووفد إلى تركيا عدد كبير من الفنانين أغلبهم من فرنسا والنمسا . فى حين أن السلاطين ، محمود الثانى ، وعبد المجيد الأول ، وعبد العزيز ، وعبد الحميد الثانى كان لهم تحفظات فى كل ما اقتبسوه من الحضارة الغربية .

٨- القول على الإسلام واتهامه بالرجعية ، وعدم ملاءمته للعصر ، وأنه سبب تأخر المسلمين ، خاصة الأتراك ، لأنه مانع من التقدم والارتقاء ، وأنه دين السيف ، ومزيج من التعاليم اليهودية والنصرانية .

٩- أما خطبة الجمعة ، والعديد من العيدين فينبغى أن تكون مكتوبة من إدارة الشؤون الدينية ، مع سبق إعدادها وكتابتها ، على أن يكون مضمونها خاصاً بأمر العباد والأخلاق ، ونحو ذلك من القيم الدينية والفضائل ، ودون التعرض بشكل قاطع للأمور السياسية ، والاجتماعية والاقتصادية، والفكرية ..

وإذا ما نظرنا إلى الديمقراطية والحكم الديمقراطى ، نجد أن الديمقراطية هي سيادة الشعب ؛ فهو الذى يختار القانون الذى يحتكم به، ويختار الحكام الذين يطبقون هذا القانون ، ومحاسبتهم وعزلهم إذا ما تصرّوا فى أداء واجبهم تجاه شعوبهم .

ولقد خص الله عز وجل نفسه بالمنهج والتشريعات " التى لا يعارض بعضها بعضاً ، وخص الحكومات بتنفيذ هذه المنهج والتشريعات تحقيق العدالة^(١) .

(١) سالم على البهنساوى ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣

وبالدعوة الدينية ، تزيد الدولة فى أصولها قوة على قوة العصبية التى كانت لها من عددها وعتادها ، ذلك أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذى فى أهل العصبية . فجيش الإسلام غالباً ما يكون قليل العدد، بعكس الجيش المعادى مثلاً ، ومع ذلك تكون الغلبة لجحافل الإيمان، فالاجتماع الدينى يضاعف قوة العصبية ، وبدون الدين تكون الغلبة للعصائب المتكافئة^(١) . والدين الذى كان يوماً ما سبب الرفة والفوز، والغلبة ، لا يمكن أن يكون هو بذاته سبب التدهور ، والانحلال والهزيمة . لقد كان هذا كله سبباً قوياً فى بروز فئة من المصلحين تعرف حقيقة كل هذه الأحداث المتصلة بتلك الجمهورية ، وأيضاً تعرف وتعى جيداً حقيقة دينها الإسلامى ، حتى كانوا بظهورهم تجديداً لهذه الأمة .

ظهور المصلحين :

فالحديث عن المصلحين المجددين ، ولا سيما المحدثين ، يبعث الحياة فى الأمة ، ويوقظها من سباتها ، لتأخذ بالزمم مرة أخرى ، وتتبوأ مكانتها فى العالم تحت راية القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، فتسعد بها البشرية جمعاء بدلاً من الشقاء الذى تنقلب فى ناره . ومن هؤلاء بديع الزمان سعيد النورسى ذلك الداعية والمصلح ، جدد عصره بلا شك وكان مبعث الأمل فى أمته . ولعله كان مصداقاً لما رواه أبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم : " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " (٢) .

الضغط الشعبى :

وهذه الفئة من المصلحين لهم الدور الكبير فى قيادة الضغط الشعبى على مثل تلك الحكومات التى تصادم رغبات شعوبها ، ولذلك يستجيب بعض الحكام للضغط الشعبى المتزايد مثلما فعل خليفة مصطفى أتاتورك " عصمت اينونو " عندما تظاهر ببعض الاستجابة لمشاعر الناس

(١) عبد الرحمن بن خلدون . مقدمة ابن خلدون . القاهرة ، دار الشعب ، بدون تاريخ ، ص ١٤٢ .

(٢) سليمان ابن الأشعث السجستانى الأزدي . سنن أبى داود . بيروت ، تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، ج٤ ، بدون تاريخ ، ص ١٠٩ .

الذين يحرصون على شعائر الإسلام ، فأعاد تعليم الدين فى المدارس فى غير ساعات الدراسة وإعادة الأذان باللغة العربية ، ورفع الحظر عن الراغبين فى الحج ، وإعادة التعليم الدينى إلى سيرته الأولى ، بالإضافة إلى المحافظة على عربية القرآن الكريم . وأقيمت مدارس الأئمة والخطباء وأقيمت معاهد إسلامية عالية ، وسمح بتلاوة القرآن الكريم بالإذاعة ، وامتد التدريس الدينى إلى المدارس ، وافتتحت كلية الدين الإسلامى فى أنقرة . وهذا الضغط الشعبى سببه الدعاة إلى الله الذين يبتغون الأجر من الله تعالى دون سواه .

لقد كان العصر الحديث ينتظر بفارغ الصبر متكلماً ينظر إلى العصر الحديث من خلال علمه الإسلامى الغزير ، ووعيه الحضارى الشامل، واطلاعه العلمى الدقيق على حركة التطور العلمى وإدراكه العميق لجوهر الصراع بين منظومة الحضارة الإسلامية ، ومنظومة الحضارة الغربية . وشاءت إرادة الله تعالى أن يكون ذلك المتكلم هو الإمام المجاهد الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسى^(١) .

ويرى المصلحون أن العلة فى انحطاط المسلمين هى تركهم العمل بدينهم ، ونبذهم كتاب ربهم وراء ظهورهم ، وإهمالهم سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، والسير على هديها ويستشهدون على ذلك بتاريخهم المجيد ، فقد سادوا الدنيا ، وشادوا ، أيام استمساكهم بهذا الدين ، حتى جبيت لهم الأرض ودانت لعزهم فى طولها وعرضها . فلما تولوا أزاغ الله قلوبهم وأذهب ريحهم ، وحاقت بهم أسباب الانحطاط والمذلة^(٢) .

وللعودة الحميدة إلى هذا المجد ، لا بد من العودة الحميدة إلى دين الله، مع استعمال الأدوات اللازمة لتنفيذه ، وأولها عدم فصل الدين عن الدولة، ومخاطبة الحكام بالحكمة والموعظة الحسنة لتحقيق هذا الهدف الأسمى والنبيل .

(١) محسن عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

(٢) د. مصطفى حلمى ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .

لقد كان المجتمع التركي في أمس الحاجة - خاصة بعد سقوط الخلافة الإسلامية - إلى دعاة العصر المجددين للعودة بالأمة مرة أخرى إلى هويتها الإسلامية . ومن فضل الله تعالى أن سعيد النورسي كان في مقدمة الدعاة المصلحين ، والذي كانت حياته حافلة بالأحداث العظيمة ، دفاعاً عن الإسلام ، وتثبيتاً له في القلوب . فهز بذلك تركيا من أقصاها إلى أقصاها، وقذف بفضل الله تعالى الرعب في قلوب الأعداء .

الباب الثاني

حياة بديع الزمان سعيد النورسي وتأثيره

الفصل الأول : الإطار الاجتماعي والديني الذي ظهر فيه بديع الزمان سعيد النورسي .

الفصل الثاني : حياة بديع الزمان سعيد النورسي .

الفصل الثالث : الإطار الفكري والدعوى لبديع الزمان سعيد النورسي .

الفصل الأول

الإطار الاجتماعي والديني الذي ظهر فيه بديع الزمان سعيد النورسي

- ١- شرق الأناضول بين أواخر الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية .
- ٢- العلوم الدينية في شرق الأناضول .
- ٣- التيارات الفكرية السائدة في الأناضول .

شرق الأناضول بين أواخر الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية

كان الأكراد وانطلاقاً من نزعتهم الاستقلالية ، وحرصهم على الاحتفاظ بهويتهم ، وقد اعتنقوا الإسلام السني لتأكيد اختلافهم عن الإيرانيين الشيعة ، واختاروا الشافعية من المذهب السني ، لتأكيد اختلافهم عن الأتراك السنة الحنفيين . وينتمي بعض شيوخ الأكراد ورؤساؤهم الدينيون ، خاصة في كردستان تركيا إلى بعض الطرق الصوفية النقشبندية والقادرية .

شرق الأناضول وأواخر الدولة العثمانية :

إن المناطق الكردية الريفية لهي متخلفة في تطورها الاجتماعية؛ فالمستويات التربوية في شرق الأناضول أدنى إلى حد كبير مما هي في بقية أنحاء تركيا . ويعود ذلك إلى حد كبير إلى الموارد القليلة المتوفرة هناك ، وكذلك إلى الاستثمارات المنخفضة . والكثير من القرى الكردية النائية لا توجد فيها أية مدارس ، والمدرسون المدربون على غير استعداد للعمل في هذه المناطق الجبلية والقليلة السكان (١) .

سكان المناطق الشرقية كما وصفهم بديع الزمان سعيد النورسي سذج ؛ فأقصى ما يتصوره البدوي لعظمة السلطان لا يرقى إلى مستوى أمر فوج في الجيش (٢) .

إلا أن بديع الزمان سعيد النورسي سبق أقرانه بمراحل ، وتفوق عليهم لشدة ذكائه الخارق ولحبه الجم في العلم والتعلم ، قرر إنشاء جامعة إسلامية في شرق الأناضول باسم "مدرسة الزهراء" لخدمة القرآن الكريم ، على غرار جامعة الأزهر الشريف ، يدرس فيها العلوم القرآنية والعلوم الحديثة، لتنشئة شباب متقف يجمع بين ثقافة الماضي والحاضر ، وتكون له القدرة على نشر الدعوة الإسلامية في كل مكان . ولتحقيق فكرته هذه سافر

(١) فيليبس روبنس ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي . الكلمات . القاهرة ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، سوزلر للنشر ، ط ٢ ،

١٩٩٢ ، ص ص ٣٩٨-٣٩٩ .

إلى استانبول ، وبقي هناك في بيت أحد أصدقائه سنة ونصف في محاولة مستمرة لاقتناع المسؤولين بفكرته ، لكنه لم يوفق .

ولم يدخر سعيد النورسي جهداً في إقناع السلطان عبد الحميد الثاني بافتتاح المدارس التي تعلم العلوم الرياضية ، والفيزياء ، والكيمياء .. بجانب المدارس الدينية في شرق الأناضول ، حيث يخيم الجهل على سكانه^(١) . وكان الأستاذ سعيد النورسي يتجول بين القرويين الأكراد في شرق الأناضول ، يحدثهم عن أمور دينهم ، وتدور بينه وبينهم المحاورات الطيبة، بما في ذلك فكرة إنشاء "جامعة الزهراء " التي حضهم على المساهمة في إنشائها .

ففي (وان) أخذ سعيد النورسي يلقى دروسه في مدرسة خورخور ، وفي أثناء إقامته في (وان) أخذ في تنوير العشائر الكردية في الشرق الأناضولي ، فأطلعهم على أمور دينهم وخلال تجواله في محافظة (وان) ولقائه بالمتقنين الإسلاميين ، وطلبة العلوم الإسلامية ، والأساتذة وأفراد العشائر ، تيقن بأن على المسلمين الأخذ بالعلوم الطبيعية ، لذلك أخذ في دراسة الجغرافيا ، والفيزياء والفلك^(٢) . وفي مدينة (وان) بدأ سعيد النورسي دعوته الإرشادية التربوية.

من هذا المنطلق أدرك سعيد النورسي أهمية تدريس العلوم الطبيعية جنباً إلى جنب مع العلوم الدينية ، والعقيدة الإسلامية ، حتى يستطيع الذين لا يفهمون إلا بلغة العلوم الطبيعية الوصول إلى فهم حقيقة الإيمان والإسلام . ولقد كان الشرق الأناضولي محط أنظار الدول الغربية ، ففي عام ١٨٩٠م وصل التحريض البريطاني للأرمن ضد الدولة العثمانية ذروته، عندما حرّض الانجليز الأرمن على القيام بعصيان وتمرد دموي ضد الأهالي المسلمين من أكراد وأتراك .

(١) د فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

(٢) د محمد حرب.عثمانيون في التاريخ والحضارة. القاهرة،المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العال التركي،١٩٩٤،ص٢٥٣ .

ولقد قام السلطان عبد الحميد الثانى بحماية المواطنين العثمانيين من هجمات الأرمن الدموية ضدهم . فأرسل إلى شرق الأناضول حيث يقيم الأكراد ، وفوداً من علماء المسلمين للنصح والإرشاد والدعوة إلى التساند الدينى الإسلامى . وأدت هذه الوفود دورها فى إيقاظ الأكراد تجاه الأطماع الغربية . كما اتخذ السلطان عبد الحميد إجراءات يضمن بها ارتباط أمراء الأكراد به وبالدولة ، وأسس الوحدات العسكرية الحميدية فى شرق الأناضول من الأكراد للوقوف أمام الاعتداءات الأرمنية^(١) .

ولقد ألف بديع الزمان كتابه "الخطوات الست" وأخذ ينشره سراً بمساعدة طلابه وأصدقائه يهاجم فيه الإنجليز بلهجة قوية رادعة .

وفى عام ١٩٠٧م رجع الاستاذ سعيد النورسى مرة أخرى إلى استانبول، حيث سكن فى "خان الشكرجى" بمنطقة الفاتح حيث كان مقراً لكثير من المفكرين والأدباء ، أمثال الشاعر المشهور محمد عاكف .. فعرض عليهم فكرته فى إنشاء جامعة إسلامية فاستحسنوها ، لكن هذه الأفكار لم تخرج إلى النور .

وفى عام ١٩١٢م ، وقبيل نشوب "حرب البلقان" عين النورسى قائداً للقوات الفدائية التى تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من شرق الأناضول ، وقبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى أصبح عضواً فى "تشكيلات خاصة" وهى مؤسسة عسكرية وسياسية ، وأمنية سرية ، شكلت بأمر سلطانى ، ووظيفتها المحافظة على وحدة الأراضى للدولة ، ومحاربة أعدائها .. وكان من بين أعضائها كبار الكتاب ، ورجال الفكر ، وكان بديع الزمان سعيد النورسى من أنشطهم فى هذه المدرسة ، التى أصدرت فتوى "الجهاد" ضد الأعداء مع بداية الحرب العالمية الأولى .

سافر بديع الزمان إلى دمشق ، ثم إلى بيروت ، بعدها إلى استانبول عن طريق البحر للسعى مرة أخرى وراء تحقيق غايته فى إنشاء جامعة الزهراء ، فيقابل السلطان محمد رشاد ، وقد أخذ وعداً منه ومن جمعية الاتحاد

(١) د. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثانى آخر السلاطين العثمانيين الكبار . ص ١٣٢ .

والترقى بفتح دار للفنون الإسلامية "جامعة إسلامية" في الشرق الأناضولى
إلا أن أحداث الحرب العالمية الأولى قضت على هذا المشروع^(١).

ولأهمية بديع الزمان سعيد النورسى العلمية ، فقد عين عضواً فى دار
الحكمة الإسلامية ، وهى هيئة علمية تابعة للمشيخة الإسلامية للدولة العثمانية
فى ١٣ أغسطس عام ١٩١٨م دون علمه حيث كانت عضوية الدار لا توجه
إلا للأشخاص والعلماء البارزين . ولأهمية العلم وتعلمه كان الأستاذ
النورسى يوزع كتبه مجاناً على أفراد الأمة الإسلامية فى أنحاء متفرقة من
العالم .

أما إذا أردنا الحديث عن تركستان الشرقية ، لأهميتها فى التاريخ
الإسلامى ، نجدها وقد أنجبت المحدثين والمفسرين ، والفقهاء وعلماء الدين
المسلمين والمفكرين ، والفلاسفة والحكماء

كما أن مدن تركستان الشرقية كانت فى وقت من الأوقات منارة للعلوم
الإسلامية ، ومراكز ضخمة للثقافة الإسلامية مثل : بخارى ، وسمرقند ،
وطشقند ، وكاشغر .. ولقد نجح مسلمو تركستان فى نشر الإسلام بين ملايين
البراهمة فى الهند ، والذين قامت على أكتافهم دولة الباكستان الحالية . كما
نشروا الإسلام فى الأناضول ، وتحويل الأناضول من منطقة بيزنطية
مسيحية إلى منطقة تركية إسلامية ، قامت فيها دولة تركية عظيمة ، حملت
الإسلام أمداً طويلاً وأوصلته إلى أواسط أوروبا^(٢).

كما انجبت تركستان الشرقية علماء الدين الأفداء ، أمثال : الإمام
البخارى ، والإمام الترمذى ، والإمام الغزالى ، وفخر الدين الرازى ،
والعلامة الزمخشرى ، وغيرهم الكثير .

(١) مصطفى زكى العاشور ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٢) د محمد حرب . المسلمون فى آسيا الوسطى والبلقان . القاهرة ، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث

العالم التركى ، ط ١ ، ١٩٩٣ ، ص ١٥٤ .

شرق الأناضول وقيام الجمهورية التركية :

قدم مصطفى أتاتورك استقالته من وظائفه كمفتش للجيش الثالث، ومن الجيش أيضاً حتى يتمتع بحرية حركية أوسع ؛ مع أنه غامر بخسارة الهيئة المرتبطة بارتداء البزة العسكرية . وفي أواخر شهر يوليو عام ١٩١٩م ، نظم مصطفى أتاتورك في أرضروم مؤتمراً شارك فيه أربعة وخمسون مندوباً قادمين من ولايات تركيا الشرقية وقد أكد مراراً بأن ولايات شرق الأناضول سوف تتصدى لأي احتلال أو تدخل أجنبي . وإذا ما ظهر عجز حكومة السلطان عن حماية استقلال الأمة ، ووحدة أراضي الوطن، فسوف يجرى تشكيل حكومة مؤقتة لتسيير شؤون الدولة، مستمدة قوتها من "الجمعية الوطنية" الكبرى^(١) .

وعندما كان مصطفى أتاتورك يقود شعباً مسلماً في معارك التحرير، كان يوارى حقيقته ويكتمها عن أبناء شعبه الذين التقوا حوله ، ومنحوه حبهم وثقتهم . لكنه لم يكد يمسك بزمام الأمور حتى كشف عن حقيقته ، فبدأ يتنقل بين أركان الفكر الإسلامي والروح الإيماني ، ينقض أركانه ، ويزلزل بنيانه .

كانت أسطورة مصطفى أتاتورك قد تضخمت وكبرت ، واحتلت مكانها الواسع في أحلام الناس ليس بسبب ذلك الانتصار الذي أحرزه على الغزاة المستعمرين فحسب ، بل لما أضفته على شخصه أجهزة الإعلام في الداخل والخارج ، ولما بدأ ينسجه حوله الأتباع والمقربون من قصص سياسية تظهره بمظهر الزعيم الذي يتكلم الشعب بلسانه إذا تكلم .

وهكذا كان المجلس النيابي الملموم من الأتباع والانتصار مسجوراً، مستعداً أن يضع توقيعه على كل ما يريد أتاتورك لهذه الأمة المسلمة^(٢) .

أترى لمثل هذه الأوهال التي أحذقت بالإسلام والمسلمين قد رصدك القدر ، واحتفظ بك الغيب يا سعيد ؟

(١) اشراف روبرير مانتران ، مرجع سابق ، ص ٣٣٩ .

(٢) أديب إبراهيم الدباغ ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

وعندما احتل الحلفاء استانبول ، وقامت حرب الاستقلال التركية في الأناضول ، وبعد نجاح هذه الحركة ، وتأسيس مجلس الأمة في أنقرة، استدعت الحكومة الكمالية بديع الزمان سعيد النورسي إلى أنقرة ، لكنه لم يستطع أن يتواعم مع الحكومة الكمالية ، فترك أنقرة ، بعد أن أصدر بياناً أوضح فيه رأيه في أعضاء مجلس الأمة ، الذي يمثل الشعب التركي المسلم، بأنهم يتصرفون تصرفاً قد يبعدهم عن الإسلام^(١) .

لقد أراد مصطفى أتاتورك الإيقاع بالأستاذ سعيد النورسي باستدراجه بالدخول في خدمته حين أصدرت حكومة أنقرة بأمر من مصطفى أتاتورك نفسه مرسوماً بتعيينه رئيساً للوعاظ شرقي الأناضول كله ، مع بقائه عضواً في أعلى مجلس علمي وهو "دار الحكمة الإسلامية" ، ومنحه قصرًا من أجمل القصور ليقيم به بالمجان .. لكنه أدرك مقاصدهم ، فألقى بكل ذلك في وجوه القوم .. وأبى أن تمتد يدها لشيء من أموالهم تماماً ، كما أبى ورفض في صباحه ، وهو مازال طالب علم أن تمتد يدها لقرش واحد من أعطيات وهدايا المحسنين من المسلمين لأمثاله ، ولزملائه من طلبة العلوم الدينية، كما جرت عادة عليّة القوم في ذلك الزمان .

ومن شرق الأناضول يأتي كل جديد ، فقد اشترك بديع الزمان سعيد النورسي متطوعاً في الحرب العالمية الأولى على رأس ثلاثة آلاف شخص من تلامذته ، وكان اشتركهم هذا ضد الروس الذين استطاعوا احتلال بدليس بعد قتال مرير بين الروس من ناحية ، وبين المسلمين من أتراك وأكراد وغيرهم .

أسر بديع الزمان في هذه المعركة مع البقية المتبقية من تلامذته ، إذ الكثير منهم قد اختاره الله شهيداً أثناء القتال مع الروس ، وكان أثناء مدة الأسر يعتز بكونه عالماً ، وكان يفقه الأسرى من المسلمين في أمور دينهم . لكنه استطاع أن يهرب من الأسر ، ووصل إلى استانبول ، وتم إهداؤه ميدالية الحرب ، مع إهدائه درجة علمية مناسبة لجهوده في حث القبائل على الحرب والقتال .

(١) د. محمد حرب . العثمانيون في التاريخ والحضارة . ص ٢٥٥ .

إلا أن هنالك باستمرار شعوراً بالتأرجح من قبل السكان الأكراد نحو الدولة التركية الحديثة . ففي السنوات الأولى من عهد الجمهورية ، أخذ هذا التأرجح صورة انتفاضة فى أوساط المناطق الشرقية احتجاجاً على إلغاء الخلافة الإسلامية . وقد قامت الدولة التركية ، فى اليوم الذى ألغيت فيه الخلافة (٣ آذار عام ١٩٢٤ م) بمواجهة الهوية الدينية ، والقومية التركية .. فأوقفت المدارس والجمعيات ، والمنشورات الكردية^(١) .

فى العشرينات من هذا القرن نشبت ثورة فى الأقاليم الشرقية فى تركيا بقيادة الشيخ "سعيد" الشهير بـ "بيران" ، وكان زعيماً بارزاً فى العشائر الكردية ، وكانت هذه الثورة موجهة ضد سياسة مصطفى أتاتورك بسبب اتجاهه المعادى للإسلام^(٢) .

ولما طُلب من الأستاذ سعيد النورسى الاشتراك فى هذه الثورة ضد حكومة أنقرة ، رفض لعدم رغبته فى إهراق دم المسلمين الأبرياء فى حركة لا أمل فيها . خاصة وأنه لم تكن لديهم بعدُ الامكانيات التى يواجهون بها قوة مدججة بالجنود المدربين تدريباً حديثاً ، وبالسلح .. هذا بالإضافة أنه لم يثق فى هؤلاء الأشخاص ، ومدى وعيهم الإسلامى ، ومدى قدرتهم على تمثيل الإسلام الصحيح . كما أُنْع العشائر الكردية بعدم الاشتراك فى قتال جنود مصطفى كمال .

فى نفس الوقت كان الأستاذ سعيد النورسى ينتهج أسلوب التربية، وتكوين الجنود الحاملين لهذا الدين ، المطالبين به تكويناً يجعلهم أهلاً لحمل رسالة عظيمة ينتسبون إليها . كما رفض من قبل الاشتراك فى ثورة قامت على الأغراض العرقية لا الإسلامية ، حينما ظهرت رغبة عند بعض المثقفين الأكراد فى إنشاء دولة كردية فى الولايات الشرقية من تركيا ، لكون

(١) فيليبس روبنس ، مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٢) د. أحمد عبد الرحيم السايح : سعيد النورسى الرجل والدور . مقال فى "يذيع الزمان سعيد النورسى فى مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامى" . القاهرة ، سوزلر للنشر ، ١٩٩٢ ، ص ٥٠ .

سعيد النورسي كردى الأصل ، وذا منزلة كبيرة فى نفوس أهالى الولايات الشرقية .

من أسباب تمرد الشيخ سعيد بيران ، مقاومة الجمهورية والمبادئ التى جاءت من أجلها وتأسيس نظام مبنى على الشريعة وإعادة حكم السلطنة، والخليفة^(١) .

إلا أن الحكومة التركية لم تقف مكتوفة الأيدى ، فقد أرسلت الوحدات العسكرية إلى شرق الأناضول لإخماد الانتفاضة مع وجود إجراءات قانونية، وسياسية ، مثل محاكم الطوارئ ومحاكم الاستقلال ، وقانون الخيانة الوطنية .

كما أن وزارة الداخلية قامت بإجراءات منها : مراقبة الخطب والمواعظ فى المساجد بواسطة رجال الأمن ، ومنع التحدث فى الأمور التى تعتبرها الدولة أمورا رجعية . وصارت الخطب والمواعظ فى جميع المساجد والجوامع اعتباراً من شهر شباط من عام ١٩٢٥م تحت المراقبة الشديدة .

حركة التمرد هذه كانت من يوم ١٣ شباط عام ١٩٢٥م ، حيث بدأت فى قرية "بيران" التابعة لناحية "أغيل" قضاء أرغنى فى ولاية "كنج" . وانتشرت خلال فترة قصيرة فى المنطقة الشرقية بأكملها . وشاعت بين الناس عبارات "لا إسلام دون خليفة" .

بسبب هذه الثورة ، أعدم الشيخ سعيد بيران ونفر كثير ممن كانوا معه، وقبل إعدامه قال : لو استطعت الاحتفاظ بمنطقة ديار بكر وما حولها لنفذت فيها القصاص ، وقطعت لسان الكذاب الأشر ، وقطعت يد السارق، ومنعت الخمر والميسر ، ومنعت النساء من السفر .. لأن هذه أوامر ديننا العظيم .

العلوم الدينية فى شرق الأناضول :

فى العهد الذى ظهر فيه سعيد النورسي ، كانت المدينة الغربية تعيش فترتها الذهبية . ففى هذه الأثناء قام سعيد النورسي ليرفض تلك المديني

(١) حسن حسين جيلان ، مرجع سابق ، ص ٣١١ .

خاصة التي لا تتمشى مع مبادئ الشريعة الإسلامية ، داعياً إلى العودة إلى أسس الإيمان بالله تعالى .

ولكى يدعو الداعى إلى أسس الإيمان الصحيح ، فعليه بالقرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة ، وذلك من خلال أصول العلم والتعلم . ومن العلوم الدينية فى شرق الأناضول نتناول:

أولاً : القرآن الكريم :

حاول بعض المستشرقين إرجاع بعض الألفاظ القرآنية والإسلامية إلى أصول عبرية وكلدانية .. حتى أن أعرق الألفاظ العربية والإسلامية مثل : "الله - الصلاة - الزكاة - النبى - الرسول - السجود .." ومصطلحاتها حاولوا التماس أصولها من اللغات السامية وفى العهد القديم . إلا أنه لا يوجد فى كتاب الله سبحانه وتعالى شىء بغير لغة العرب، لقوله تعالى " وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها ، وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه "(١).

والقرآن الكريم هو كلام الله تعالى ، المنزل بلفظه ومعناه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم للتحدى والإعجاز ، والمنقول إلينا بالتواتر، والمكتوب فى المصاحف التى بين أيدينا الآن وحتى قيام الساعة . ويطلق عليه الفرقان ، كما قال تعالى " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً "(٢) .

وللقرآن الكريم مهمتان أساسيتان ، أولاهما التحدى والإعجاز كما قلنا سابقاً ، لإثبات صدق النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى دعوته إلى الإسلام الشامل ، حيث عجز الناس عن الإتيان بمثله ، بل بعشر سور ، بل بسورة واحدة . والمهمة الثانية للقرآن الكريم هى الهداية ، لقوله تعالى: " إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم "(٣) .

(١) سورة الشورى : آية ٧ .

(٢) سورة الفرقان : آية ١ .

(٣) سورة الاسراء : آية ٩ .

وقد أمرنا الله تعالى باتباع القرآن الكريم ، وأن نرد إليه كل نزاع ليفصل فيه ، فقال تعالى { فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً } (١) .

كما حذر الله تعالى من الأخذ ببعض القرآن الكريم ، وترك البعض الآخر ، فقال تعالى { .. أفئؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون } (٢) .

والقرآن الكريم مشتمل على كل ما يهم الناس فى معاشهم ومعادهم؛ عقيدة وعبادة وسلوكاً ، على المستوى الفردى والجماعى ، المحلى والعالمى ، وذلك فى المجالات الثقافية والاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية، والحربية وغيرها . قال تعالى { ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين } (٣) .

وتبيان القرآن الكريم لكل شىء ، قد يكون بالنص والتصريح ، وقد يكون بالإشارة والتلميح . مما فسح المجال للمجتهدين أن يستنبطوا منه حكماً لكل قضية ، وحلاً لكل مشكلة الأمر الذى ضمن استمرارية العطاء للقرآن الكريم ، وصلاحية الدين لكل زمان ومكان ، فليس بعده دين يكمله أو ينسخه (٤) . قال تعالى : { .. اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام ديناً .. } (٥) .

ومع سهولة معرفة الصحابة الكرام للأحكام القرآنية ، إلا أن بعضهم كان يغيب عنه معنى بعض الألفاظ ، ولا يجرؤ أن يقول بغير علم . فقد أثر عن أبى بكر رضى الله عنه أنه سئل عن تفسير حرف من القرآن الكريم

(١) سورة النساء : آية ٥٩ .

(٢) سورة البقرة : آية ٨٥ .

(٣) سورة النحل : آية ٨٩ .

(٤) الأزهر الشريف . بيان للناس . القاهرة ، مطابع وزارة الأوقاف ، ج ١ ، ١٩٩٣ ، ص ٥٥ .

(٥) سورة المائدة : آية ٣ .

فقال " أى سماء تظلني ؛ وأى أرض تقلني ؛ وأنى أذهب ؛ وكيف أصنع !
إذا قلت فى حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى " (١) .

فلا بد من معرفة المكى والمدنى ، والمتقدم والمتأخر فى النزول من
السور والآيات ، ليعرف حكمة التدرج فى التشريع . ولا بد من معرفة وجوه
القراءات ، لاستنباط الحكم الشرعى . كما لا بد من معرفة اللسان العربى
الذى نزل به القرآن الكريم ، فقد يكون اللفظ الواحد فى القرآن الكريم له
أكثر من معنى ، وقد يكون للمعنى الواحد عدة ألفاظ ..

ولمن يتصدى لاستنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم مباشرة عليه
أن يعرف قواعد الاستنباط .

ومع هذا فالقرآن الكريم ينهل منه كل طبقة من طبقات البشر ، ابتداء
من العامى ، إلى الذكى الحاد الذكاء ولكن انظر إلى درجة رحمة القرآن
الكريم الواسعة ، وشففته العظيمة على جمهور العوام ، ومراعاته لبساطة
أفكارهم ، ونظرهم غير الثاقب إلى أمور دقيقة . تجد سياق القصة لتقريب
المعنى ، وسهولة الحفظ حتى للآمى ، الذى لا يقرأ ، ولا يكتب ..

والقرآن الكريم كتاب دعاء ، ودعوة ، كما أنه كتاب ذكر
وتوحيد، ويظهر إعجازه عند تناوله لحوادث جزئية وقعت فى حياة الصحابة
الكرام أثناء نزوله ، وإرسائه بناء الإسلام ، وقواعد الشريعة . فتراه يأخذ
تلك الحوادث بنظر الاهتمام البالغ ، مبيهاً بها أن أدق الأمور لأصغر
الحوادث الجزئية ، إنما هى تحت نظر رحمته سبحانه ، وضمن دائرة تدبيره
وإرادته (٢) .

والتكرار فى القرآن الكريم يظهر جلياً عند الغضب الإلهى ، والسخط
الربانى تجاه المظالم التى يرتكبها الإنسان عند خرقه للغاية التى من أجلها
خلق . كما أن التكرار يحمل معنى جديداً وعبرة جديدة .

(١) شمس الدين أبى عبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الانصارى القرطبى . تفسير القرطبى الجامع لأحكام
القرآن . القاهرة ، دار الغد العربى ، ط٢ ، م١ ، ج١ ، ١٩٨٨ ، ص ٨٢ .

(٢) ديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات . القاهرة ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، شركة سوزلر
للنشر ، ط٢ ، ١٩٩٣ ، ص ٣٠٥ .

ولقد بحثت السور المكية أركان الإيمان ، ومراتب التوحيد بأسلوب
في غاية القوة والعلو وبإيجاز في غاية الإعجاز ؛ وكررت الإيمان بالله
تعالى ، واليوم الآخر كثيراً . أما الآيات المدنية وسورها ، فالصف الأول
من مخاطبيها ومعارضها ، كانوا من اليهود والنصارى ، وهم أهل كتاب .
كان بديع الزمان سعيد النورسي يشير على أهله وعشائره الكردية
بمحبة اليهود والنصارى مع أن القرآن الكريم ينهى عن ذلك بقول الله تعالى
" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء
بعض .. " (١) . إلا أنه - رحمه الله - وضح أن المنهى عنه في هذه الآية
الكريمة هو محبتهم من حيث ديانتهم اليهودية والنصرانية .. وأيضاً لا يكون
المرء محبوباً لذاته ، بل لصفته وصنعتة . فكما لا يلزم أن تكون كل صفة
من صفات المسلم مسلمة ، كذلك لا يلزم أن تكون جميع صفات الكافر
وصنعتة كفرة أيضاً (٢) .

ولقد كان اشتغال سعيد النورسي - رحمه الله - بالقرآن الكريم ، والتعمق
في فهمه هو الشغل الشاغل لهذه العقلية النيرة ، فاعتباراً من " إشارات
الإعجاز في مظان الإيجاز " ؛ إلى " المثنوى العربي النورى " ، إلى الكلمات
المختلفة في كتابه " الكلمات " ولا سيما الكلمة الخامسة والعشرون ، نراه
يتنفس القرآن الكريم في كل كلمة ، ويأتى بتفسير جديدة أصيلة وعميقة .
والقرآن جامع لجميع محاسن الكتب السابقة له ، وأصول الشرائع
السالفة ، وتقتضى الحكمة والمصلحة تبدل الأحكام الفرعية في مراتب عمر
البشر . فكم من حكم فرعى كان مصلحة في زمان ، ودواء في وقت طفولية
النوع ، لا يبقى مصلحة في آخر ، ودواء عند شبابه النوع . ولهذا السر
نسخ القرآن الكريم بعض الفروع (٣) .

(١) سورة المائدة : آية ٥١ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي . صيقل الإسلام . القاهرة ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، شركة سوزلر
للنشر ، ط ١٩٩٥ ، ص ٤٠٠ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي . إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز . القاهرة ، ترجمة/ إحسان قاسم الصالحى ، شركة
سوزلر للنشر ، ط ١٩٩٤ ، ص ٥٩ .

وما رغب القرآن الكريم إلا وقد رهّب ، وما مدح الأبرار إلا وقرته بدم الفجار . والذي يسوق جمهور الناس إلى الاتباع وامتنال الأوامر ، هو ما يتحلى به المصدر من قدسية ، هذه القدسية هي التي تدفع جمهور الناس إلى الانقياد أكثر من قوة البرهان وامتانة الحجة . وأركان الدين وأحكامه الضرورية تابعة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المفسرة له .

ولقد صرح الأستاذ سعيد النورسي أن ما قام به في أكثر من عشرين سنة في (وان) ، وفي استانبول من خدمة في سبيل الدين ، والعلوم الشرعية، قد قام بأضعافه مائة مرة ، في غضون ثماني سنوات في " بارالا " .. علماً أن الذين كانوا يعاونونه في (وان) أكثر مائة مرة ، بل ألف مرة ممن يعاونونه في " بارالا " بفضل الإخلاص في العمل^(١) .

ولقد عارض الأستاذ سعيد النورسي وبشدة ترجمة القرآن الكريم ليكون مادة تلاوة وعبادة . فرسائل النور بفضل الله تعالى قد شلت تلك الفكرة بحججها الدامغة ، وبانتشارها الواسع في كل مكان ، فأثبتت إثباتاً قطعياً أنه : لا يمكن قطعاً ترجمة القرآن الكريم ترجمة حقيقية .. وأن أية لغة غير اللغة العربية الفصحى عاجزة عن الحفاظ على مزايا القرآن الكريم ، ولنكته البلاغية اللطيفة^(٢) .

ولأهمية سورة الإخلاص ، لأنها تحمل في طياتها التوحيد الخالص ، فقد كان الأستاذ سعيد النورسي ومن حوله يقرأونها ألف مرة يوم عرفة ، ولكنه بعد ذلك قرأها خمسمائة مرة قبل يوم عرفة بيوم ، وخمسمائة مرة يوم عرفة ، ومن استطع أن يقرأها كلها مرة واحدة فليفعل .

كان أهل الشرق الأناضولي يحبون العلم ؛ ويذكر في هذا الصدد أنه عندما كان أحد الأولياء العظام ، والملقب بـ "سيدا" يعانى من سكرات الموت ، وحضره ملك الموت الموكل لقبض روحه ، استجد بالله

-جيع الزمان سعيد النورسي. اللغات. القاهرة، ترجمة/ إحسان قاسم الصالحى، شركة سوزلر
ط ٢، ١٩٩٣، ص ٢٤٤.

جيع الزمان سعيد النورسي. الشعاعات ، ص ٣٠٥.

تعالى، واستغاثه ، وصرخ قائلاً " ليقبض روحى من هو الموكل لقبض أرواح طلاب العلوم ، فأنا أحبهم حباً شديداً " (١) .

ولأهمية العلم ، خاصة حول حقائق القرآن الكريم ، فقد كان الأستاذ سعيد النورسى منشغلاً بإلقاء دروس فى حقائق القرآن الكريم على طلابه فى مدينة (وان) ، وكانت حوادث الشيخ سعيد بيران تقلق بال المسؤولين فى الدولة . وعلى الرغم من ارتياحهم من كل شخص ، لم يمس بسوء ، ولم يجدوا عليه فى نفس الوقت حجة ما دام مستمراً فى خدمة القرآن الكريم . ولكن ما أن فكر فى نفسه فقط ، وانسحب إلى جبل "أرك" لينزوى فى مغاراته الخربة ، لينجو بنفسه فى الآخرة ؛ إذا بهم يأخذونه من تلك المغارة ، وينفونه من ولاية شرقية إلى أخرى غربية، إلى " بوردور " .

نعم ! إن العاملين فى خدمة القرآن الكريم إما أن يعرضوا عن الدنيا ، أو أن الدنيا تعرض عنهم كى ينهضوا بالعمل بجد ونشاط وإخلاص . وبناء على ذلك ، عندما فتح الأستاذ النورسى -رحمه الله - أمام طلابه ميدان عمل جديد للقرآن الكريم ، وهو استنساخه بخط جميل وبنمط جديد ، أعطى للسيد " حقى " حصته من الاستنساخ ، فأجاد القيام بما كلف به ، وكتب جزءاً كاملاً من القرآن الكريم أحسن كتابة ، إلا أنه فى نفس الوقت قام بوكالة الدعاوى أمام المحاكم ، دون علم استاذة النورسى .. فانتثت أصبعه التى كان يكتب بها القرآن الكريم .. فقد علمهم الأستاذ النورسى أن الخدمة المقدسة هذه لا تقبل أن تدخل تلك الأصابع الطاهرة فى أمور شائنة ؛ حيث أن الدعاوى تختلط فيها القضايا الباطلة مع الحق المحض (٢) .

والمتصفح لكليات رسائل النور ، يلمس ولله الحمد من قبل ومن بعد الإخلاص التام لله رب العالمين لأستاذنا العالم الجليل سعيد النورسى ، ولا نركى على الله من أحد ، وقد بعث - رحمه الله - مجموعتين كاملتين من

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. المكتوبات. القاهرة ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، شركة سب للنشر، ط٢، ١٩٩٢ ، ص ٤٥٤ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. اللغات ، ص ٧١ .

كليات رسائل النور المستسخة باليد ، والمصححة من قبل المؤلف مع نسخة بخط "الملا عبد المجيد النورسي" مصححة من قبل المؤلف نفسه عام ١٩٥١م إلى مدينة "أورفة" داخل صندوقين ، وهي محفوظة الآن لدى الدكتور عبد القادر بادلي ، الذي تتلمذ على يد الأستاذ النورسي ، وزاره مرات كثيرة ، وسعى في نشر رسائل النور ، كما ترجم "المتنوى العربى النورى" ورسائل أخرى إلى اللغة التركية ، وله مصنفات عدة .. (١) .

لقد اهتم الأستاذ النورسي بتتقيف القبائل الكردية ثقافة إسلامية عن طريق القرآن الكريم الذى امتاز بميزة فريدة ، وهى أنه تنقل منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، دون أن يتعرض لأذى تحريف ، وليست هذه حال العهد القديم "التوراة" ، الذى لم تعترف له بالصحة الدراسة النقدية للشرح المحدثين . وليس العهد الجديد "الإنجيل" بأسعد حالاً ، فقد ألغى مجمع أساقفة "نيقية" كثيراً من أحباره ، مما زرع الشك حول ما تبقى منه (٢) .

كما اهتم الأستاذ النورسي بالحديث النبوى الشريف اهتمامه بالقرآن الكريم ، حيث لم تظهر أهمية الأحاديث النبوية الشريفة إلا بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، خاصة من الناحية التشريعية بوصفها مصدراً ثانياً للتشريع الإسلامى .

ثانياً : السنة النبوية المطهرة :

السنة النبوية المطهرة هى المنهج النبوى المفضل فى تعليم الإسلام وتطبيقه وتربيته الأمة عليه ، ويتمثل ذلك فى أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، وتقريراته ، وقد أثيرت الشبهات منذ وقت طويل حول السنة . وترددت دعوات كثيرة لطلب الاكتفاء بالنص القرآنى ، وهذه دعوى تعريبية ترمى إلى الفصل بين النص والتطبيق وبين القانون والواقع العملى الذى

١- إحسان قاسم الصالحى . هذا التحقيق . تحقيق فى كليات رسائل النور * إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز ، ص ١٢ .

٢- مالك بن نبي . الظاهرة القرآنية . بيروت ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، تقديم محمد عبد الله دراز . محمود صحت سكر ، دار الفكر المعاصر . ط ٤ ، ١٩٨٧ ، ص ١٠٣ .

جرى عليه الإسلام منذ قام مجتمعه الأول . ومن هنا فالنص القرآني وحده لا يكفي المسلمين اليوم ، ولا يحقق لهم إسلاماً حقيقياً ، هذا فضلاً عن أن السنة النبوية جزء من القرآن نفسه .

وحياة النبي صلى الله عليه وسلم كانت من أجل القرآن الكريم تلقياً، وتلاوة ، وحفظاً وتبليغاً ، وتوضيحاً وتطبيقاً . كما بين عليه السلام بقوله وفعله ما أجمل في القرآن من صلاة مثلاً وذلك ليعرف من السنة عدد الصلوات المفروضة ، وعدد ركعات كل صلاة ، ويعرف مقادير الزكاة .. وكان الأستاذ النورسي لا يوافق على محدثات الأمور ؛ وعلى سبيل المثال إقامة الصلاة ، ورفع الأذان باللغة التركية ، وأمثالها من البدع التي استحدثت منذ العشرينات ، ودامت حتى سنة ١٩٥٠م^(١) .

وإذا نظرنا إلى أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأفعاله وأحواله، وأطواره وحركاته وسكناته ، نجد أنها هي منبع الدين الإسلامي العظيم ، ومصدر الأحكام والشريعة . وهذه الأقسام يتفرع منها : الفرائض، والنوافل ، وعاداته عليه السلام . أما أسرار الدين وأحكام الشريعة النابعة من أحواله المخفية ، في نطاق أموره الشخصية ، والخاصة به ، فإن رواتها وحاملها هن زوجاته الطاهرات ، فقد أدّين هذه المهمة على وجهها حق الأداء .

وفي الفرائض والواجب ، لا مناص من الاتباع . والمؤمن مجبر على هذا الاتباع بحكم إيمانه . والجميع بلا استثناء مكلفون بأداء الفرض والواجب، ويترتب على إهماله أو تركه عذاب وعقاب . أما في قسم النوافل، فأهل الإيمان مكلفون به أيضاً حسب الأمر الاستحبابي ولكن ليس في ترك النوافل عذاب ولا عقاب . إلا أن تغيير النوافل وتبديلها بدعة وضلالة وخطأ كبير .

أما عاداته عليه السلام ، وحركاته وسكناته السامية فمن الأفضل والمستحسن جداً تقليدها واتباعها . ومراعاة أدق الآداب تُذكر بالرسول الأعظم عليه السلام ، مما يسكب النور في القلب . والذي يهجر سنته المطهرة

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . اللغات ، ص ٧٠ .

ويجافها ، فقد هجر منابع النور ، فيحرم نفسه من خير عظيم ويظل محروماً من لطف الرب الكريم^(١) .

وإذا كان من أعضاء أى حكومة من يفطر فى رمضان ، ويشرب الخمر ، ويترك الصلاة ... فهيهات أن يصدق مع الأمة من خان الله ولم يصدق فى امتثال أمره تعالى . وقد أوضح الأستاذ سعيد النورسى الفرق بين الحمية ، والعمل . وعنده أن القلب أو الوجدان الذى لم يتزين بالفضائل الإسلامية لا ترجى منه الحمية الحقة ، والوفاء الصادق ... ولكن لأن الصنعة غير الفضيلة ، فقد يقوم الفاسق برعى الأغنام رعياً جيداً ، وقد يصلح شارب الخمر ساعة باتقان حين لا يكون سكران ، ولكن مع الأسف الشديد يوجد ندرة للذين يجمعون بين نور القلب ، ونور الفكر . أو بعبارة أخرى بين الفضيلة والصنعة^(٢) .

إن الأمة الإسلامية مع أن قسماً من المسلمين فيها لا يؤدون الصلاة ، إلا أنهم يتطلعون أن يكون رؤساؤهم صالحين أتقياء ، حتى لو كانوا هم فسقة . بل إن أول ما يبادر به أهل كردستان الولايات الشرقية - هو سؤالهم عن صلاة مسؤوليهم . فإن كانوا مقيمين لها ، فيها ونعمت وبالتالي يتقون بهم . وإلا فسيظل الموظف المسؤول موضع شك وارتياح رغم كونه مقتدرأ فى أداء واجباته .

ولقد حدثت اضطرابات فى عشائر "بيت الشباب" ، بسبب أن القائم مقام لا يقيم الصلاة ويشرب الخمر ، علماً أن الذين فعلوا هذه الاضطرابات ، هم أنفسهم لا يؤدون الصلاة ، بل كانوا قطاع طرق^(٣) .

إن أحكام الإسلام على قسمين :

الأول : وهو الذى تؤسس عليه الشريعة ، وهو الحسن

الحقيقى ، والخير المحض .

١- يدع الزمان سعيد النورسى . المعات ، ص ٨٧ .

٢- يدع الزمان سعيد النورسى . صيقل الاسلام ، ص ٣٩٣ .

٣- يدع الزمان سعيد النورسى . المثوى العربى النورى . القاهرة ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، شركة روزلر للنشر ، ط ١ ، ١٩٩٥ ، ص ٢٠١ .

الثانى : الشريعة المعدلة ؛ أى تأتى الشريعة وتخرج التسيء من صورته البشعة الظالمة ، إلى صورة ملائمة للزمان ، قابلة للتطبيق حسب الطبيعة البشرية . وعلى هذا فالشريعة ليست هى التى أوجدت الرق ، بل هى التى أوجدت السبل ، ومهدت الطريق لتحويل الرق من أقسى صورة إلى ما يبسر الوصول إلى الحرية التامة ، والانتقال إليها .

ومذهب شرق الأناضول : أحناف وشوافع . وقد أوضح الأستاذ سعيد النورسى كيفية المحافظة على شرف الملة الإسلامية ، وتجميع القوة، وذلك بالمساعى الشرعية ، ومنها دفع الزكاة والصدقات ، والنذور ... وبالصدق ، وعدم الكذب ، وبالإخلاص ، والثبات ..

وكان شرق الأناضول كله أقرب إلى الملية الإسلامية ، لأنهم بدو لم تقسد فطرتهم الإسلامية بعد . والعبرة فى النهاية هى الاتباع للشريعة الإسلامية الغراء ، ولكن علينا فى الوقت الحاضر أن ننقى الله تعالى ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، حتى يأتى وعد الله تعالى .

والبحث فى أحاديث الرسول عليه السلام يقوم على أساسين :

١- النظر فى السند من ناحية اتصاله أو انقطاعه .

٢- النظر فى المتن .

وصحيح البخارى يفضل بأنه من حيث الثقة برواياته أقوى من الثقة برواة صحيح مسلم ، لاشتراط الأول فى راوى الحديث لقيه بمن روى عنه ولو مرة واحدة . أما الإمام مسلم فقد اكتفى بمعاصرة الراوى لمن يروى عنه ، وإن لم يلقه . وقد اتفق على أن الإمام البخارى كان ينظر إلى أهل السنة فيأخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدعة فلا يأخذ حديثهم^(١) .

وللأستاذ سعيد النورسى رأى يتمشى مع روح الشريعة الإسلامية الغراء من ناحية المساواة بين المسلم وغيره ، وحول انخراط غير المسلم فى القوات المسلحة ، والجيش ، وأيضاً من زواج غير المسلم بالمسلمة والعكس . وفى الأولى يرى أن المساواة هذه ليست فى الفضيلة والشرف ، بل هى فى الحقوق ، فالشريعة التى نهت عن تعذيب نملة ، وأمرت ألا تداس

(١) أنور الجندى. الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى ، ص ١٢٦ .

عمداً، أتهمل حقوق بنى آدم؟ كلا! لكن الإنسان هو الذى لا يمتثل لأحكام الشريعة . ولنضرب مثلاً عن المساواة هذه فى تاريخ الإسلام : محاكمة أمير المؤمنين ، الامام على رضى الله عنه ، مع يهودى فقير ، ومرافعة القائد صلاح الدين الأيوبي - وهو مدار فخر الأكراد - مع نصرانى مسكين . وفى الثانية يرى أن تجنيد غير المسلم وانخراطه فى الجيش للأسباب الآتية :

١- ما الجندية إلا للحرب .

٢- كان للنبي عليه السلام معاهدون ، وحلفاء من مشركى العرب، وكانوا يخرجون معاً إلى الحرب ، بينما هؤلاء هم أهل كتاب .

٣- قد استخدم فى جيش الدول الإسلامية غير المسلمين ، ولو نادراً .

أما زواج غير المسلم بالمسلمة ، والعكس ، فهذا يحدث فى دولة مستجدة ، وغير مستقرة ويحدث - أيضاً - فى أمة جاهلة متخلفة . والداء إذا ما ظهر يسهل علاجه .

إلا أن الإسلام نهى عن أذى أهل الكتاب ، ومن فعل ذلك فالرسول عليه السلام يكون خصمه يوم القيامة .

ثالثاً : الإمامة والخطابة :

لقد عرض على الأستاذ النورسى أن يكون واعظاً عاماً ، ومسؤولاً عن عموم " كردستان " والولايات الشرقية بدلاً عن الشيخ السنوسى لعدم معرفته اللغة الكردية ، والذى عمل واعظاً فى الولايات الشرقية ، وكان له الدور البارز فى إصدار فتوى الجهاد ضد الإنجليز فى أثناء الاحتلال^(١) .

كما عرض على الأستاذ - أيضاً - تعيينه نائباً فى " مجلس المبعوثان " و" المجلس النيابى " وفى رئاسة الشؤون الدينية ، مع عضويته فى دار الحكمة ، مع تخصيص تسعة آلاف ليرة ذهبية لإنشاء مدرسة الزهراء ، ودار الفنون فى مدينة " وان " ، وزيد المبلغ بعد ذلك ... إلا أن الأستاذ النورسى اقتنع بأن من المستحيل التفاهم مع مصطفى كمال ، أو التعامل معه ..

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٣٤٣ .

لقد كان الأستاذ سعيد النورسى عالماً دينياً ، وكان واعظاً فى مدينة
"وان" بالتعيين ، وقد قام بها خير قيام ، إلا أنه ترك مرتبها ، محتفظاً
بالشهادة فقط . حتى يستطيع أن يؤدى بها مهمة الوعظ والإمامة فى أى
مكان^(١) .

لقد ولد الأستاذ سعيد النورسى فى قرية "نورس" وكان أهلها
يحبون المدح والتناء عليهم كثيراً . وعندما كان جميع كردستان يتخذ وضع
المفتخر المختال بغزارة الطلاب ، والأئمة والعلماء المتخرجين بهمة وجهود
"الشيخ عبدالرحمن طاغى" الشهير والملقب بـ "سيدا" فى ناحية "اسباريت"
التابعة لقضاء "خيزان" . وكان سعيد النورسى يشعر بينهم بنفس الشعور
وذلك ضمن المناظرات العالية ، وأيضاً الهمة العالية ، والدائرة العلمية
والصوفية الواسعة ، وكان هؤلاء العلماء سيفتحون الأرض كلها^(٢) .

كان الأستاذ سعيد النورسى ، وهو لم يتجاوز العاشرة من
عمره ، يستمع بشغف كبير إلى مناقب العلماء القدامى المشهورين ، وإلى
الأولياء العظام "أهل الطرق الصوفية" ، وإلى السادة الأقطاب ، ويرأوده
خاطر ، بأن هؤلاء الطلاب العلماء سيفتحون آفاقاً عظيمة فى العلم والدين .
إذ لو تفوق أحدهم بشىء من الذكاء فالاهتمام يوجه إليه ، وإن ظهر
أحدهم فى مسألة لدى إحدى مناظراته العلمية ، تكون موضع زهو وافتخار
له بين أهله وعشيرته ، وكان الأستاذ النورسى يتحير من هذا ، إذ كانت
عنده تلك الخصلة ، لكنه تخلص منها فيما بعد بفضل الله تعالى .

وقد كان بين شيوخ الطرق الصوفية ، وضمن دائرة وناحية ، وقضاء
النورسى ، مسابقات تثير الحيرة ، لم يوجد لها مثيل فى مدن أخرى .
لذا نرى الأستاذ سعيد النورسى يُجَلُّ العلماء ، خاصة علماء
الدين ، ويبدى لهم كل احترام وتقدير ، لأنهم هم المرشدون دوماً إلى قدسية
الإسلام ، وسموه ، والمبلغون لأحكام الدين حسب طاقاتهم ، والذين يستحقون

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . المكتوبات ، ص ٨٨ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . الملاحق . القاهرة ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، شركة سوزال

للنشر ، ط ٢ ، ١٩٩٥ ، ص ٢٥٤ .

احتراما ومحبة ، ورحمة أكثر في الوقت الحاضر . وأن إدانتهم بذنب أو خطأ ناشيء من عدم وجود علماء بمستوى لائق لهذا العصر ، ثم إلقاء ذلك الذنب وتلك الخطيئة على كاهل هؤلاء المساكين ، وهذا فيه ظلم كبير (١) .

وعليه ، فليس العيب من وجود العلماء ، بل العيب ناتج من عدم وجود ما نبتغيه من العلماء الأفاضل ، لأن أغلب الأذكياء منهم قد اتجه إلى المدارس الحديثة ، والأغنياء لم يتنازلوا إلى نمط المعيشة في المدرسة الدينية، كما أن المدرسة نفسها - لعدم وجود الانتظام ، وفقدان الاستزادة من العلوم ، وانقطاع سبل التخرج - لم تتمكن من تهيئة علماء على مستوى هذا العصر ... إن كره العلماء وبغضهم خطر عظيم ، والداعى إلى الله تعالى منهم لا بد أن تكون نيته خالصة في التبليغ عن ربه سبحانه وتعالى ، حتى يوفق ، وإن كانت نيته غير ذلك فحسابه عند ربه .

ولأهمية العلم والتعليم ، عزم الأستاذ سعيد النورسي على أن يقيم بمدينة " وان " ليدرس للطلاب وينفع المسلمين بعلمه ، فيؤسس مدرسة " خور خور " تحت جدار قلعة " وان " الشهيرة على ساحل بحيرة " وان " . واعتكف على تدريس العلوم بأسلوب جديد ، يمزج فيه العلوم الكونية بالعقائد الدينية؛ فيثبتها بالحجة والبرهان ، ويفسر القرآن الحكيم بأنواع مختلفة من علوم الكون ... ويجول من جهة لأخرى بين عشائر الأكراد ؛ ويصلح بينهم، ويرشدهم ويوظفهم بمواعظ ونصائح دينية مؤثرة (٢) .

ولقد توجه الأستاذ سعيد النورسي إلى شرق الأناضول عام ١٩١٠م، وبدأ بجولة واسعة بين مختلف العشائر الكردية ، والتركية ، وعقد معهم إجتماعات وندوات يجرى فيها مناقشات حول أمور اجتماعية وسياسية، ويبيّن لهم صلاحية المشروطة بالمفهوم الإسلامي ، واختار معهم

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. صيقل الإسلام ، ص ص ٤٣١-٤٣٢ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي. مجموعة عصا موسى- بيروت ترجمة الملا محمد زاهد الملا زكري ، دار ابن

زيدون ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ص ٣٧٥ .

أسلوب الحوار السهل المستساغ ، والقريب إلى الأذهان ، كما وجه الخطاب أيضاً ، أو أطرافاً منه على الأصح إلى الأجيال المقبلة^(١) .
وفي أثناء تجواله بين العشائر البدوية في شرقي الأناضول ، دعاهم إلى التحضر ، وحثهم بلهفة وشوق على التمدن والرقى في مجالات حياتهم كلها .
والداعى إلى الله تعالى يحتاج في أداء مهمته ووظيفته ، التى هى فى الأصل وظيفة رسل الله إلى عدة قوية من الفهم الدقيق ، والإيمان العميق ، والاتصال الوثيق بالله تعالى . وهذه هى مقومات عدة الداعى وأركانها ، وإذا فقدوا لم يغن عنها شئ آخر ، وإذا ضعفت معانيها فى نفسه فعليه أن يقويها^(٢) .

وإذا كانت أعظم أهداف الدعوة إلى الله تعالى ، إرشاد الناس إلى صراط الله المستقيم ودينه القويم ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن جور و الظلم إلى العدل والرحمة ، والإحسان .
وإذا كانت الأهداف الإجمالية للدعوة إلى الله تعالى هى :
١- إيجاد الأمة الصالحة ، الداعية إلى الله تعالى ، والمجاهدة فى سبيله^(٣) .

٢- إيجاد المؤمن الصالح .

٣- النهى عن الفساد فى الأرض .

٤- عمارة الأرض بالخير والعمل الصالح .

فإن كل هذه الخصائص ، وهذه الأهداف ، كانت متوقفة ، وجلية أمام الأستاذ بنيع الزمان سعيد النورسى - رحمه الله - ويظهر ذلك جلياً عند ردوده على أسئلة العشائر الكردية فى شرق الأناضول . هذه الردود التى تحمل الفهم الدقيق ، والإيمان العميق ، والاتصال الوثيق بالله تعالى . وقد

(١) بنيع الزمان سعيد النورسى . صيقل الإسلام ، ص ٣٧٨ .

(٢) د. عبدالكريم زيدان . أصول الدعوة . بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٩٨٧ ، ص ٣٢٥ .

(٣) عبدالرحمن بن عبدالخالق . أصول الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى . مقال فى المشكاة " بحوث فصلية " هولندا ، مركز المشكاة للبحوث والدراسات الشرعية ، ج ١ ، الجزء الثانى ، رجب وذو الحجة ١٤١٦ هـ ، ص ٥٥ .

سئل ، بأن المسلمين كانوا هم الأغنياء ، إلا أنهم أصبحوا هم الفقراء ؟ وكان جوابه أن ذلك له سببان :

(١) الفتور في السعي ، وعدم الرغبة خلافا لما هو مستفاد من الأمر الرباني ؛ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى^(١) ، وانطفاء جذوة الكسب الحلال . وذلك بتلقينات قسم من الوعاظ الذين لم يدركوا أن إعلان كلمة الله في الوقت الحاضر يتوقف على الرقي المعادي .. ولم يتفهموا قيمة الدنيا ، بأنها مزرعة الآخرة ، ولم يميزوا بين متطلبات القرون الوسطى ، والقرون الأخرى ، ولم يتبينوا البون الشاسع بين التواكل الذي هو عنوان الكسل ، والتوكل^(٢) .

(٢) سلوك المعيشة الذي يوافق الكسل ويلائمه ، ويداعب الغرور ويربت عليه ، وهو المعيشة على الوظيفة الحكومية من أجل المعيشة ، والمنفعة الشخصية ، إلا أن الطريق المشروع للمعيشة والسبيل الطبيعي والحيوي إليها ، هو الصناعة والزراعة والتجارة ، أما العمل الحكومي فمن أجل خدمة الأمة أولا ، والمنفعة والمعيشة ثانياً .

إلا أن كثيراً من الناس لم يعحصوا الإسلام ، وما عرفوا إلا ظواهره بالتقليد ، ويشهد التاريخ وبنيتنا ، أن رقي المسلمين وتمتعهم يكمن في اتباعهم حقيقة الإسلام لا ظاهره .

ورد الأستاذ النورسي على عدة أسئلة أخرى لأهل الشرق الأناضولي مضمونها ، ما الذي ألقانا إذا في غياهب الضياع ، وأقعدنا عن معالي الأمور؟ هو الشعور بما يأتي :

- ١- باليأس ، وهذا العدو الألد هو الذي يفت في عضد الهمة .. فعلينا أن نضربه بسيف الآية الكريمة : .. لا تقنطوا من رحمة الله ..^(٣)
- ٢- حب الظهور ، واستعجال الأمور والنتائج دون دراسة .

سورة النجم : آية ٣٩ .

بديع الزمان سعيد النورسي . صيقل الإسلام . من ص ٤٠٢-٤٠٣ .

سورة الزمر : آية ٥٣ .

٣- الرأى الشخصى المستبد ، والتفكير الانفرادى الذى يبدد فى أعمال الانسان ، رغم أنه مكلف بفطرته برعاية حقوقه ضمن حقوق الآخرين .
٤- التقليد للكسالى والمتخلفين ، والتسويق الناجم من العجز ، وفقدان الثقة بالنفس ، فينشأ منه تأجيل الأعمال الأخروية من اليوم إلى الغد .
٥- التدخل فيما هو موكول أمره إلى الله تعالى ، خلافاً لقول الله تعالى { واستقم كما أمرت }^(١) .

٦- حب الراحة والدعة ، الذى هو أم المصائب ، ووكر الرذائل ، خلافاً لقول الله عز وجل { وأن ليس للإنسان إلا ما سعى }^(٢) .

وإننا نلمس حرص الشرق الأناضولى على الدين ، وحمائيته من العبث والضياع بين الناس عندما قالوا للأستاذ سعيد النورسى "إن لم يكن على الدين ضرر ، فليكن ما يكون"^(٣) . فبين لهم: أن الشعور الدينى ، ولا سيما الدين الفطرى الحق ، لهو أنفذ كلاماً ، وأعلى حكماً ، وأشد تأثيراً من كل الأحاسيس والمشاعر ، كما أرشدهم أن يكونوا على قلب رجل واحد فى حماية هذا الدين العظيم ضد المخاطر التى تحيط به من كل جانب .

إلا أن هناك كثيراً من الناس الأخيار الذين يسيئون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؛ وذلك لمن كانت بغيته حكومة بريئة معصومة ، فطلبه محال .. إذ أن الشخص الواحد ، ليس معصوماً فكيف بالشخص المعنوى "الحكومة" ؟ فمدار النظر إذا هو فى ترجيح حسنات الحكومة على سيئاتها كما أو نوعاً ، لكن على الحكومة فى المقام الأول ، أن يكون انطلاقتها فى أقوالها وأفعالها.. من الدين ، وأن تعض عليه بالنواجذ .

وعلى أفراد الشعب ، أن يحافظوا على الإسلام ووقايته ، لأنه جوهر حياتهم . وتكون الحرية الحسنة ؛ المتأدبة بأداب الشريعة ، والمترينة بفضائلها هى السائدة بين طبقات المجتمع ، وبين أفرادها ، لأن الحرية

(١) سورة الشورى : آية ١٥ .

(٢) سورة النجم : آية ٣٩ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى . صيقل الإسلام ، ص ٣٨٧ .

العامّة، هي المحصلة الناتجة من حريات الأفراد . ومن شأن الحرية ، عدم الإضرار ، سواء بالنفس أو بالآخرين .

لقد أراد الأستاذ سعيد النورسي أن يضمن مستقبل العلماء في الولايات الشرقية ، بتأسيس "مدرسة الزهراء" في "بتليس" مع رفيقته في كل من "وان" ، و "ديار بكر" ، التي كان من أهم شرائطها ما يلي :

١- مزج العلوم الكونية الحديثة ، وإدراجها مع العلوم الدينية ، مع جعل اللغة العربية واجبة والكردية جائزة ، والتركية لازمة . فضياء القلب، العلوم الدينية ، ونور العقل ، العلوم الحديثة وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة . فتتربى همة الطالب وتعلو ، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية .

٢- انتخاب المدرسين فيها ، ويكونون ، إما من العلماء الأكراد، الموثقين والمعتمدين من قبل الأكراد ، والأتراك ، أو ممن يعرفون اللغة المحلية .

٣- جعل بساطة الأكراد نصب العين .

٤- تطبيق قاعدة تقسيم الأعمال بحذافيرها ، حتى يتخرج من كل شعبة متخصصون مهرة .

٥- معاملة المتخرجين بالمثل مع المدارس العليا ، والمعاهد الرسمية .

وقد كان المتوقع لجامعة الشرق الأناضولي هذه ، أن تحرز مقاماً مرموقاً بين المسلمين بفضل ما تتمتع به من موقع مركزي في العالم الإسلامي . إذ ستنبعث وتتجسم فيها الخدمات الدينية الجليلة السامية السابقة، والخصال المعنوية الخالدة لألوف العلماء ، والعارفين والشهداء، والمحققين من أجداد الشرق الأناضولي ، الراقيين في تلك الولايات^(١) .

أما الدرس الأساسي ، الجدير بأن يكون منهجاً ، وبرنامجاً لجامعة الشرق الأناضولي ، فهو منهج رسائل النور ، التي تفسر الحقائق الإيمانية

بتدع الزمان سعيد النورسي . الملاحق ، ص ٣٩٥ .

للقرآن الكريم ، والتي تقيم البراهين العقلية ، والدلائل المنطقية الإيمانية لإثبات مسائل القرآن العظيم .

لقد وافق ١٦٣ نائباً من نواب البرلمان للحكومة الجمهورية البالغ عددهم مائتي نائب على تخصيص مائة وخمسين ألف ليرة لإنشاء دار الفنون - الجامعة - في مدينة (وان) . وكانت موافقتهم هذه ، والاهتمام الذي أبدته حكومة الجمهورية نحوه ، يعنى إسقاط التهم الموجهة إليه حسب المادة ١٦٣ ، والتي تنص على معاقبة كل من سعى لإقامة دولة دينية في تركيا ، أو استغل الشعور الديني في هذا السبيل^(١) .

لقد سعى الأستاذ سعيد النورسي طوال حياته لإقامة " مدرسة الزهراء " التي تدمج فيها الدراسة الدينية ، والدراسة العلمية معاً ، حتى وضع حجرها الأساسى سنة ١٩١١م قرب بحيرة "وان" . " إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون إتمام المشروع . لكن العناية الربانية عوضت عن تلك المدرسة ، بمدرسة معنوية امتدت أغصانها الوارفة طول البلاد وعرضها . تلك هي المدارس المعنوية النورية . ومن هنا كان الأستاذ النورسي يعد طلاب النور هم طلاب مدرسة الزهراء^(٢) .

ولقد ظهرت رسائل النور بواسطة طالب من طلاب أساتذة الشرق الأناضولى ، ومدارسها الدينية المنتشرة فى أرجائه كافة .

والولايات الشرقية هي وسط بين الهند ، والبلاد العربية ، وإيران والقفقاس ، وتركستان و "مدرسة الزهراء" هي مدرسة حديثة ، ومدرسة شرعية فى نفس الوقت . وقد نافح الأستاذ النورسي زهاء خمساً وخمسين سنة من عمره لتحقيقها ، فهل من مجيب؟!

هذا مع العلم بأن جذور "مدرسة الزهراء" ، كانت فى شرق الأناضول سابقاً ، فى مدرسة "خور خور" ، التي تحت قلعة (وان) الصلدة، والتي تعد "مدرسة ابتدائية" لمدرسة الزهراء .

(١) يدبع الزمان سعيد النورسي . الشعاعات ، ص ٣٣٦ .

(٢) يدبع الزمان سعيد النورسي . المعات ، ص ٣٩٤ .

إن طلاب العلوم الشرعية ، نجباء ذوو همم عالية ، يسعون لإنقاذ الآخرين ، مع إنقاذهم لأنفسهم ، بينما أهل التصوف مثلاً ، يسعون لإنقاذ أنفسهم وحدها ، إن وفقوا إلى ذلك .

لذا رأينا علاقة طلاب الأستاذ سعيد النورسي وطيدة جداً مع أستاذهم، حتى بلغت مرتبة التضحية والفداء . لذا كان "سعيد القديم" يتمكن من التصدي للفعاليات الكثيرة التي كانت تقوم بها عصابات الأرمن ، وفدائيو الطاشناق^(١) ، في ضواحي مدينة (وان) ، و "بتليس" ، بل كان يوقفهم عند حدّهم إلى درجة ما .

وحيثما وجد لطلابه بنادق "الماوزر" ، وتحولت مدرسته إلى ما يشبه المعسكر ، إذ الكتب كانت جنباً إلى جنب مع البنادق ، وذات مرة حضر قائد عسكري برتبة فريق شاهد هذا الموقف .. فقال : " هذه ليست مدرسة دينية بل تكنة عسكرية " (١) .

إلا أن الأستاذ النورسي - رحمه الله - كان يبحث مخلصاً عن إقرار السلام في الولايات الشرقية فهل من مستجيب ؟ حيث أن أهل الشرق الأناضولي أخوة متحابون في الله ، بدليل أن الأستاذ النورسي عندما كان في مدينة (وان) ، قال لأحد طلابه الأكراد الغيورين : " لقد خدم الأتراك الإسلام كثيراً ، فكيف تراهم ؟ قال : إنني أفضل تركيا مسلماً على شقيقى الفاسق ، بل ارتبط به أكثر من ارتباطي بوالدي ، لخدمته الإيمان خدمة فعلية (٢) .

اتجه الأستاذ سعيد النورسي إلى (وان) ، وهناك انصرف للتعليم والتوجيه ، والتأليف . ولما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، تطوع فيها برتبة ضابط ، وكان يعود في أمسيات الحرب إلى المعسكر ، حيث يتحلق حوله طلابه ، فيدارسهم علوم القرآن ، كما أُلّف في تلك الفترة "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" ، وهو أول مؤلف له باللغة العربية^(٣) .

(١) الطاشناق : منظمة فدائية استهدفت تشكيل دولة أرمنية داخل الأراضي العثمانية.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي . الشماعات ، ص ٥٦٨ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي . الملاحق ، ص ٤١٨ .

(٤) مصطفى محمد . الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا . ألمانيا الغربية ، ط ١ ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٩ .

وفى (وان) اعتزل الأستاذ النورسى الناس والحكام ، وذلك عام ١٩٢١م، وكان هذا التاريخ هو الفاصل بين مرحلتين متميزتين من حياة بديع الزمان سعيد النورسى . إلا أنه أخذ بعد ذلك فى بث صيحات التوجيه والإرشاد بين صفوف الشباب فى (وان) ، وبصورة خاصة بين المثقفين، وذلك ضمن رسائله ، التى عرفت فيما بعد برسائل النور ، وعرف أنصارها بجماعة النور ، وهى تتطرق من محور القرآن الكريم وتفسيره . فالقرآن الكريم ليس كتاباً أدبياً ، وإنما هو حياة . والإسلام نفسه طريق حياة أكثر من كونه طريقة فى التفكير (١) .

مما سبق يتضح أن الشرق الأناضولى قد أنجب الكثير من العلماء الأفاضل ، خاصة علماء الدين، ونذكر منهم بعض النماذج المضيئة .
رابعاً : نماذج من علماء الشرق الأناضولى :

لقد انجب الشرق الأناضولى علماء أشاوس ، كانوا ملء السمع والبصر منهم :

١- محمد نجاتى أفندى : ولد فى " ديار بكر " عام ١٢٧٧هـ-١٨٦١م . بدأ تعليمه فى مسقط رأسه ، حيث تعلم قديراً من اللغة العربية ، والفارسية . كما داوم فى دروس الحاج "اسماعيل حقى" ، وتلقى منه الإجازة عام ١٨١٨هـ ، ثم عين مدرساً عقب الإجازة فى مدرسة الفاتح الموجودة بالقلعة السلطانية عام ١٣١٧هـ-١٩٠١م . توفى فى ٣١ أغسطس ١٣٣٦هـ-١٩٢٠م فيما كان يعمل مدرساً بمدرسة الفاتح (٢) .

٢- محمد شاکر أفندى : ولد عام ١٢٨٨هـ بـ "توقاد" ، وبعد أن تلقى تعليمه الأول فى بلده، قدم استانبول ، وداوم على حلقات الدروس لـ "أحمد شاکر أفندى" بجامعة الفاتح . ونال منه الإجازة عام ١٣٠٨هـ ، واشتغل بالتدريس بجامعة الفاتح عام ١٣١٣هـ-١٨٩٧م .
فى عام ١٣٢٧هـ أعطى الإجازة لنحو ثلاثمائة طالب .

(١) على عزت بیجوفیتش. الإسلام بین الشرق والغرب. الكويت ، مجلة النور ، ١٩٩٣ ، ص ٣٤.

(2)Sadik ALBayrak: Son devir Osmanli ulemasi, Zafer Mat-baasi, Istanbul. 1981, C. 4

وفي جمادى الأولى عام ١٣٢٠هـ أسند إليه مهمة التدريس الابتدائي في استانبول ، وفي أبريل عام ١٩٠٨م عين مدرساً للفقهاء في مدرسة القضاة في استانبول . وفي أبريل من عام ١٩١٢م ، انتخب في مجلس المبعوثان " ممثلاً " لتوقاد " . ولقد توفي في ٢١ يناير ١٩١٢م في استانبول .

٣- عمر عزمي أفندي : ولد في محله " خليل باشا " التابعة لمدينة (وان) ، في أغسطس عام ١٢٩٢هـ . بعد أن أكمل تعليمه الابتدائي ، والتحق بدار المعلمين . وبعد أن تخرج منها ، درس ١٠ سنوات في مدارس (وان) وملحقاتها ، وفي مدرسة الشيخ فتح الله بـ " بتليس " . وفي سبتمبر عام ١٣١٤هـ نال الإجازة من الشيخ " فتح الله أفندي " . وكان على علم باللغة العربية، والفارسية ، والتركية ، والكردية^(١) .

وبعد سنوات ثلاث التحق بدار المعلمين في " بتليس " عام ١٣١٨هـ ، ونال الشهادة بعد أن أدى الامتحان بها ثم عين مدرساً في مدرسة ابتدائية ، إلا أنه ترك مهنة التدريس في مارس عام ١٣٢٣هـ ، وظل ثلاث سنوات داعياً حراً . وفي يوليو عام ١٣٢٦هـ انتخب مفتياً لقضاء " بولانق " إضافة إلى هذا اشتغل بالتدريس للقضاء .

التيارات الفكرية السائدة في الأناضول

إن المراد بالفكر ، هو كل حركة للعقل يتميز بها الإنسان عن الحيوان . وليس كل ما ينطق به اللسان أو يدور في الجنان هو كلام معقول أو فكر مقبول ، إلا إذا كان متسقاً مع القوانين التي هي قواعد كلية تحكم كل حركة للعقل في أي علم من العلوم ، وبذلك يكون فكراً علمياً^(٢) .

كما أن المجتمع يتألف من الإنسان والأشياء المادية ، والأفكار، والمشاعر والأنظمة ، وإذا كان الإنسان مقيداً في الحياة بهذه، الأفكار، والمشاعر والأنظمة ، فإن المسلم مقيد في الحياة بالإسلام وقانونه ، ولا توجد له

(1)Sadik Albayrak ; op. c.5, p 348.

٢٠٠ سعد الدين السيد صالح. قوانين الفكر بين الاعتقاد والأفكار أو " نقد الفلسفة العقلية " . الزقازيق، المكتب العلمي الحديث للطباعة ، ط ١ ، ١٩٩٥ ، ص ٢٨ ، ص ٨٣ .

حريات مطلقة لشهواته ، ورغباته ، بل هي حرية مطلقة نسبياً ، ومقيدة ضمن حدود الشرع^(١) .

ولا توجد حرية مطلقة في العالم ، بل هي مقيدة بالنظام الذي يطبق عليها وتعيش ضمنه ، فهي مطلقة نسبياً ، وليس مطلقاً لأن حرية كل فرد تنتهي عندما تبتدىء حرية الآخرين .

ومن الجدير بالذكر أن الأناضول قد شهدت تيارات فكرية عديدة منها :

أولاً : القومية :

أما القومية فيقف منها بديع الزمان سعيد النورسي موقفاً حذراً، فهو لا يرفضها تماماً ، بل يرفض القومية المتعصبة للجنس أو الوطن ، لأنها تخالف الإسلام ، ويصف بديع الزمان سعيد النورسي القائلين بها بأنهم أهل بدع . لأنهم يأخذون من الإسلام ما يوافق آراءهم العنصرية ويتركون ما فيه صلاح البشرية .

إن القومية التي يدافع عنها بديع الزمان سعيد النورسي هي القومية الحامية والحاضنة للإسلام ولا تتعارض مع فكرة الاتحاد الإسلامي ، وهي تعد سبباً للتعاون والتآزر بين أفراد المجتمع . ولا بد أن تكون فكرة القومية حصناً حصيناً ، ودرعاً وقيماً للإسلام ، ولا يجوز بأى حال من الأحوال أن تحل محل الإسلام ، بل يجب أن تكون القومية حامية للأخوة الإسلامية^(٢) .

والمسلم الحقيقي لا يستطيع قبول فكرة العنصرية ، لأن هذه الفكرة لم تثمر إلا مفاصد إجتماعية ، كما أنها كانت السبب الحقيقي للحربين العالميتين .

وهناك مبدأ الوطنية ، وهذا المبدأ جديد وغريب على المسلمين ، بل ظل المسلمون يحاربونه منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأحمر على أصفر إلا بتقوى الله عز وجل . هذا فضلاً عن أن الإسلام يغني عن الوطنية ، وعن القومية ، بينما الوطنية ، والقومية ، لا يغنيان عن الإسلام ، وقد يحاربانه .. كما أن المسلم لا يخون وطنه ، ولا يؤذى قومه .. بينما الوطني فليس

(١) أحمد زكي تفاعلة . حوار بين الفكر الديني والفكر المادي . بيروت، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢ ، ص ٤٤ .

(٢) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤ .

بالضرورة أن يكون إسلامى العقيدة والفكر .. بل قد يحارب المسلم تحت دعوى الوحدة الوطنية مع أقليات قد تكرهه ، أو تعادى الإسلام . فالأقليات هى التى هدمت الدولة العثمانية^(١) .

والقومية لا تختلف عن الوطنية .. فإذا كان الرباط فى الوطنية البديلة أو الخائنة للإسلام هو قطعة أرض ، فالرباط فى القومية البديلة هو الانتماء إلى قوم بالتحديد .

ثانياً : الصهيونية والشيوعية :

إن تعاليم كارل ماركس دجال الشيوعية الأول ، وفردريك إنجلز زميله المشهور ، ولينين منشئ أول دولة شيوعية فى العالم ، وستالين مفسر لينين ، وغيرهم ، لا تختلف فى كثير أو قليل عن تعاليم بروتوكولات حكماء صهيون . بل إن الألفاظ والعبارات ، والمفاهيم التى صيغت بها تعاليم كل من الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة .

ولعل من أعجب ضروب التشابه فى الوقت ذاته ، أن يكون الرواد الشيوعيون الأوائل جميعاً منحدرين من أصل يهودى !
ويظهر هذا التشابه جلياً فيما يلى :

١- الثورة العالمية .. والتسلل :

حيث تنادى الصهيونية بضرورة إشعال نيران ثورة عالمية بغية إخضاع العالم كله للسيطرة الصهيونية ، ينادى حكماء الشيوعية بإشعال ثورة من هذا الطراز بغية إخضاع العالم كله للسيطرة الشيوعية^(٢) . لكن شاءت إرادة الله عز وجل أن تنهار الشيوعية فى معقلها الأول ، وأصبح الشيوعيون لا يجدون لقمة العيش إلا بشق الأنفس .

٢- ميدان الدين :

والصهيونية^(*) تطالب بالقضاء على كل الأديان عدا اليهودية ، وهذا هو عين ما تفعله الشيوعية . فالشيوعية حين تقضى على كل الأديان ، إنما

قيمى الشناوى ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

ماهر نسيم . الشيوعية والصهيونية . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٩ ، ص ١٩٠ .

الصهيونية حركة دينية سياسية ، استعمارية ، أسست الدولة اليهودية فى فلسطين ، شعارها التوراه والقنبلة .

تجعل من عقائدها ديناً جديداً . وهى تخلع على هذه العقائد قداسة أشبه بقداسة الدين^(١) .

لقد سبق لليهود أن دعوا إلى إنشاء وطن قومى لليهود تمهيداً لتأسيس امبراطورية عالمية واسعة الأرجاء . وليست الصهيونية حركة قومية مرتبطة بواقع تاريخى ، وإلا لما وافق الصهيوونيون على الاستيطان فى أوغندة بأغلبية ساحقة .

كما أن الصهيونية ليست حركة دينية ، وإلا لضمّت إلى أحضانها جميع يهود العالم ، فى حين أن كثيراً من اليهود ليسوا فقط خارج نطاق المؤمنين بهذه الحركة ، بل من الناقمين عليها .

ومن يراجع نصوص التلمود^(**) يجد فيها أقوال الحاخامات التى تضع التلمود فى الأولوية بالنسبة للتوراة ، وأن أقوال الحاخامات ، وهم رجال الدين عندهم ، مفضلة على التوراة التى نزلت من عند الله تعالى .

ولقد أوضح التلمود - أيضاً - أن أرواح بنى إسرائيل تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله والأرواح الأخرى أرواح شيطانية ، وشبيهة بأرواح الحيوانات ، والفرق بين الإسرائيلى ، والأممى كالفرق بين الإنسان والحيوان . ويتمادى التلمود ، فيحرض اليهود على منع باقى الأمم من تملك الأرض حتى تبقى السلطة لإسرائيل^(٢) .

أما الشيوعية ، فهى لون من ألوان الاشتراكية ، والشيوعية تقوم على مبادئ منها : الكفر بالأديان ، ومكافحة سلطة الكنيسة بالذات ، وهى تنظر إلى الدين على أنه أفيون الشعوب .

أما الاشتراكية فتمثل النزعة الجماعية فى مقابل النزعة الفردية ، وتدعو إلى رفع الظلم الاجتماعى عن كاهل الفئات الفقيرة والضعيفة ، وهذا هو موضع الإغراء فيها ، وموضع النقائنها مع الإسلام أيضاً ، كما أنها تؤيد تدخل الدولة لتقييد حرية التملك والتصرف فى المال بما يمنع الاحتكار

(١) ماهر نسيم ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ .

(**) التلمود : هو شريعة بنى إسرائيل السياسية وهو بعد التوراة .

(٢) يحيى أبو بكر ، كمال متولى . حقيقة السلام . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ١ ، بلا تاريخ ، ص ٣٩ .

والاستغلال ، وهذا يؤيده الإسلام أيضاً في حدود . هناك من الناس من يحتضنون المبدأ الاشتراكي ، لا رغبة في الاشتراكية ، ولا إيماناً بها ، ولكن ليتخذوا منها قناعاً يستترون تحته ليقفوا سداً منيعاً أمام دعاة الحق ، أمام الإسلام وأهله^(١) .

وعليه فيصبح من دواعي عدم الإنصاف أن يصبح غير أهل الإسلام - من أنصار هذه الدعاوى - في نظر المسلمين "أئمة" يتلمذ عليهم أتباع "محمد" صلى الله عليه وسلم ، وتلاميذ القرآن .. وأن يقبلوهم معلمين لهم ، وقادة للفكر فيهم .

٣- ميدان الأخلاق ، والسلطة والحكم :

والأخلاق عند كل من الصهيونية والشيوعية إنما تتمثل في شيء واحد ألا وهو القوة وتحقيق أهدافهما بشتى الوسائل ، مهما انحرفت هذه الوسائل عن جادة الصواب ، أما المثل الأخلاقية ، ومبادئ الفضيلة إنما تندرج تحت بند الغاية تبرر الوسيلة .

والصهيونية ، والشيوعية تناديان بالتوسل بالسلطة التي لا حد لها، والعنف الذي يقتل في النفوس كل رغبة في الاستمتاع بالحياة الفردية، والقمع الذي يجعل من السلطة رمزاً للقوة الساحقة ، والظلم الذي يجعل الناس يرتعدون من مجرد التفكير في المطالبة بحقوقهم^(٢) .

٤- ميدان الرأي العام ، والصحافة والاقتصاد :

والصهيونية والشيوعية ترى أنه لا بد من ضرورة إخضاع الرأي العام للسلطة ، والتي ينبغي أن تقبض على رمامها حفنة من القادة . أما من ناحية الصحافة ، فالحكام في نظرهما يخدعون القارئ حين يزودونه بالأخبار غير الصحيحة ، والقارئ يخدع الحاكم حين يتظاهر بأنه يصدق ما تزوده به الصحافة من أنباء .

د- يوسف القرضاوى . الحلول المستوردة وكيف جنت على أممتنا ، ص ٣٤٧ .

عاهر نسيم ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

وعليه ففي ظل كل من الصهيونية ، والشيعوية تصبح السلطة الحـ
هي المالك الوحيد .. مالك مؤسسات الإنتاج ، ووسائل الإنتاج ، ومالك
ذاتها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن التيار الاشتراكي كان يساير تـ
الشيوعي العالمي ، والذي كان قد بدأ يدخل تركيا بعد أن أسس الدكتـ
"رفيق نوزاد" الحزب الاشتراكي سنة ١٩١٠م . وقد أخذ هذا التيار تـ
التوطن بين طبقات الشعب الكادحة إلى أن أصبح تياراً سياسياً هاماً في تـ
حتى يومنا هذا^(١) .

ويرى بديع الزمان سعيد النورسي أن هذه التيارات تقوم على أسـ
الابتعاد عن الأديان السماوية ، وإنكار فكرة الألوهية ، وإقامة الفلسفة الماديـ
مقام الدين .

ولقد وضع بديع الزمان عدم صلاحية هذه الأفكار ، وبين مشاكل
العصر الاجتماعية والروحية والتربوية ، ووضع الأسس لحلها ، واستلهم
من القرآن الكريم من القوانين ما يكفل السعادة البشرية . وكان رد بديع
الزمان على المقلدين للغرب ، أن الدين حياة ، ولا يمكن إحياء الشعوب إلا
بإحياء الدين .

ثالثاً : الماسونية ، والروتاري ، والعلمانية :

لقد كانت النخبة المثقفة المسيطرة على الإدارة والإعلام ، أعضاء
في المحافل الماسونية وبالذات في محفل " سر " الذي أنشأه الأرمن في
استانبول عام ١٨٦١م ، وكلمة " سر " هذه تعني في اللغة الأرمنية " المحبة .
والماسونيون كانوا يريدون تأسيس نظام أوربي حديث يحل محل آل
عثمان . ومحفل " ريزورتا المقدوني " ، ومحفل " فريتاس " ، وكلاهما في
سلانيك ، قد لعبا دوراً بارزاً في الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد
الثاني^(٢) .

(١) د.سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

(٢) محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار ، ص ٨٤-٨٥ .

والفكر الماسونى علمانى الوجهة لكنه يهودى الهدف ، مخالف لتكوين الدولة الإسلامية، والفكر الإسلامى ؛ وخذ مثالا على ذلك : تعيين ولاية من الأقلية فى ولايات الأغلبية المسلمة ، وهذه فكرة ماسونية بحتة .

أما الماسونية كما عرفها المستشرق الهولندى دوزي فهى : " جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة ، هى إعادة الهيكل ، إذ هو رمز دولة اسرائيل " (١) . لكن لا يعلم هذه الغاية إلا القليلون ، وهذا فى الوقت الذى تضم فيه الماسونية السواد الأعظم من الملوك والحكام والقضاة، والأثرياء ، والزعماء ، والقادة ، والمتقنين كأئصار لها وعاملين على تحقيق أهدافها .

والماسونية جمعية سرية يهودية ، يرجع تاريخها إلى العصر الرومانى، تأسست فى مدينة " أورشليم " زمن الوالى " هيرودوس أغريبا " ملك اليهودية من سنة ٣٧-٤٤ بعد الميلاد ، وهو حفيد " هيرودوس الكبير " الذى قتل أطفال بيت لحم ، خشية أن يكون فيهم المسيح الذى سيقضى على ملكه (٢) .

وقد كان الغرض من تأسيسها ، مناهضة الدين المسيحى ، ثم تطور غرضها إلى مناهضة الأديان عامة ، وإعادة مجد إسرائيل ، والعودة إلى أرض فلسطين .

وأما عن وصول العضو إلى الدرجة العليا فيها فإنه يتحقق باندماجه فى الماسونية ، وتخليه عن جنسيته وقوميته ليكون رفيقا لليهود، يضع فى خدمة أهدافهم كل إمكاناته .

وقد استطاعت الماسونية أن تسيطر على أماكن العبادة فى السنوات الأخيرة ، وكان أكبر انتصاراتها اعتراف الكنيسة الكاثوليكية بها ، مع أنها كانت تنبذ كل فرد مسيحى يثبت لديها اشتراكه فى عضوية المحافل الماسونية، وتسقط عنه الإيمان المسيحى باعتبار أن الماسونية عقيدة صهيونية يهودية .

(١) د. محمد على الزعبي. الماسونية فى العراق. بيروت ، مؤسسة الرسالة ، طه ، ١٩٨٨ ، ص ٢٢

(٢) الأزهر الشريف ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

ولقد كان توزيع الأساقفة الكاثوليك في روما بياناً بالسماح للكاثوليك بالانضمام للمحافل الماسونية دليلاً على استئراء النفوذ الصهيوني بين النصارى^(١). ثم جاءت وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح دليلاً آخر على هذا الاستئراء .

وعند أصحاب البروتوكولات لا توجد ماسونية، وإنما يوجد مجلس السنهدريم^(٢) الأعلى الخفى والمؤلف من عدة مئات من أباطرة اليهود فى المال ، والاقتصاد والسياسة ، والعلم والنفوذ . ولا تستطيع اسرائيل السير إلا على تخطيط هذا المجلس .

وكلمة الماسونية مشتقة من الكلمة الفرنسية " فرماسون " ، ومعناها "البنائى الصادق" أو "البنائى الحر" ، فالماسون طبقاً لذلك هم البنائون الأحرار أو الصادقون كما يزعمون .

ورمز الماسونية والصهيونية وإسرائيل - أيضاً - هو النجمة السداسية، وهى عبارة عن مثلثين متقاطعين ، وفيما بعد أصبح المثلث رمزاً لله ، ومن هنا كانت قداسة الرمز عند اليهود والماسون .

ويرى بعض المؤرخين أن بولس اليهودى ، الذى اعتنق النصرانية فجأة ، قد أحدث ثورة فى العقيدة النصرانية ، وذلك بتحويلها من عقيدة توحيد وتزيه على يد عيسى عليه السلام ، إلى عقيدة تثليث وتأييه لعيسى عليه السلام .

وحينما افتضح أمر الماسونية ، حاولت أن تستر نفسها بأثواب جديدة وبراقة ، منها الروتارى والليونز .. والغرض الأسمى للماسونية القريب والبعيد ، هو حكم العالم كله بواسطة ملك من جنس بنى اسرائيل

(١) أنور الجندى. الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى ، ص ٩١ .

(٢) السنهدريم وهو : مجلس اليهود الكبير ، وقد أطلق المؤرخون هذا الاسم على هذا المجلس باعتباره المحكمة العليا للأمة اليهودية. وكان السنهدريم يمثل الشعب أمام الرومان وقد توقف عمل السنهدريم بعد عام ٧٠م ، وذلك بعد خراب اورشليم. راجع قاموس الكتاب المقدس تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص.

يُخضع جميع الشعوب لحكمه وسلطانه ، ويصير الجميع خدماً وعبيداً لبني اسرائيل^(١) .

إن نوادي الروتارى تضم أعضاء من مختلف الأديان والمبادئ ، ولكل أن يتمسك بعقيدته الدينية ، مع الاحترام الكامل لعقيدة الآخرين . وهذا معناه وضع الأديان كلها فى مستوى واحد من الإحترام ، بصرف النظر عما هو سماوى أو أرضى ، وهذه بداية لغسل القلوب والعقول تمهيداً لغرس ما يراد بعد ذلك . كما أن الهدف الأسمى لهذه النوادي ، هو إسقاط تاج القداسة عن الأديان السماوية بخلطها بالمذاهب التى هى من صنع البشر ، مع إيهام الناس بأن الإسلام ليس ديناً سماوياً ، وبذلك يضمنونه فى قائمة الفلسفات البشرية، التى تنسب لأصحابها {محمد صلى الله عليه وسلم} ، وهذا الادعاء مخالف لقول الله تعالى {إننا نحن نزلنا الذكر ، وإننا له لحافظون} ^(٢) . صدق الله العظيم .

وأما عن أهداف نوادي الروتارى ، فهى تبرز فى كونها مراكز للتجسس ، ونقل المعلومات وبذلك تدرس المجتمعات من حيث القوة والضعف ، كما أن هذه النوادي تعتبر مراكز لتغريب المجتمعات الإسلامية بما تعبر عنه من أفكار ، وقيم ، وممارسات لا تتفق مع تعاليم الإسلام . كما أن تاريخ هذه النوادي يعود إلى سنة ١٩٠٥م حيث تأسست على يد المدعو " بول هاريس " ، وللمؤتمر الإسلامى العالمى رأى فى الماسونية، والروتارى نوجزه :

لقد عقد فى مكة المكرمة ، وتحت رعاية الملك " فيصل " رحمه الله، مؤتمر عالمى للمنظمات الإسلامية للفترة من ١٤ إلى ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٩٤هـ مارس ١٩٧٣م ، وقد اشترك فى هذا المؤتمر مائة وأربعون وفداً ، يمثلون جميع الدول الإسلامية ، والأقليات الإسلامية بالدول غير الإسلامية . وقد تدارس المؤتمر مجموعة من القضايا الإسلامية

(١) د. سعد الدين السيد صالح. الماسونية فى اثوابها المعاصرة (البهائية-الروتارى-الليونز) ، ص ٥ .

(٢) سورة الحجر : آية ٩ .

والعالمية، واتخذ فيها قرارات صارمة وكان قراره الحادى عشر خاصا
بالماسونية ، وأندية الروتارى ، وأندية الليونز^(١) . ونصه
"على الهيئات الإسلامية أن يكون موقفها من هذه الجمعيات السرية على
النحو التالى :

- ١- على كل مسلم أن يخرج منها فوراً .
 - ٢- تحريم انتخاب أى مسلم ينتسب لها لأى عمل إسلامى .
 - ٣- على الدول الإسلامية أن تمنع نشاطها داخل بلادها ، وأن
تغلق محافلها وأوكارها .
 - ٤- فضحها بكتيبات ، ونشرات تباع بسعر التكلفة . وتعامل كل
من نوادى الروتارى والليونز .. معاملة الماسونية .
- أما عن العلمانية ، والتي تعنى الفصل بين الدين والدولة ، فيمكن
تطبيقها فقط على الأديان التي لا تملك أحكاماً دنيوية . ولما كان الدين
الحقيقى يشمل الدنيا ، والدين ، ويضم الإنسان والمجتمع بروحه
ومادته، ويحيط بكل شىء ، فالعلمانية إذاً تكون ضد الدين وهادمة له، وتقويضاً
لأركانها .

(١) د. أحمد شلبى. اليهودية. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١٠، ١٩٩٢، ص٣٤٤.

الفصل الثاني

حياة النورسي السياسية والدعوية

- ١- نشأته ودراسته .
- ٢- موقفه من تنحية الإسلام عن الحياة .
- ٣- وفاة النورسي .

نشأته ودراسته :

كانت حياة الأستاذ سعيد النورسي في حدّ ذاتها سلسلة من المآسى والأحزان ، تحمّل فيها مالا تتحمّله الجبال الراسيات ، مما يدل على تربيته الربيانية ، وإيمانه العميق ، وشخصيته القوية وذكائه الخارق ، وعزيمته القوية الصادقة ، وتحديه الراسخ ، وزهده الكريم ، وأمله المتجدد دائماً ، في تواضع جم .

ويمكن التعرف على جوانب حياته من خلال ما يلي :-

أولاً : مولده ونشأته :

ولد الإمام بديع الزمان سعيد النورسي رضي الله عنه سنة ١٢٩٣هـ - ١٨٧٣م في قرية صغيرة بين الأودية والجبال ، تسمى بقرية "نورس Nurs" من ناحية "سبائرت" من قضاء "هيزان Hizan" من ولاية "بتليس Bitlis" ، من ولايات كردستان الغربية ، الواقعة في شرقي الأناضول^(١) .

لقد ولد الإمام سعيد النورسي من أبوين كرديين^{(٢)(*)} ، حيث والده : صوفي ميرزا بن علي ابن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا رشاد ، من عشيرة "سبائرت" ، ووالدته : نورية بنت ملا طاهر من قرية "بلكان" من ناحية "خاكيف" ، التابعة لقضاء "هيزان" ، وهي من عشيرة "خاكيف" قضى بديع الزمان سعيد النورسي أيام طفولته مع والديه بقرية "نورس" Nurs . وفي فترة طفولته كان كثير الاستفسار عن الأشياء ، فكان شغوفاً لمعرفة حقائق الأشياء ، وكان يرتاد مجالس الكبار ، وخاصة علماء قرية ، ويصغى إلى ما يدور بينهم^(٣) .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . مجموعة عصا موسى . ص ٣٧٠ .

(٢) الكرد شعب آري من مجموعة الشعوب الهندو-أوربية ، من العائلة الإيرانية ، له لغته الخاصة ، وهي اللغة الكردية .

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . الندوة العالمية للشباب الإسلامي . الرياض ، مطبعة سفير ، ط ٢ ، ١٩٨٩ ، ص ٥٢١ .

(٣) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

ولد سعيد النورسى فى عهد السلطان عبد العزيز " ١٨٧٣م " واشتد ساعده فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى " ١٨٧٦-١٩٠٩م " ، وكانت الأوضاع الداخلىة والخارجية فى الدولة العثمانية متردية للغاية .

كانت أسرة سعيد النورسى تشغل بالفلاحة ، فتوجه هو إلى التعليم فى الكتاتيب ، والمدارس الدينية ، وقد ظهرت مخايل النبوغ والذكاء عليه منذ نعومة أظفاره ؛ حيث كان دائم السؤال والاستطلاع لكل ما استغلق عليه فهمه . فكان يحضر مجالس الكبار ، ويصغى إلى ما يدور بينهم من مناقشات فى مسائل شتى ، ولا سيما علماء قريته الذين كانوا يجتمعون فى منزل والده لىالى الشتاء الطوال .

لقد حدث خياله فى عهد صباه قائلاً له : " أى الأمرين تفضل ؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبهتها على أن ينتهى ذلك إلى العدم - أم وجوداً باقياً مع حياة شاقة ؟ " (١) إلا أنه فضل الثانية عن الأولى بتوفيق الله له .

كان سعيد النورسى شخصاً متواضعاً دمث الأخلاق ، إلا أنه كان معتل الصحة دائماً وكان قليل الإقبال على الطعام ، وكان شعاره الذى طبقه طوال حياته ، هو ألا يأخذ شيئاً من أحد دون مقابل . ولقد قضى حياته كلها على ما ادخره سابقاً من الليرات الذهبية نتيجة بعض أعماله العلمية ، وعلى الاقتصاد الكامل ، والبركة الربانية .

وعلى الرغم من نقوده القليلة جداً ، إلا أنه يملك خاصية الاقتصاد ، وقد تعود على القناعة منذ صغره ، فأصبح أغنى الناس . ومن أراد أن يكون أغنى الناس ، أعرض عما فى أيديهم ، ولم ينظر إليه .

كان الأستاذ سعيد النورسى يلف لفافة على رأسه كما هو معهود فى زى علماء الأكراد فى شمالى العراق ، وما كان يلبس العمامة المعهودة لدى الأئمة والخطباء ، وظل محتفظاً بزيه هذا طوال حياته .

(١) إحسان قاسم الصالحى ، بديع الزمان سعيد النورسى ، نظرة عامة عن حياته وأثاره ، ص ١٩

وكان قليل الطعام والشراب . ففي الفطور كان يشرب الشاي مع قليل من الجبن ، وفي العشاء يحتسى شوربة البرغل .. وهكذا كانت تمضي الأيام^(١) .

وكان لا يأكل شيئاً إلا ويتأكد من مصدره ونظافته ، وكان من عاداته التي لم يتخل عنها طوال حياته المباركة ، أن يقضى الليالي بالتسبيح، والتهليل والدعاء ، والمناجاة والتهدج ، وكان على وضوء دائم . وما كان الأستاذ سعيد النورسي يدخل الطعام على الطعام في معدته قط إلا بعد مرور خمس ساعات كاملة . وما كان يشرب الماء بعد الأكل إلا بعد ساعتين كاملتين ، وكان يشرب الماء بارداً جداً^(٢) .

وعندما كان الأستاذ سعيد النورسي ينشغل بعباداته وتضرعاته ومناجاته، كان يجلس جلسة التشهد في الصلاة ، وكان لا يصرف وقته سدى قط ، إما قائماً يصلي أو داعياً منضرباً أو مسبحاً ، أو متأملاً في ملكوت سماوات والأرض .

كان - رحمه الله - يعشق القمم منذ صباه . فقد تجول بين عوالم الأفكار والمذاهب والأديان جولان الباحث المنقب ، والمتعطش إلى المعرفة، فيكتشف أن الإسلام أعلاها قمة ، وأسمىها فكراً وأصدقها حديثاً .. ولم يعرف عبث الطفولة في حياته ، ولم تغره ملاعب الصبا ، ومراتع الأحداث من أقرانه ، فقد كبر مبكراً ، وانجست في روحه همم ، وإرادات لا يعرفها إلا الفحول من عظماء الرجال ، وحمل على كاهله الصغير هموماً ذهنية ومشاعل فكرية ، لا يحملها إلا العباقرة من الرجال الناصحين .. تحضر في الليالي الهادئة مجالس والدك الشيخ ، والتي يرتادها عادة علماء القرية ، وشيوخها .. وتجلس في طرف قصي من المجلس تتسمع بلهفة إلى أحاديثهم ، وإلى ما يديرونه من حوار بينهم ، في قضايا الوجود، والحياة..^(٣) .

(١) أسيد إحسان قاسم. ذكريات عن سعيد النورسي. القاهرة، مركز الكتاب للنشر ، ١٩٩٧ ، ص ٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

(٣) أديب إبراهيم الدباغ ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

ويردعك مصير الإنسان على هذه الأرض ونهايته المفجعة تحت
كومة من التراب المهيل .. فتتألق فى ذهنه اللّماح فجأة فكرة
الخلود ويشرق قلبه بنور البقاء ؛ ذلك أن الموت هو لون آخر من ألوان
الحياة ، وصورة أخرى من صور الوجود ، وإنما نموت لنحيا من جديد كما
تموت حبة القمح - تجاوزاً - فى بطن الأرض ، لتبعث حية فى سنبليها مرة
أخرى . ولم لا ؟ وأجداده أهل دين حقاً^(١) .

لقد نشأ منذ صغره عديم اللحية ، وعاش فى وسط من الناس تسعين
بالمائة منهم لا يطلقون لحاهم إلا أنه بذلك قد ترك سنة نبوية مؤكدة ، سأل
ربه سبحانه وتعالى أن يغفرها له بسبب رسائل النور ، وقد قال فى هذا
المعنى : " لو كنت مطلقاً لحيتى ، ثم حلقتها ، لكانت رسائل النور تتضرر
ضرراً بالغاً ، حيث كنت لا اتحمل ذلك فأموت^(٢) .

وكان الأستاذ سعيد النورسى يحمل علامة فطرية خاصة به ، وهى
التحام إبهام الرجل مع التى تليها^(٣) .

وفى صغره كان يحمل بين جنبيه حالة تتسم بالفخر والاعتزاز - يوم
أن كان فى العاشرة من عمره - تتمثل أحياناً فى صورة حبه للمدح
والثناء؛ فكان بطلاً عظيماً ، طوراً ، وطوراً آخر رائداً كبيراً .. وعند سماع
أخبار بطولية عنه ، كان أبوه يبهج ويضحك كلما سمع مثل هذه
الأخبار، ويقول ماشاء الله .. قد كبر ولدى حتى يظهر بطولة أو عملاً عظيماً
بحيث يتكلم الناس عنه ، أما أمه فكانت تبكى بكاءً مرّاً مقابل سرور والده .

لم يشاهد الأستاذ سعيد النورسى والدته الرعوفة منذ التاسعة من
عمره، ولم يحظ بتبادل الحوار اللطيف معها فى جلساتها ، فبات محروماً من
تلك المحبة الرفيعة ، ولم يتمكن من مشاهدة أخواته الثلاث منذ الخامسة

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٥٢٧ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . الملاحق ، ص ٢٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

عشرة من عمره ، حيث ذهبن مع والدته إلى عالم البرزخ ، ولم يشاهد
أيضاً أخويه - من ثلاثة إخوة - رحمهم الله ، فبات محروماً من السرور
المتيقن من الأخوة الودودة ، والشفقة العطوفة في مجالسة أولئك الأعراء
المتقين العلماء .

ومع هذا ما كان يشعر بهذا النقص قط ، فقد عوضه الله سبحانه
وتعالى عنهم بالكثير من طلبة وطالبات رسائل النور .

ثانياً : دراسته وتحصيله العلمي :

لقد تلقى الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي علومه الأولى في
كتاب قرية طاع " على يد " محمد أفندي " سنة ١٨٨٢م ، وكان نظام
الكتاب " المدارس " في شرق الأناضول آنذاك قائماً على إعطاء فتح
المدارس العلمية الدينية لكل عالم مجاز ، وتكون مصاريف الطلاب على
عائق منشاء المدرسة إن كان قادراً على ذلك ، وإلا فإن هذه المصاريف
تعطى من زكاة الناس ، ومن تبرعاتهم ، لذا كان طلاب المدارس الدينية
ينتشرون في القرى لجمع الزكاة لتأمين مصاريفهم ولكن " سعيداً الصغير " لم
يكن يرضى لنفسه أن يأخذ زكاة أو صدقة^(١) .

في سنة ١٨٨٨م ذهب إلى " بتليس " ، والتحق بمدرسة " الشيخ
أمين أفندي " ، ثم قصد إلى مدرسة " ميرحسن ولى " في " مكس " ، ثم إلى
مدرسة في واسطان " كواش " ، وبعد شهر واحد فقط ذهب مع صديق اسمه
" ملامحمد " إلى مدرسة في قضاء " بايزيد " التابعة لولاية " آغرى " ، وهنا
بدأت الدراسة الدينية الإسلامية في حياة الأستاذ سعيد النورسي ، إذ أنه لم
يكن قد قرأ حتى الآن سوى النحو والصرف^(٢) .

وفي هذه المدرسة ، وتحت رعاية " الشيخ محمد جلالى " ، قضى سعيد
النورسي ثلاثة أشهر في دراسة جادة ومكثفة . وفي سنة ١٨٨٩م ذهب إلى "
بتليس " ، وحضر بعض دروس " الشيخ محمد أمين " ، ومن هناك إلى مدينة
" شيروان " حيث كان فيها أخوه الكبير " الملا عبد الله " ومنها إلى

(١) د. فرج محمد الوصيف : مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(٢) احسان قاسم الصالحى - بديع الزمان سعيد النورسي " نظرة عامة عن حياته وآثاره " ، ص ٢١ .

"سِعد" ، حيث ذهب إلى مدرسة العالم المعروف " فتح الله أفندي " ، وهناك قرأ الملا سعيد كتاب " جمع الجوامع " في أصول الفقه لابن السبكي ، بمعدل ساعة أو ساعتين في اليوم لمدة أسبوع ، وكانت هذه القراءة كافية لحفظ الكتاب عن ظهر قلب . ثم ذهب إلى "بتليس" ومنها إلى مدينة (تلو) حيث اعتكف في إحدى أماكن العبادة ، وحفظ هناك من (القاموس المحيط) للفيروز آبادي حتى باب السين .

في سنة ١٨٩٢م ذهب الملا سعيد النورسي إلى (ماردين) ، حيث بدأ يلقى دروسه في جامع المدينة ، ويجب عن أسئلة قاصدية ، ثم نفي إلى (بتليس) ، لكنه أقام في منزل والي بتليس (عمر باشا) ، وقد وجد الملا سعيد هناك الفرصة لمطالعة كثير من الكتب العلمية ، وحفظ كتباً عديدة منها عن ظهر قلب ، كما طالع كثيراً من كتب علم الكلام ، والمنطق ، والنحو والتفسير والحديث والفقه ، فحفظ أكثر من ثمانين كتاباً من أمهات كتب العلوم الإسلامية . وفي هذه المدينة أخذ آخر دروسه الدينية من العالم الفاضل الشيخ " محمد الكفروي " .

وفي سنة ١٨٩٤م ذهب الأستاذ سعيد النورسي إلى " وان " بدعوة من واليها " حسن باشا " حيث بقى عنده ، ثم في منزل " طاهر باشا " . ولقد هبأ الله له ظروف الالتقاء ببعض أساتذة العلوم الحديثة من جغرافيا وتاريخ ، وكيمياء وفيزياء ، وجيولوجيا وفلسفة .. ولقد أقبل على تعلم هذه العلوم بشغف عظيم حتى أتقنها ، وأصبح متمكناً منها ، لدرجة أنه كان قادراً على التأليف ، ومناقشة المتخصصين فيها .. ولتعدد قابلياته ، ولذكائه الخارق ، فقد ذاعت شهرته وأطلق عليه لقب " بديع الزمان " .

كان سعيد النورسي يقرأ في اليوم الواحد من متون أصعب الكتب مائتي صفحة ، ويفهمها دون الرجوع إلى الهوامش والحواشي ، وكان يستمر في القراءة على ضوء الشموع^(١)

(١) إحسان قاسم الصالحى . بديع الزمان سعيد النورسى "نظرة عامة عن حياته وآثاره" . صص ٢١-٢٢ .

لقد درس سعيد النورسي في ظل منهجية التعليم - في زمانه - علوماً شتى ، فقد درس الكتب الكلامية المعروفة ، كعقائد الجرجاني، والتفتازاني ، والنسفي ، التي تثبت وجود الله تعالى ، عبر مقدمات مطولة مخلوطة بمقولات فلسفية معقدة .. غير أنه لم يقتنع بأى طريق من تلك الطرق في دعوته لإنقاذ الإيمان ، وإنما اتبع طريق القرآن وحده للوصول إلى الله تعالى ، لأنه أقرب الطرق إلى إثارة الفطرة الإنسانية، وتحريك العقول الباحثة عن الحق .. ومن تمام الإنصاف أن نذكر أن النورسي قد تأثر بحجة الإسلام ، الإمام الغزالي . كان " سعيد القديم " مغترباً بمظاهر الدنيا ، يتعمق في العلم ، ويحب الثقافة ، ويقرأ الفلسفات، كى يثبت أنه علامة الزمان ، ومتقف العصر وفيلسوف الدنيا .. إلا أنه عاد إلى نفسه ليرى أن كل ذلك طريق الغرور ، وسبيل إلى بلبلة الفكر وضياع الشخصية ، وابتعاد عن منهج القرآن^(١) .

وتشكل الفلسفة جانباً مهماً من مصادر ثقافة سعيد النورسي . فقد درسها دراسة وافية بمدارسها المتنوعة منذ عصر اليونان إلى زمانه . لكنه رفضها، ورفض مناهجها المستقلة عن الدين الحق وهو الإسلام . إلا أنه يقبلها في حالة واحدة ، وهي : إذا رأى أنها استجارت بالدين وانقادت إليه، وأصبحت في طاعته . فحينئذ تنتعش الإنسانية ، وتعيش حياة اجتماعية نبيلة^(٢) .

والفلسفة ليست حقائق ، وإنما هي أقوال رجال . والحق أن كثرة المدارس الفلسفية المتضادة وتتنوع آراء الرجال فيها دليل على عدم عصمة الفلسفة ، وإنما هي اجتهادات العقول البشرية .

إن حياة سعيد النورسي تشهد أن غايته الوحيدة هي الشوق العلمي، وتحصيل العلوم الإسلامية ، لدرجة أنه احتفظ طوال حياته بصفة

(١) د. محسن عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي . الكلمات ، مرجع سابق ، ص ٦٣٩ .

طالب العلم ، خلافاً لجميع العلماء المتخرجين من المدارس الإسلامية القديمة^(١) .

لقد استطاع الأستاذ النورسي أن يصقل موهبته الفذة بدراسة العبد الإنسانية ، والفلسفات القديمة ، والعلوم الإنسانية . زيادة على ذلك ، إطلاع الواسع على الأدب والبلاغة العربية في كتب الجاحظ ، والزمخشري والسكاكي ، لا سيما كتب النحوى البلاغى الكبير الإمام عبد القاهر الجرجاني، حيث آمن بنظريته المشهورة فى النظم^(*) ، وأعجب بها أيما إعجاب ، وظهر ذلك من خلال كتاباته فى " إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز " ^(٢) .

لذلك نراه فى مقدمة مفكرى هذا القرن ، وقد كان طوال حياته إنساناً يعيش تحت ظل الكتاب والسنة ، ويطلق بأجنحة المنطق ، وقد ظل على الدوام رجل العقل والمنطق . ولقد وهب كل ثمرات المدارس ، والتكايى، والزوايا ، وحلقات العلم والدراسة .

عندما كان فى الرابعة عشر من العمر ، وجد موانع حالت دون قيام أحد من الأساتذة على وضع العمامة ولفها على رأسه ، وإلباسه الجبة ، كدليل على الشهادة العلمية ، كما كانت العادة جارية سابقاً . فما كان لبس الجبة الخاصة بالعلماء والكبار يلائم سنه الصغير .. إلا أن علمه كان علم العلماء الفطاحل فى هذا السن المبكر . وحسب الطرق المتبعة فى المدارس الدينية، ينبغى دراسة العلوم الشرعية مدة خمس عشرة سنة - فى الأقل - كي يحرز الإنسان الحقائق الدينية ، والعلوم الإسلامية .

إلا أن سعيد النورسي تجاوز هذه المرحلة ، وكأنه أكمل قراءة ما يقرب من خمسين كتاباً فى خلال ثلاثة أشهر فقط . وقد كفاه القرآن الكريم ، ورسائل النور المفاضة منه ، فلم يحتج إلى كتاب واحد ، ولم يحتفظ بأى كتاب عنده .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٦٠٧ .

(*) النظم : هو عدم الفصل بين اللفظ ومعناه ، وبين الشكل والمضمون ، وأن البلاغة فى النظم لا فى الكلمة المفردة ، ولا فى مجرد المعانى دون تصوير الألفاظ لها .

(٢) د. محسن عبد الحميد . مقدمة . كليات رسائل النور "إشارات الاعجاز فى مظان الإيجاز" ، ص ٦ .

وكان يستخدم فى أكثر المسائل العلمية تعقيداً منطقياً ، عالياً حير أكبر المفكرين ، أذهلهم وكان يستخدم - أيضاً - الأسلوب الجذاب الرائع، المشوق، حتى لتبدو كتاباته وكأنها بحر إيمان وخزينة توحيد ، ومحيط حكمه .

وفى بداية حياته طاف بين علماء الأكراد ، ومدارسهم ، يناظر التلاميذ، والأساتذة ، وكان يقرأ كل كتاب يصادفه ، ويفهم كل ما يطالعه، ويوجب على الأسئلة بالسنوحات القلبية^(١).

ومنذ صغره جال بين المدارس ، فإذا لم يعاشر تلاميذ مدرسة، يتركها، ويذهب إلى أخرى ولذلك لم يحصل شيئاً مهماً من العلم فى هذه السنين الأربع أو الخمس الأولى من حياته ، لعدم إقامته فى مدرسة واحدة .

وقد أتم دراسته نتيجة لذكاء حاد وهو لم يتجاوز بعد سن البلوغ، وكان فى أثناء دراسته معروفاً برجاحة العقل ، وقوة الذاكرة فاكتسب تقدير معلميه^(٢) .

كما اشترك على عادة عصره فى المناظرات التى كانت تعقد بين العلماء والمتفقيين وكان يتغلب عليهم بفضل العناية الربانية ، وهو كردى الأصل ، كردى اللغة ، لم يتعلم اللغة التركية إلا بعد نزوحه إلى مدينة "وان" ، وهى إحدى مدن شرق الأناضول ، مكث فيها خمسة عشر عاماً قضاها محبوباً من الأهالى ، ومن الولاية .

ولكى يحتفظ سعيد النورسى بعزة العلم ، ومكانته ، فإنه كان لا يقبل، ولم يقبل فى السابق أيضاً الصدقات والهدايا ، وما شابهما ، ويمتنع طلابه من ذلك أيضاً^(٣) .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . مجموعة عصا موسى . ص ٣٧٥ .

(٢) د . محمد حرب . العثمانيون فى التاريخ والحضارة ، ص ٢٥٢ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٦٠٨ .

وعليه فإن ذلك إن دل فإنما يدل على أننا أمام شخصية ذات صفات سامية .

ثالثاً : شخصيته وصفاته :

كان بديع الزمان سعيد النورسي زاهداً متقشفاً ، شديد التواضع، وكان يحرص على تعلم الرماية والمصارعة ، ويأخذ نفسه بأسباب القوة والرمي ، وركوب الخيل .. وكان ذا روح عسكرية عالية ، وكان في الوقت نفسه شجاعاً مقداماً لا يخاف ولا يتردد أبداً^(١) . وكان بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - يتحلى بالصفات الآتية :-

١- الزهد والتصوف :

كان سعيد النورسي في حياته زاهداً كبيراً ، وورعاً شديد الورع، يقظ القلب والوجدان مستغرقاً في حب الله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن صوفياً بالمعنى الاصطلاحي؛ فهو يعد التصوف أساساً مهماً من أسس إيصال الإنسان المسلم إلى الاستقامة والتقوى ، ورافداً مؤثراً من روافد صياغة حياته العابدة لله تعالى . في الوقت ذاته ينبه المسلمين إلى الانحرافات والسلبيات التي دخلت في علم التصوف وواقعه ، نتيجة لابتعاد بعض المتصوفة عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعن مسلك الصحابة الكرام ، والسلف الصالح رضي الله عنهم^(٢) .

كان سعيد النورسي يفضل أن يأكل كسرة خبز يابس ، وأن يلبس ثوباً فيه مائة رقعة ورقعة حتى ينقذ نفسه من التصنع والتملق ، من أن يأكل أطيب حلوى الآخرين ، وأن يلبس أفخر ملابسهم، ثم يضطر إلى مراعاة مشاعرهم ، وهذا ما كان يكرهه ويأباه^(٣) .

(١) مصطفى محمد ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

(٢) د. محسن عبد الحميد. النورسي متكلم العصر الحديث ، ص ٢٢٠ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي. المكتوبات ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

وكان يقول عن التصوف " لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان، بينما يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف . فالتصوف فاكهة ، والحقائق الإيمانية خبز " (١) .

٢- العمل السياسي :

إن حالة " سعيد القديم " تستمر حتى إقامته الجبرية في " بارالا " عام ١٩٢٦م . في هذه المرحلة نرى الأستاذ سعيد النورسي - رحمه الله - يحاول خدمة الإسلام بالخوض في غمار الحياة السياسية ، ويحاول صد التيار المعادي للإسلام بالصراع في تيار السياسة ، فنراه ينصح السلطان عبد الحميد الثاني تارة ، وتارة أخرى يكتب المقالات السياسية العنيفة في جريدة " وولقان " أي البركان ، ونراه يحاول التأثير في رجال الاتحاد والترقي لدفعهم إلى الجانب الإسلامي (٢) .

لقد خاض " سعيد القديم " غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات على يخدم الدين ، والعلم، فذهبت محاولاته أدراج الرياح ، إذ رأى أن تلك الطريق ذات مشاكل ، ومشكوك فيها . وهي ذات خطورة ، وأن أغلبها خداع وأكاذيب . وهناك احتمال أن يكون الشخص آلة بيد الأجنبي دون أن يشعر . لأجل هذا ترك سعيد النورسي السياسة ومجالسها الدنيوية ، كما ترك قراءة الجرائد ، مع تركه السجارة . وظل سنوات عديدة لا يقرأ جريدة واحدة ، ولم يستمع إليها من أحد قط كما قاطع الاستماع إلى " الراديو " مع أن الحرب العالمية الأولى كانت في أشدها ، بينما كان " سعيد القديم " يقرأ حوالى ثمانى جرائد يومياً قبل ذلك (٣) .

(١) ديع الزمان سعيد النورسي . المكتوبات ، ص ٢٧ .

(٢) احسان قاسم الصالحى . يديع الزمان سعيد النورسي "نظرة عامة على حياته وآثاره" ص ١٠٥ .

(٣) يديع الزمان سعيد النورسي ، المكتوبات ، ص ٧٧ .

ومع ذلك يرى الباحث أن الأستاذ سعيد النورسي ظل طوال حياته سياسياً يلتزم بالسياسة الشرعية في ممارسته السياسية ؛ وسنبين ذلك في حينه ضمن هذه الرسالة إن شاء الله تعالى .

هذا مع الوضع في الاعتبار أن السياسة هي تدبير شؤون الأمة بقوانين تحقق المصلحة ، وتدفع الضرر عن الناس ؛ لهذا اهتم الاسلام والمسلمون بالسياسة . والله سبحانه وتعالى أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ؛ وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض ، فإذا ظهرت أمارات العدل فتمّ شرع الله ودينه^(١) .

وقد قال الله تعالى { لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط }^(٢) . إلا أننا نرى رجالاً يتجاسرون فيعلنون أن الإسلام دين روحى ، ولا شأن له بالسياسة والدولة ، وأنه حفاظاً على الدين ، يجب عزله عن السياسة ، وبهذا لا يدير شؤون البلاد إلا الذين يحسنون أعمال السياسة بعيداً عن الدين ، وكأن القرآن الكريم لا يلزم المسلمين ولا يصلح لشؤون حياتهم .

كما أن شعارات ” لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة“، ”أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن السياسة“ ، تكون جائزة ، إذا أريد بها عدم استغلال الدين للوصول إلى الحكم فإذا تحقق ذلك طرح الدين ، لأنه أدى مهمته وانتهى . فذلك نفاق لا يرضاه أى دين^(٣) .

وعندما قبر ” سعيد القديم “ ، وأصبح ” سعيداً جديداً “ يعيش كلياً للأخرة ، انسلّ من حياة المجتمع ، واعتزل الناس تماماً واعتكف فى ” تل يوشع “ فى استانبول ، ومن ثم فى مغارات فى جبال ” وان “ ، وبنليس ... رافعا شعاره المعهود ” أعوذ بالله من الشيطان والسياسة “ ، وقد صرف كل

(١) سالم على اليهنساوى ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٢) سورة الحديد : آية ٢٥ .

(٣) الأزهر الشريف . بيان للناس ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ .

همه ، ووقته في تدبر معاني القرآن الكريم ... إلا أن الأقدار أخذته نفيًا من مدينة إلى أخرى ، وتعرض لمحاكمات عدة ... وفي هذه الأثناء تولدت في صميم قلبه معاني جليلة نابغة من معاني القرآن الكريم ، أملاها على من حوله من الأشخاص ... تلك الرسائل التي أطلق عليها اسم " رسائل النور" ، التي تلقفتها الأيدي الأمانة بالاستتساخ والنشر^(١) .

لقد استطاع سعيد النورسي أن يكون قائداً للجماهير ، ومتحدثاً باسمها، دونما فخر أو اعتزاز بالنفس ، كما أنه لم يهتم بالمظاهر . واستطاع بما قدمه أن يكون من الشخصيات التاريخية التي لا تبلى مع الزمن، ولا تتسى مع الأيام .

٣- التسامح :

كان الأستاذ سعيد النورسي إذا أهانه أحد أشد إهانة ، واحتقره أشنع تحقير ، وحطّ من كرامة شخصه كلياً ، إلا أنه في نفس الوقت لم يتخلّ عن الخدمة القرآنية والإيمانية ، النورية ، فإنه يصفح عنه ، ويتنازل له عن حقه ، بل ويصالحه ، ويسعى لعدم الاستياء منه .

ولقد تحمل الأستاذ سعيد النورسي أشد العنت ، وذلك بما وهب له سبحانه من الصبر العظيم، والتحمل الذي لا مثيل له لأذى الإهانات الشنيعة التي كان يتعرض لها من حين إلى آخر ظلماً وعدواناً^(٢) .

ومع ذلك فالذين أرادوا وصمه بمختلف التهم والإهانات ، وأفردوا له أماكن سيئة في الزنانات ، قد غفر لهم ذلك ، وتنازل عن حقوقه تجاههم، لأن أولئك قد ارتكبوا تلك الأمور عن جهل منهم ، كما تمنى لهم الهداية والفلاح .

٤- الحياء :

وكما أن ناراً صغيرة ، بل ضعيفة - كعود الكبريت - تحرق غابة عظيمة ، كثيفة ، تدريجياً وتجعلها أثراً بعد عين .. فكذلك النظرة إلى النساء

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الشعاعات ، ص ٥٤٢ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي . الملاحق ، ص ٣٦٤ .

تحرق عمل المؤمن اليومي شيئاً فشيئاً ... والعاقبة قد تكون وخيمة .
ولذلك وجدنا الأستاذ سعيد النورسي - رحمه الله - كان يتجنب النظر
الحرام هذه ، وكان لا ينظر إلى النساء قط ، والدليل على ذلك ، عندما مكث
سنتين في بيت الوالي المرحوم " عمر باشا " في " بتليس " بناء على
إصراره الشديد ، ولفرط احترامه للعلم والعلماء ... وكان له من البنات
ست، ثلاث منهن صغيرات ، وثلاث بالغات كبيرات ... إلا أنه لم يسدد النظر
إليهن كي يعرفهن ويميزهن (١) .

وفي إحدى المهرجانات المقامة في استانبول ، ركب مع السيد
طه، والحاج إلياس (وهما عضوا المجلس النيابي) في قارب ، وكان
القارب يمر أمام حشد من النساء الكاسيات العاريات ولم يكن للأستاذ سعيد
النورسي علم من أن الملاطه ، والحاج إلياس قد انفقا على مراقبته
بالتناوب، واختباره في النظر إلى النساء ، إلا أن النورسي - رحمه الله -
لم يرفع بصره إليهن قط، لأنه لا يريد أدواً مؤقتة ، عاقبتها آلام وحسرات.
سماته الشخصية والأدبية :

أما عن شخصية الأستاذ سعيد النورسي ، فإننا نقف أمام قمة
شامخة ، مهابة الجانب بفضل الله تعالى ، إذ لم يعرف في حياته أبداً هذا
الانفصام الذي نشاهده عند الكثير من المفكرين بين النظرية والتطبيق ، وبين
الفكر والعمل ، وبين العقيدة المجردة في الذات ، وبين السلوك
الشخصي، والتعامل مع الأحداث والوقائع ، حيث المحك الذي يتهاوى عنده
الكثير من أصحاب الأفكار والعقائد (٢) .

كان سعيد النورسي هادئ النفس ، متواضعاً عطوفاً ، ودوداً يغمز
النفوس بلطفه و أنسه ووداعته ... كان شخصية إسلامية كبيرة ، نابغة من
نوابع الزمان ، غزير العلم ، نافذ الفكر داعياً إلى الله على بصيرة ، حمل
هموم المسلمين منذ شبابه ...

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الملاحق ، ص ٣١٢ .

(٢) أديب ابراهيم الدباغ ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

ومع ذلك عانى سعيد النورسى من نفسه الشيء الكثير ، فنفسه
نفس جموحة ، وعرة المراس صعبة الترويض ، عصية على الإقناع ، تأبى
أن تسلم له القيادة مالم يأتيها على الرأى الذى يراه بالدليل القاطع لكل
شك، والبرهان المبدد لكل ريب ... فهو فى كل ما كتب ، ولا سيما
فى "المتنوى العربى النورى" ، إنما كان يكتب لنفسه بهذا القصد ، ولهذا
الغرض .

كما كان لسعيد النورسى نفس شاعرة ، ووجدان رقيق
مرهف، يملك كل صفات الشاعر العظيم ، إلا أنه لم يقل شعراً ، وما قاله فى
" المتنوى العربى النورى " رغم أنه يحمل ميزات النثر ومقوماته شكلاً
وقالباً، إلا أنه شاعرى الروح والنفس .

لقد عاش الأستاذ سعيد النورسى حياة العزوبية التامة ، وقد قال : " لو
ذهب لى عشر من الحور العين فى هذه الدنيا ، لوجدت نفسى مضطرة إلى
التخلى عنهن جميعاً ، لأجل تلك الحقيقة حقيقة القرآن " (١) .

ولقد ترك أمر الزواج ، الذى يعلم أنه فرض على كل قادر ، لكى يتمكن
من القيام بكثير من الواجبات ، وأداء الفرائض . لذلك نرى حياته ، وأسلوب
معيشته هى بحد ذاتها كرامة ؛ فقد ترك أهله ، وبيته ، وكل ما يمت له
بصلة، ومنفعة شخصية ، وكانت المشنقة أمام عينيه دائماً فأمضى شطراً
طويلاً من حياته المديدة فى السجون ، والمنفى لأجل قولة الحق ، وتفهم
الحقائق الإيمانية للناس .. فقد رأى أنه ما لم تجهز الجماهير بالعلم
والمعرفة، وما لم يتعود المجتمع على التفكير المنظم ، وما لم تجابه تيارات
الأفكار المنحرفة ، فمن العبث الأمل فى خلاص أمة التوحيد .

كما كان للأستاذ سعيد النورسى شخصية أدبية فذة ، فقد عاصر
عدة تيارات أدبية خلال حياته ، واطلع على الأدب الديوانى ، وهو أدب
لزمرة المثقفة أو أدب القصور . كما تأثر بالأدب العربى والفارسى .. ، إلا
أننا نجد التمايز الواضح فى أدب الأستاذ سعيد النورسى من خلال نظرته إلى
الأدب الغربى ، باعتباره يعشق القوة بدلاً من الحق . ومن ناحية الحسن

(١) يدع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص ٤٠١ .

والعشق فالأدب الغربي لا يعرف العشق الحقيقي ، بل هو يثير الشهوات في نفوس البشر ، ولا ينظر إلى الكون نظرة العبرة .. بل يصور الكون بنظر الطبيعة .. (١) .

وكان سعيد النورسي يستعمل العبارات السهلة البسيطة ، التي تطابق المعنى ، وهو يلتزم بمبدأ الاعتدال دائماً .

والأسلوب عند بديع الزمان سعيد النورسي ، مهم جداً في البلاغة، فالأسلوب في نظره يكون لطيفاً أحياناً ، ويكون مستوراً أحياناً أخرى .. كما كان يستخدم الأسلوب العلمي ، الذي يستخدم في الموضوعات الدينية ، وأصول الفقه ، وقد استعمل بديع الزمان هذا الأسلوب في كثير من مؤلفاته خاصة في توضيح المسائل العلمية . وأصدق مثال له : كتابه "الصيقل الإسلامي" .

كما استعمل سعيد النورسي المجاز في كثير من مؤلفاته ، والتشبيه والاستعارة .. وبالرغم من أنه كان داعية قبل أن يكون أديباً ، فقد حاول أن تكون كلماته مؤثرة تلمس شغاف القلوب كما تخاطب العقل والفكر .

موقف النورسي من تحية الإسلام عن الحياة

لقد عاشر الشيخ سعيد النورسي ثلاث مراحل متغيرة في حياة المجتمع التركي ؛ فقد عاصر " المشروطية " ، " ثم الاتحاد والترقي " ، ثم العهد الجمهوري بكل متغيراته الاجتماعية ، وكانت هذه المراحل الثلاث مليئة بالاضطرابات .

وسوف يتناول الباحث هذه المراحل بشيء من التوضيح على النحو التالي :-

أولاً : بديع الزمان سعيد النورسي والمشروطية :

يعتقد بديع الزمان سعيد النورسي بأن عصر السلطنة كان بعيداً عن الاستبداد ، طالما كان السلطان يتمسك بالقوانين الإسلامية ، وإن لم يتمسك بها أصبح جباراً ، وإن كان سلطاناً .

(١) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

ولقد أعلن السلطان عبد الحميد الثاني "المشروطية" مرتين - وهي إعلان النظام البرلماني في الدولة العثمانية ، وتكون الوزارة مسؤولة أمامه - مرة عند بداية حكمه ، وهي "المشروطية" الأولى في ١٩ مار ١٨٧٧م ، ثم جمدها بعد هزيمة الدولة العثمانية في حروبها مع روسيا وبعد أن رأى أن أعداء الدولة العثمانية قد استغلوا البرلمان لتمزيقها وجرها إلى الدمار . ثم عاد بعد أكثر من ثلاثين عاماً إلى إعلانها مرة ثانية في ٢٣ تموز عام ١٩٠٨م ، وهي "المشروطية" الثانية ، واستمرت حتى معاهدة "موندروس" في ٣٠/١٠/١٩١٨م^(١) .

كما أن صلاحية تشريع القوانين غدت من اختصاص البرلمان ، وعلى أثر تلك "المشروطية" أطلق حرية العمل السياسي ، وحرية الصحافة .. وكانت وجهات نظر الناس عامة ، والمتقفين خاصة متباينة حول "المشروطية" ، فهناك من أيدها وناصرها بغية جرّها إلى أغراض سياسية واجتماعية ، وصولاً إلى مآربهم في تقويض الدولة العثمانية ، وإذا بآخرين يتوجسون منها خيفة ، في الوقت نفسه وقف آخرون حائرين عن إبداء رأي . أما الأستاذ سعيد النورسي فقد سلك مسلك الاعتدال ، مسترشداً بالنهج الإسلامي البعيد عن التعصب الذميم ، والمبرأ من اللهاث وراء الغرب ونقله تقليداً أعمى ، ودافع عن المشروطية المحددة بحدود الشرع . لذا نرى الأستاذ سعيد النورسي قد صرف جل همه إلى إلقاء الخطب، وكتابة المقالات مبيناً فيها مفهوم الحرية في الإسلام ، وتأثير الإسلام في الحياة السياسية ، ومطالباً بتحكيم الشريعة الغراء ، ومحدراً من التفسير الخطأ للحرية^(٢) .

كتب سعيد النورسي المقالات العديدة في الصحف المحلية آنذاك ، وألقى كثيراً من الخطب في الاجتماعات التي عقدت في الميادين العامة، والجوامع، مبيناً مفهوم الحرية ، والشورى في ضوء الإسلام .. ولم

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. صيقل الإسلام ، ص ٣٧٧.

(٢) إحسان قاسم الصالحى. بديع الزمان سعيد النورسي " نظرة عامة عن حياته وأثاره"، ص ٣١ -

ينس السياسيين والمفكرين ، والصحفيين ، فأجرى معهم لقاءات عديدة ناصحاً ومرشداً ، وموضحاً المنهج الإسلامي الصحيح الذى فيه خير البلاد، وصلاح العباد .

وكان يدعو الناس إلى تحطيم قيود اليأس ، وكسر أغلال القنوط التى كبلت الناس ، وكان يحاول جهد إيمانه أن يشعل بصيص الأمل ، وبريق الرجاء فى نفوسهم ، مع وضع الموازين الشرعية والمنطقية للأحداث المستحدثة ، بعقلية إيمانية متوازنة ، وهادئة ، بعيدة عن الانفعالات وردود الفعل الغاضبة .

ويرى بديع الزمان سعيد النورسى أن أهم أسس " المشروطية " هى المشورة ، والعدل والأستناد إلى قوة القانون . وهو يقبلها ما دامت تلتزم بالشريعة الإسلامية ، وتتفق معها . كما كان يرى أن تتضمن " المشروطية " بعض الأسس المهمة لتأمين سلامة المجتمع ، وأفراده ، والتى تتمثل فى اتحاد القلوب فى إطار شرعى ، وفى المحبة ، والتعليم .. وترك الأمور المخالفة للدين^(١) .

ومن سلامة المجتمع ، رفض سعيد النورسى إقامة حكم ذاتى للأكراد فى شرق الأناضول ووصف هذه الأفكار بأنها غير معقولة ، كما وصف الحكم الذاتى لأبناء البلد الواحد ، بأنه طوائف الملوك أو الجمهورية بمفهوم الاستبداد المطلق . وكان ينظر إلى الحرية ، والمشروطية على أنهما أثر من آثار الأمن العام ، والعفو العام .

لقد رفض سعيد النورسى التفسير الخاطيء للحرية ، التى تسمح للإنسان فعل أى شىء من " سفاهات ، وردائل ، وفضائح " ، مع عدم المؤاخذه عليه ما دام لا يضر عموم الناس .. ووصف الذين فسروا الحرية هكذا ، بأنهم يعلنون عن سفاهاتهم ، وردائلهم على رؤوس الأشهاد؛ لأن الحرية الحسنة ما هى إلا تلك المتأدبة بأداب الشريعة ، والمتزينة بفضائلها..^(٢)

(١) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٤٧ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . صيقل الإسلام ، ص ص ٣٩٢-٣٩٣ .

فالحرية الحققة ، بناء على ما سبق تولد العبودية لله سبحانه وتعالى. ومن شأن الولاية والمشیخة : التواضع والتجرد - وهما من لوازم الفضيلة، وخصائص الكمال ، ورفع الشأن - لا التكبر والتحكم .
إلا أننا نجد أنه من نتائج الحرية المشوهة ، ما كان فى حادثة ٣١ مارت ١٣٢٥ رومي الموافق ١٣ نيسان ١٩٠٩م ، والتي كانت للأسباب الآتية :-

١- لما أحس الشعب ببعدها جمعية الاتحاد والترقى عن لب الدين وجوهره ، وإشاعة جو من الإرهاب عن طريق الجمعية باغتيال " حسن فهمى بك " صاحب جريدة " سربستى " ، والذي كان يهاجم الجمعية بمقالات عنيفة ، ولم يعثر على قاتله .

٢- إشاعة تسريح جميع الضباط الذين ترقوا عن طريق الخدمة الطويلة فى الجيش ، مع إبقاء المتخرجين من الكلية العسكرية .

٣- إشاعة أن الجمعية قد باعت " البوسنة والهرسك " ، وجزيرة "كريت " من البلقان^(١) .

مما أوجد العصيان بين أفراد الطابور العسكرى الذى كان قد أرسل من قبل الاتحاديين من مدينة " سلانيك " إلى استانبول لحماية " المشروطة " ، إلا أن الجنود ثاروا ، وحبسوا ضباطهم فى تكتة عسكرية ، وانضم إليهم بعض الجنود من المعسكرات الأخرى معلنين عصياناً دام أحد عشر يوماً ، راح ضحيته بعض الأشخاص ، وانتهت الحادثة بوصول جيش الحركة الذى وجهه الاتحاديون من مدينة " سلانيك " - حيث كانت مركز قوتهم - بقيادة "محمود شوكت باشا " لقمع العصيان ، وإعادة سلطة الاتحاديين ، إلى استانبول فى ٢٣ نيسان ١٩٠٩م ، حيث سيطر على الوضع ، وتم عزل السلطان عبد الحميد الثانى فى ٢٧ نيسان ١٩٠٩م ، كما أعلنت الأحكام العرفية ، وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن هذه الحادثة .

(١) إحسان قاسم الصالحى. بديع الزمان سعيد النورسى " نظرة عامة عن حياته وأثاره "، ص ٣٤.

وكان سعيد النورسي من بين الذين قدموا إلى أعواد المشانق ، علماً أن دوره كان دوراً مهندياً، إذ كان ينصح الجنود بالعودة إلى تكتاتهم ، واحترام أوامر ضباطهم . وقد خطب في الجنود عدة مرات بهذا المعنى .
وإن كان لسعيد النورسي رأى في " المشروطية " ، فإن له آراء في مسألة " الحزب " والتحزب .

ثانياً : بديع الزمان سعيد النورسي ، وعصر الأحزاب :

إن المعنى الإصطلاحي الغربي لكلمة " الحزب " : هو مجموعة من الناس تحاول عن طريق الانتخابات أن تجلس أعضائها في مراكز الحكم، وبذلك تسيطر على أعمال الحكومة أو توجهها^(١) .
أما المعنى الإصطلاحي الاشتراكي لكلمة " الحزب " : هو مجموعة من الناس تربطها مصالح اقتصادية في المحل الأول ، وتحاول أن تصل إلى الحكم عن طريق الإصلاح أو الثورة .

أما الإسلام فهو دين الوحدة في كل شيء . فهو دين سلامة الصدر، ونقاء القلوب والإحياء الصحيح ، والتعاون الصادق بين بني الإنسان جميعاً ، فضلاً عن الأمة الواحدة ، والشعب الواحد . وبناء على ذلك ، نجد أن الإسلام لا يقر نظام الحزبية ، ولا يرضاه . قال تعالى : {واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا }^(٢) .

وفرق بين الحزبية التي شعارها الخلاف والانقسام في الرأي والوجهة العامة ، وبين حرية الآراء التي يبيحها الإسلام ويحض عليها ، تحريماً للحق ، حتى إذا ما ظهر ، نزل على حكمه الجميع . فلا تظهر الأمة إلا مجتمعة^(٣) .

لذلك نرى أن معظم قادة الأحزاب من الرجال الذين تتفقوا ثقافة أجنبية عن طريق البعثات إلى أوروبا ، أو عن طريق المدارس الأجنبية والتبشيرية في أوطانهم . وفكرة هؤلاء عن الإسلام صورة مطابقة من فكرة الأوربيين

(١) إبراهيم عامر وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

(٣) حسن البنا ، مرجع سابق ، ص ٣٢١ .

عن المسيحية . فإسلام المرء مجرد علاقة بينه وبين ربه ، ولا علاقة له بنظام الدولة ، ولا بشؤون الحياة والسياسة ، والحكم ، فهذه تخضع لتطور الزمن وتجارب الفكر الإنساني^(١) .

ولقد أوضح بديع الزمان سعيد النورسي حقيقة الأحزاب التي كانت تعمل على الساحة التركية في أيامه ، فبين أيها أقرب إلى الإسلام ويعمل لصالحه ، وأيها بعيد عنه ويحاربه ، كما يحارب دعائه ، حتى يكون أبناء تركيه على بينه من أمرهم .

لقد حاولت جمعية الاتحاد والترقي الاتصال بـ " سعيد النورسي" ، وكسبه إلى صفها ، إلا أنه فوت عليهم الفرصة ، ووصفهم بأنهم المعتدون على الدين ، والدائرون ظهورهم إلى الشريعة .

والحكومة في عهد الاتحاد والترقي كانت تعادى الحياة بأكملها باسم المدنية . فإن كانت المدنية هي هذه التصرفات التي تمس الكرامة الإنسانية، وتعتدى عليها ، وإن كانت هي هذه الافتراءات التي تؤدي إلى النفاق ، وإن كانت هي هذه الأفكار التي تغذى الحقد والانتقام ، وإن كانت هي هذه المغالطات الشيطانية ، والتحلل من الآداب الدينية .. فإن سعيد النورسي - رحمه الله - قد أشهد العالم أجمع ، أنه قد فضل حياة البداوة على قمم الجبال الشاهقة في الشرق الأناضولي ، على موطن النفاق الذي يسمونه المدنية^(٢) .

ذهب سعيد النورسي إلى أنقرة عام ١٩٢٢م ، إلا أنه لم يسعد في أنقرة كثيراً ؛ إذ لاحظ بأسف بالغ أن معظم النواب لا يؤدون الصلاة . لذلك قرر أن يطبع بياناً في ١٩/١/١٩٢٣م يتضمن بنوداً موجهة إلى النواب يعظهم ، ويذكرهم بالإسلام ، مستهلاً قوله : " أيها المبعوثون .. إنكم لمبعوثون ليوم عظيم"^(٣) . وكانت بنود البيان كما يلي :-

(١) د. يوسف القرضاوي. شمول الإسلام ، ص ٤١ .

(٢) د. محسن عبد الحميد. النورسي متكلم العصر الحديث ، ص ١٩ .

(٣) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

- ١- أنتم أعلم بأن أعداءكم الدائمين ، وخصومكم ، يحاولون تدمير شعائر الإسلام ، مما يستوجب عليكم إحياء هذه الشعائر والمحافظة عليها وإلا فستعينون العدو المتحضر للانقضاض عليكم^(١) .
- ٢- الامتنال لما أمر به القرآن كالصلاة ، وسائر الفرائض .
- ٣- الإلتزام بالأوامر القرآنية القاطعة ، وهذا من شأن أصحاب الهمم العالية .

- ٤- أن يكونوا قدوة لبقية أفراد الشعب .
- ٥- ليس بالإمكان القيام بعمل إيجابي بناء ، مع التهاون في الدين .
- ٦- ضرورة الاستناد إلى جمهور الفقهاء المتقين .
- وكان من نتيجة هذا البيان الذى وزع بين النواب ، أن ما يقارب ستين نائباً من النواب قد استقاموا على التدين ، وأقاموا الصلاة ، حتى أن مسجد " بناية المسجد " لم يعد كافياً للمصلين فانتقلوا إلى غرفة أكبر منه . كما أكد بديع الزمان سعيد النورسى على أهمية الصلاة فى حياة المسلم، وأنها أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان بالله جل جلاله . وأن الذى لا يصلى خائن وحكم الخائن مردود عليه .

غادر سعيد النورسى أنقرة عام ١٩٢٣م ، وهو حزين على ما آلت إليه أحوال الناس من بعدهم عن الإسلام وجوهره ، مما جعله يكثر من التهجد، وكثرة العبادة ، حتى تلى قلوب الناس نحو طاعة الله تعالى .

وكان موقف سعيد النورسى واضحاً تجاه " الزعيم " مصطفى أتاتورك، رغم الإغراءات الكثيرة التى قدمها له ، حيث أعلن على رؤوس الأشهاد ، أنه ليس مع " الزعيم " الذى أصدر أوامره حسب هواه باسم القانون لتحويل جامع " أيا صوفيا " إلى دار للأصنام ، وجعل مقر المشيخة العامة ثانوية للبنات .. وليس معه فكراً ، ولا موضوعاً ، ولا من حيث الواقع ، ولا من حيث النتيجة^(٢) .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. المثوى العربى النورى ، ص ٢٠٤.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. الشعاعات ، ص ٤٦٨.

ويعد سعيد النورسي المنجزات الثورية بدعة وضلالة ، وإلحاداً .. حيث يعد إغلاق التكايا والزوايا ، والمدارس الدينية .. وإقرار العلمانية، ووضع أسس القومية بديلاً عن مبادئ الإسلام .. بدعة وضلالة وإلحاداً .

ومن باب النصيحة الخالصة لله تعالى ، وجه سعيد النورسي رسالة إلى سكرتير حزب الشعب الجمهوري " حلمى أوران " ، الذى كان وزيراً للداخلية سابقاً ، الذى أسسه مصطفى كمال سنة ١٩٢٣م ، وظل يحكم البلاد كحزب واحد دون معارضة ، وترأسه " عصمت انينو " حتى عام ١٩٥٠م، ومن أهم مبادئه : ، العلمانية ، والدعوة إلى القومية التركية .

ولقد قام هذا الحزب بتأسيس المعاهد القروية ، ومدارس الريف فى أرجاء البلاد ، لتخريج المعلمين الذين يقومون بتعليم غير المواد الدينية والشرعية . وكان مضمون الرسالة ما يلى :-

١- إن لم تتبنوا حالياً كالسابق الحقائق القرآنية ، والإيمانية ، وإن لم تقوموا وأنتم أهل غيرة " أسلوب جذب " ، بالحث على الحقائق القرآنية والإيمانية مباشرة ، بدل قيامكم خطأ فى عهد سابق بالدعاية للمدنية الغربية، وإضعاف الروح الدينية ، فإنى أحذركم ، وأندركم ، بأن العالم الإسلامى سينفر من هذه الأمة بدلاً من أن يوليها المحبة^(١) .

٢- إن معارضة قد ظهرت فى البلاد ، فلو وجدت زعيماً ذا كفاءة عالية ، انطلقت إلى الميدان باسم الحقائق الإيمانية ، لغلبتكم ، وانتصرت عليكم فى الحال . ذلك لأن أكثر من تسعين بالمائة من هذه الأمة مرتبط روحاً وقلباً بالأعراف الإسلامية منذ آلاف السنين . ولو انقادت ظاهراً إلى ما يخالف فطرتها ، إلا أنها لا ترتبط به قلباً وقالباً .

٣- ما دام الموت يأتى بغتة ، وباب القبر لا يُغلق ، والكل داخله، فالقبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار . والإعدام الأبدى ، لا تبدله مائة ألف من الدعوات الوطنية، كما أن حب الدنيا

(١) يدع الزمان سعيد النورسي. الملاحق ، ص ٣٠٤.

لا تبدله الإنجازات السياسية وحدها . إنما يبذل الإعدام الأبدى القرآن الكريم
إلى نعيم مقيم لأهل الإيمان .

ولأجل هذه الأسباب ، فإن واجبكم الأساسى هو تبنى هذه الأفكار
باهتمام وجد .

كما أثبت سعيد النورسى فى المحكمة أن الشرف ، والحسنات والغنائم
المادية والمعنوية تسند إلى الجماعة ، وتوزع عليهم ، بينما تسند الذنوب
والإجراءات الخاطئة إلى القادة ، أو إلى رئيس الدولة .

وقد كان سعيد النورسى يكن حياً لملايين أفراد وضباط الجيش
المقدم ، جيش الأمة الطيبة . كما سعى لصيانة عزته وكرامته ، وتوقيره ما
استطاع إلى ذلك سبيلاً .

مرت على سعيد النورسى فترة من حياته سماها بـ " سعيد
الجديد" ، وتتميز هذه المرحلة بعودة الأحزاب السياسية إلى النشاط ، بعد أن
كان هناك حكم الحزب الواحد . وقد توضحت هذه المرحلة بشكل جلى ابتداء
من سنة ١٩٥٠م ، وهى السنة التى فاز فيها الحزب المعارض " الحزب
الديمقراطى الجمهورى " فى الانتخابات فوزاً ساحقاً ، وأقصى بذلك " حزب
الشعب الجمهورى " من الحكم بعد ربع قرن من الزمان .

لقد أضاف سعيد النورسى أنشطة عدة لنفسه ، مثل : قيامه بالتدريس
الجماعى لرسائل النور إضافة إلى قيامه بدعوة ونصح السياسيين ، ورجال
الحكم باتباع الإسلام ، والاسترشاد به ، وبيان أن الطريق الصحيح ، والوحيد
هو طريق الإسلام .. كما صرف جَل جهده لتربية النفوس ، وتقوية
الإيمان ، وتذكير الناس بالله ، واليوم الآخر .. مع التنبيه المستمر لطلبته أن
يتخذوا العمل الإيجابى البناء شعاراً لهم ، دون الخوض فى الدفاع عن
حقوقهم بالقوة المادية ، أو الالتفات إلى التيارات المعادية ، والانشغال بها^(١) .

ولقد أشار الأستاذ سعيد النورسى على طلابه ، ومؤيديه بأن يقفوا
بجانب " الحزب الديمقراطى " الذى أسسه " عدنان مندرى " سنة ١٩٤٦م .
ولقد قال قولته المشهورة : " إننا نؤيد " الحزب الديمقراطى " لأنه أهون

(١) مصطفى زكى العاشور ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

الشرين" (١) ، مشيراً بذلك إلى " حزب الشعب " الذى كان يتزعمه فى ذلك الوقت " عصمت اينينو " ، وهو من الشخصيات التى كانت تتخذ مواقف معادية للإسلام .

ومن حين إلى آخر كان يوجه نداءات إلى أولياء الأمور ، قائلاً لهم : "إن أردتم التوفيق فاطلبوه فى موافقة أعمالكم للسنن الإلهية فى الكون - أى قوانين الله تعالى - وإلا فلن تحصدوا إلا الخذلان ، والإخفاق" (٢) .والذى يدفع أبناء الأمة إلى التقدم ، إنما هو الدين . وليعلم الجميع أن الدين لا يُضحى به لأجل الحصول على الدنيا ، وماذا حصدنا من ترك مسائل الدين، والتضحية بها ، غير الضرر والخسران المبين .

عام ١٩٥٠م استبشر المسلمون خيراً بمجىء " الحزب الوطنى " إلى الحكم ، لا لأنه كان إسلامياً ، بل لسببين رئيسيين :

الأول : أنه أزاح من الحكم " حزب الشعب " الذى كان يقف موقفاً غير لائق من الإسلام .

الثانى : أنه أعطى بعض الحرية للنشاط الإسلامى ، وأرجع الأذان الشرعى ... لذلك نرى أن بديع الزمان سعيد النورسى قد أرسل برقية تهنئة لرئيس الجمهورية "جلال بايار" ، تمنى فيها أن يوفقه الله تعالى لخدمة الإسلام والمسلمين (٣) .

وفى سنة ١٩٥٧م جرت الانتخابات العامة فى تركيا ، وكان هناك حزبان رئيسيان يتنافسان على الحكم وهما :

" الحزب الديمقراطى الحاكم " ، " وحزب الشعب المعارض " ، مع حزاب صغيرة لا تؤثر كثيراً فى سير الانتخابات . وبالرغم من أن "الحزب الديمقراطى" لم يكن حزباً إسلامياً ، إلا أن جو الحرية الذى ساد تركيا عقب تـليه الحكم ، وانحسار موجة العداة الوحشى للإسلام ... كل ذلك كان يعطى

(١) مصطفى محمد ، مرجع سابق ، ص ١٥٠ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . صيقل الإسلام ، ص ٥٣١ .

(٣) إحسان قاسم الصالحى . بديع الزمان سعيد النورسى " نظرة عامة عن حياته وآثاره " ، ص ١١٥ .

مسوغاً كافياً للحركات الإسلامية فى تركيا أن تصوت بجانب " الحزب الديمقراطى " .

وكان على رأس قادة هذه الحركات ، الأستاذ سعيد النورسى ، الذى قرر إعطاء صوته له . وفعلاً ذهب إلى صندوق الاقتراع ، وأدلى بصوته لصالح " الحزب الديمقراطى " ليحول دون مجيء "حزب الشعب إلى السلطة ، ومن خلفه طلابه ومحبه^(١) . على الرغم من عدم دخول الأستاذ سعيد النورسى معترك الحياة السياسية برمتها ، ولم يؤلف حزباً سياسياً، كما لم يعلن عن أية نشاطات سياسية كانت .

وكان - رحمه الله - من أشد الحريصين على أمن وسلامة البلاد والعباد . ففي الوقت الذى وجد فيه تيارات حزبية فى الداخل والخارج ، وهذا كسب كبير لسياسيين عديدين إلى جانبه بدلاً من أفراد معدودين من أصدقائه، إلا أنه كتب إلى جميع أصدقائه قائلاً لهم : "إياكم والانجراف فى التيارات السياسية ، وإياكم والإخلال بالأمن" (٢) .

وبالرغم من اعتزال الأستاذ سعيد النورسى للحياة الاجتماعية منذ عشرات السنين ، إلا أنه كان يراقب حركة سير الحكومات ... فإن كانت الحكومة قد دخلت فى مرحلة مرعبة ، ومذهلة من العمل لحساب الغير ضد أبناء البلد الواحد ، وبدأت بسن القوانين التى تدين من يعمل لأخوته وإيمانه ... فقد أعلنها " النورسى " صريحة : لو أن له ألف نفس ونفس لما تردد فى التضحية بها فى سبيل إيمانه ، وفى سبيل آخرته .. وليعملوا ما بدا لهم، وسيكون آخر كلامه من الدنيا " حسبنا الله ونعم الوكيل " .

لذلك نجده بعد عام ١٩٥٠م ، " سعيد النورسى " قد وجّه رسائل إلى المسؤولين فى البلاد بدءاً من مدير الأمن للولاية ، إلى مدير الأمن العام، إلى محكمة التمييز والمحاكم الأخرى ، إلى رئاسة الوزراء ، ورئيس الجمهورية، بل إلى خارج تركيا ، بل إلى البابا فى الفاتيكان .

(١) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٤٤١ .

وكان سعيد النورسي يناشد الحكومة ، وأهل السياسة قائلاً لهم : ” لا تتشغلوا بنا بناء على الظنون والأوهام ، بل عليكم أن تذللوا المصاعب لنا، وتسهلوا الطريق أمامنا . لأن خدماتنا تؤسس الأمن والاحترام، والرحمة، وتسعى لإنقاذ النظام والأمن ، والحياة الاجتماعية من الفوضى والإرهاب “(١) .

والوطن ، والأمة والحكومة مهما كان شكلها ، بحاجة ماسة إلى رسائل النور . لأن هناك خمسة أسس ضرورية لإنقاذ الوطن ، والأمة ... في الحياة السياسية والاجتماعية ونجاتها من الفوضى والإرهاب ، وهذه الأسس هي : الرحمة ، والاحترام ، والأمن والثقة ، واجتناب المحرمات وإتيان الحلال ، والطاعة وترك التسبب . وهكذا نجد أن رسائل النور تثبت ركائز النظام في البلاد .

ودروس رسائل النور ، عندما تتطلع إلى الدنيا ، فإنها ترشد طلابها إلى الحفاظ على النظام بكل ما أوتوا من قوة ، والحيلولة دون تسرب فساد الثورات والفوضى فيه . والدليل على أنهم في حكم ضباط أمن معنويين، قد أدركه ضباط الأمن في ثلاث ولايات .

وانطلاقاً من هذا ، فمن مصلحة البلاد والإسلام إقرار قانون حرية المتدينين ، لأن هذا يكسب البلاد والمسلمين في العالم قوة معنوية ؛ ذلك لأن الإلحاد الذي استولى على روسيا وعلى نصف الصين - في حينه - وعلى نصف أوروبا قد وقف تجاه الأناضول عند حده ، ولم توقفه إلا الحقائق القرآنية .

أما عن الأحزاب التي كانت على أرض تركيا ، وقد شهدتها الأستاذ سعيد النورسي فقد كانت كما يلي :

١- حزب الشعب الجمهوري : مواقفه حُملت عليه ، وكانت في غير صالحه .

٢- حزب الأمة : إن كان المقصود بالأمة ، فكرة الأمة الإسلامية، التي هي الأساس في الوحدة الإسلامية - والقومية التركية

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. الملاحق ، ص ١٦٠.

ممتازة - فهي موجودة في معنى الحزب الديمقراطي وسيضطر
الحزب إلى الالتحاق بالديمقراطيين المتدينين ، هكذا رأى سعيد النورسي
٣- حزب الاتحاد الإسلامي : رأى سعيد النورسي أن هذا الحزب
يستطيع أن يأخذ بناصية الحكم متى ما كان ستون إلى سبعين بالمائة منه
الدين ، لئلا يحاول جعل الدين أداة للسياسة . بل ربما يسخر السياسة في
سبيل الدين . ولكن يلزم ألا يتولى هذا الحزب الحكم حالياً لأنه سيضطر
استغلال الدين في إمرة السياسة لمجابهة الأعيب السياسية، وشرورها .

٤- الحزب الديمقراطي : انفصل عن حزب الشعب الجمهوري
سنة ١٩٤٦م ، وتولى السلطة عام ١٩٥٠م بعد إحرازه الأغلبية المطلقة في
البرلمان (٤٠٨ نائباً من بين ٤٥٠ نائباً) فأصبح " جلال بايار " رئيس
الحزب رئيساً للجمهورية ، " وعدنان مندريس " رئيساً للوزراء . وكان له
الحزب منجزات عظيمة منها : إعادة الأذان الشرعي ، وإدخال الدين في
المدارس وإذاعة برامج دينية ... استمر في الحكم عشر سنوات ، حتى أزيح
عنه بانقلاب عسكري سنة ١٩٦٠م ، وحوكم " عدنان " ورفقاؤه بالقانون
العسكري الجائر فحكم عليهم بالإعدام .

وقد كان هناك ود بين سعيد النورسي ، والديمقراطيين المتدينين ، و
سيما الأفاضل منهم أمثال " عدنان مندريس " . كما بارك النورسي تعاور
بلاده مع العراق والباكستان . كما وجد طلاب النور بكثرة في البلدان
العربية، والباكستان أكثر من أي بلاد أخرى .

أما عن الجمهورية كنظام ، فقد تم إعلانها في ٢٩ من أكتوبر عام
١٣٤٢هـ - ١٩٢٢م . وهي عبارة عن العدالة والشورى ، وحصر القوة في
القانون مما جعل الأستاذ سعيد النورسي يتعجب من ذلك بقوله : أوليس من
الجنابة أن نستجدي الأحكام من أوربا ، ولنا شريعة غراء تأسست قبل أكثر
من أربعة عشر قرناً من الزمان ؟

" إن هذا الاستجداء قريب الشبه بالتوجه إلى غير القبلة في
الصلاة" (١) .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . صيقل الاسلام ، ص ٥٢٧ .

ثالثاً : بديع الزمان سعيد النورسى والنظام الجمهورى

إن عدد الذين أنقذوا إيمانهم برسائل النور ، واندفع بها خطرهم عن المجتمع ، بل أصبحوا أعضاء نافعين إيجابيين ، يزيد كثيراً عن مئات الآلاف وقت حياة الأستاذ سعيد النورسى . وكانوا يشغلون مناصب رفيعة فى كل دائرة من دوائر الحكومة الجمهورية ، ويمثلون مختلف طبقات الناس ، وهم يعملون بتفان ، وإخلاص كاملين ، وعلى أكمل وجه من الصدق والاستقامة والنفع ... والحكمة تقتضى إذاً حماية هؤلاء ومساندتهم ، لا محاولة الإساءة إليهم (١) .

ومادامت حكومة الجمهورية لا تتعرض لأهل الإلحاد ، ولا لأهل السفاهة ، وذلك تحت شعار حرية الوجدان السارية فى الجمهورية ، لذا فإن عليها - من باب أولى - ألا تتعرض لأهل الدين ولأهل التقوى بسوء .

ويرى بديع الزمان سعيد النورسى أن النظام الجمهورى الحقيقى يتمثل فى الإسلام ، ومن أهم مقوماته الاحتكام إلى القانون ، وجعل الأمر شورى بين المسلمين ، وتحقيق العدل ، وضمان حرية الرأى لأفراد المجتمع . ويوضح النورسى - أيضاً - بأن الجمهورية الحقيقية طبقت فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن الخلفاء الراشدين هم الذين وضعوا نظم لإدارة فى هذا النظام الجمهورى (٢) .

فقد كانوا إلى جانب كونهم خلفاء ، رؤساء جمهورية - أيضاً - وحياتهم كانت حياة جمهورية فى الحقيقة والواقع ؛ إذ يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بجمهور رعيّتهم ، يشاركونهم فى السراء والضراء ، لا فى الادعاء اللفظى فقط . أما الجمهورية العلمانية - التى فى الأصل لا تتعرض للدين فى خير أو شر - فقد رفضها سعيد النورسى ، وأطلق عليها اسم الاستبداد المطلق ، وعلى قوانينها اسم الاستبداد الكفرى . وتمنى أن تكون جمهورية علمية تتناول قضايا الدين والإيمان بمنطق العلم ، وأسلوبه الهادى الرصين ... وكان سلاح سعيد النورسى فى مواجهة تلك العلمانية الفاسدة ، اتباع منهج إسلامى

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٤١٥ .

(٢) د سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٤٨ .

شامل متوازن ، ووجهه في القرآن الكريم ، والسيرة النبوية الشريفة . فاستنبط
منهما منهجاً كونياً ، وحضارياً شاملاً ، يتكلم بلغة العصر من خلال غزارة
علم ، ونصاعة حجة ، وقوة إيمان . وعندما سئل عن رأيه
في "الجمهورية" ، ذكر أنه جمهوري متدين .

وعندما اتهم سعيد النورسي بمعاداة الجمهورية ، وضح أنه لا يعادى ما
يحبه ويقدره ويحترمه.. فهو يكن شعور الإعجاب بالحياة الجماعية
المنظمة، والتي يسعى الجميع فيها إلى الارتقاء بشؤون الجماعة كل من
موقعه ، ومن خلال وظيفته .. حتى أنه أحب الحياة الجماعية المنظمة للنحل
والنمل^(١) .

ولا يمكن معاداة جمهور بشري عامل في ظل جمهورية صالحة تعرف
واجبات كل فرد من أفرادها ، وتحترم حقوقه ، وتسعى بكل جهدها حتى ينال
تلك الحقوق . ففي عهد سيدنا عمر رضى الله عنه ، لم يُمسّ النصراني
بشيء مع أنهم كانوا ينكرون الإسلام ، وقوانين الشريعة انطلاقاً من مبدأ
حرية الفكر والوجدان . قال تعالى { لكم دينكم ولي دين }^(٢) .

ظل سعيد النورسي أكثر من عشر سنوات لا يعرف سوى رئيسين
للجمهورية ، ونائباً واحداً في البرلمان ، ووالى "قسطنوني" ، ولم يعرف
أحداً غيرهم من أركان الحكومة ، ووزرائها وقوادها وموظفيها ، ونوابها ...
ولم يكن النورسي ذا فضول بمعرفتهم . إلا أن شخصاً أو شخصين أظهرها
علاقة نحوه ، فعرف عن طريقهما خمسة أو ستة من أركان الحكومة . فهل
من الممكن لمن يريد مبارزة الحكومة ، ألا يعرف من يبارز؟^(٣)

حتى إن النورسي قال لأصدقائه في السجن ، إنه سوف يصفح عن
حكام أنقرة مهما فعلوا فيه ، عند إنقاذ إيمانهم من الإعدام الأبدي بواسطة
رسائل النور .

(١) أديب، إبراهيم الدباغ. سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان ، ص ١٠١ .

(٢) سورة الكافرون : آية ٦ .

(٣) بدیع الزمان سعيد النورسي. الشعاعات ، ص ٤٣٤ .

وفاة النورسي

إن حياة بديع الزمان سعيد النورسي التي مضت في السجن الانفرادي، وعمره الذي ناهز الخامسة والسبعين ، قد أوهنا جسده ، بحيث أصبح لا يطيق اللقاحات ضد الأمراض (١) .

لقد نحل جسمه ، وربما لا يتحمل سوى لقاح طفل في العاشرة من عمره ، فضلاً عن قضاء حياته منفرداً في تجريد مطلق ، وغير مسموح له بالاختلاط مع الناس إلا في نطاق ضيق جداً . وكان يلزمه الضعف الشديد والتشنج الظهري خاصة في السنوات الأخيرة من حياته .

أولاً : السنوات الأخيرة من حياة بديع الزمان سعيد النورسي :

كان الأستاذ سعيد النورسي يرى طلابه أكثر إخلاصاً منه ، وأصلب عوداً ، وأنشط في خدمة القرآن الكريم ... لذا كان ينتظر أجله ، وقبره وموته ، قبل مماته بسنوات ، بفرح تام وسرور خالص ، واطمئنان قلبي كامل (٢) .

كما أن سلب حرية سعيد النورسي وتقييدها بقيود النفي ، والمراقبة الشديدة ، والسجن ... جعله يمل هذه الحياة الدنيا مللاً شديداً ، حتى إنه فضل حياة القبر عنها .

وبتدبير مقصود ، قام أعداء الدين بتسميم سعيد النورسي عدة مرات داخل وخارج السجن لكن الله سلم . إلا أن مرضه لم يمنعه من قراءة ورواه ، ولا عن واجب تصحيح رسائل النور لكنه كان يوقن بأن مهمته في حياة قد أوشكت على الانتهاء . وعندما يغادر الدنيا إلى دار الحق ، تستطيع كل نسخة من نسخ رسائل النور أن تؤدي وظيفتها بما يفوق حسن الظن - "سعيد" ، وكل طالب فدائي من طلاب النور الخواص ، يمكنه أن يقوم - طيفة ذلك "السعيد" على أتم وجه . فلئن نقص "سعيد" واحد فيكم ، فإن مات السعيديين المعنويين - أي الرسائل - وألوف السعيديين الماديين - أي طلاب النور - يستطيعون القيام بتلك المهمة خير قيام .

جمع الزمان سعيد النورسي . الشعاعات ، ص ٥٢٦ .

جمع الزمان سعيد النورسي . الملاحق ، ص ٩٩ .

قضى سعيد النورسى مع طلبته سنواته الأخيرة فى مدينة إسبارطة، وكان أحياناً يقوم بزيارة "بارلا"، و"اميرداغ". ولتقدمه فى السن، فإنه كان فى أكثر الأحيان طريح الفراش.. وكان قليل التقرب بالناس، وكان يقول: "إن قراءة رسائل النور أفضل مائة مرة من الحديث معى" (١).

وكان طلابه يقدرون ذلك له، فلا يدخلون عليه إلا إذا طلبهم. ومع ذلك لم يكن منقطعاً عن العالم الخارجى كلية، إذ كان يتتبع الأخبار عن طريق أحد طلابه الذى كان يقرأ له أهم ما فى الجرائد من أخبار ومعلومات. وكان يهتم بأخبار طبع رسائل النور، وبالمحاكمات المتعددة لطلاب النور. ثانياً: الأيام الأخيرة من حياة بديع الزمان سعيد النورسى:

بدأ الأستاذ سعيد النورسى فى أواخر أيامه بسلسلة من السفريات الكثيرة والسريعة، وكأنه يودع الحياة، وطلابه على وجه الخصوص، وذلك على الرغم من ظروفه الصحية التى كان يمر بها. وفى ١٩ كانون الأول لعام ١٩٥٩م سافر إلى "أنقرة"، ومنها إلى "اميرداغ"، ومنها إلى "قونيا"، ومنها إلى "أنقرة"، ومنها إلى استانبول فى ١/١/١٩٦٠م حيث بقى يومين، ثم رجع إلى "أنقرة" مرة أخرى (٢).

ثم رجع إلى "قونيا"، وفى اليوم نفسه توجه إلى "إسبارطة". وهذه الزيارات المتلاحقة أثارت رعب وسخط الحكومة التركية، وبناء عليه، تم إبلاغ سعيد النورسى أن يقيم فى "اميرداغ"، لكنه طلب من الحكومة أن تسمح له بالإقامة شهراً فى "اميرداغ"، وشهراً آخر فى "إسبارطة" (٣).

(١) د. فرج محمد الوصيف، مرجع سابق، ص ٩٦.

(٢) إحسان قاسم الصالحى. بديع الزمان سعيد النورسى " نظرة عامة عن حياته وأثاره"، ص ١٣٠.

(٣) د. فرج محمد الوصيف، مرجع سابق، ص ٩٧.

وكان النورسى - رحمه الله - يتمنى أمنية كبيرة ، وهى أن يقضى نهاية حياته فى " إسبارطة " وحواليها . فقد كانت " أسبارطة " مباركة طيبة، بقضها ، وقضيضها ، بترابها وحجرها (١) .

وفى ٢٠/١/١٩٦٠م توجه سعيد النورسى من " اميرداغ " إلى إسبارطة " ، وبعد أن قضى مدة فيها توجه إلى " أفيون " ، وبعد أن أمضى فيها يوماً واحداً ، قفل راجعاً إلى " اميرداغ " وفيها اشتد عليه المرض، وغاب عن الوعي مرات عديدة . ثم استغرق فى النوم ، واستيقظ قبل صلاة الفجر ، حيث توضأ ، واستبدل ملابسه ، وكأنه قد عوفى من مرضه تماماً . ثم صلى الصبح . ثم استدعى طلابه حيث ودّعهم واحداً تلو الآخر ، قائلاً لهم :

" استودعكم الله .. إننى راحل " (٢) . وبعد أن ودّع أصدقاءه الآخرين ، توجه بالسيارة إلى " أسبارطة " ، وبقي هناك فترة ما ، وكان يوم طلابه فى صلاة العشاء ، أما فى صلاة التراويح - إذ كان ذلك فى شهر رمضان المبارك - فكان تلميذه السيد " طاهرى موطلو " هو الذى يقوم بالإمامة .

وفى أيامه الأخيرة طالع ذات يوم رسائل النور المرسله إليه ، فرأى أن عدداً من الحقائق قد تكررت دون إرادة منه ، فتضايق من النسيان الذى اعترى ذاكرته (٣) .

لقد ضحى سعيد النورسى بأيام شبابه دون إحجام ، إلا أنه حاول الحفاظ بحساسية شديدة على بضع سنين من حياة الشيخوخة بتجنبه للمخاطر ؛ وذلك من أجل ترسيخ التساند ، والترابط بين أفراد الصف ، ومع ذلك كان لا يهاب الموت .

إلا أن سعيد النورسى فى أيامه الأخيرة أصبح لا يطيق مقابلة الناس ما لم تكن هناك ضرورة إذ التسمم ، والضعف الذى اعترى جسده

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص ٣٣٥.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص ١٣٢.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٦.

الظاهر - ولا نزكى على الله من أحد - وكذا الشيوخوخة والمرض .. كل ذلك جعله عاجزاً عن التحدث كثيراً .

وقد مضى عليه وقت لا يستطيع الكلام ، حتى مع من يعاونه فى أمره، حيث ترتفع حرارته متى ما بدأ الحديث . وهذا كله من علامات الفراق .

ثالثاً : الذهاب إلى " أورفا " ، ومن ثمّ الوداع الأخير :

فى الثلث الثانى من شهر رمضان من عام ١٣٧٩ - ١٩٦٠م فجأة، ودون سابق إنذار أمر الأستاذ سعيد النورسى طلابه أن يتوجهوا به من " أمير داغ " إلى " أورفا " مهما كلفه الأمر من مشقة . وأمام هذا الإصرار أسرع طلابه إلى استئجار سيارة ، ونزل النورسى - رحمه الله - إليها محمولاً على أيدي طلابه . وانطلقت بهم السيارة متوجهة إلى المكان المقصود ، وهى تحمل الأستاذ مع ثلاثة من طلابه . وكان الأستاذ النورسى، ومن معه يقرأون طول الطريق " آية الكرسي " دفعاً للشر . وكان الأستاذ النورسى يصلى فى الطريق الفروض كلها ، مع السنن والنوافل، بالرغم من قلة طعامه ، وانسداد بلعومه من شدة المرض . ولم تتعطل السيارة التى كانت نقل الأستاذ النورسى طوال الطريق ، على الرغم من تعطل سيارات أخرى .

ويقوم رجال الأمن ، ولا يقعدون لهذا الخبر الجلل ، وسرعان ما تهتز أسلاك الهواتف فى طول البلاد وعرضها ، وهى تبلغ النبأ الخطير إلى المعنيين هنا وهناك .. وتتطاير البرقيات إلى كل مكان ، شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً .. لقد غادر سعيد النورسى " أميرداغ " إلى جهة مجهولة (١).

وأعطيت أوصاف السيارة ، ورقمها إلى جميع مراكز الشرطة ، ونقاط التفتيش ، وكان الجو ممطراً ، ومع ذلك عمد طلاب الأستاذ إلى تغطية رقم السيارة بالطين ، كى لا تعرف . وانطلقت السيارة كأنها الريح باتجاه "أورفا". وبعد سفرة طويلة ، شاققة فى جو عاصف ، تصل السيارة إلى الهدف فى ٢١ مارت حيث نزلوا فى فندق " ايبك بالاس " بالطابق

(١) أديب إبراهيم الدباغ ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

الثالث، حيث الغرفة رقم (٢٧) . أما أهالي " أورفا " فقد كانوا منمكين بتلاوة القرآن الكريم ، وختمه ، نظراً لأيام رمضان المبارك . وما يكاد خبر وصوله يطرق أسماع رجال الشرطة ، والأمن ، حتى يسارعوا إلى تطويق الفندق من جميع جهاته . ويقتحم أحد المسؤولين غرفة الأستاذ النورسي ، وإذا به يرى شبح إنسان ، قد مصته الأوجاع ، وانحلته الآلام ، وهدمته الأمراض .. ويسأل المسؤول نفسه ؟ أهذا هو الرجل الذي أثار هذه العاصفة من الرعب في صفوف المسؤولين .. ؟ أهذا يمكن له أن يشكل خطراً على الدولة ، وأمنها كما يقول رجال الحكومة .. ؟

إلا أن المسؤول طلب من الأستاذ النورسي أن يترك " أورفا " في التو الحال ، ويغادرها إلى " إسبارطة " ، لأن الأوامر هي الأوامر ! ، والأمر صريح من وزير الداخلية آنذاك . فرد عليه الشيخ الكبير " سعيد النورسي " الذي يقف على عتبة الآخرة منتظراً الإذن له بالدخول بين ساعة وأخرى .. عجيب أمركم .. إنني لم آت إلى هنا لكي أغادرها . إنني قد أموت .. ألا ترون حالي ؟ " (١) .

وكانت حالة الأستاذ النورسي المرضية لا تسمح له بمغادرة الفراش ، وأن أي مجهود مهما كان نوعه ، يمكن أن يودي بحياته . وينتشر بين الناس خبر وجود الأستاذ النورسي في مدينة " أورفا " ، في نفس الوقت يتفقون بغضب موقف السلطات غير اللائق في إخراج النورسي من المدينة ، فيولد هياجاً عاماً بين أفراد الشعب .. ويتجمع عدة آلاف من الأهالي حول الفندق الذي يقيم فيه الأستاذ النورسي ، وعندما أصبح الناس في حالة لا تسمح للشرطة بالصعود إلى الفندق إلا بصعوبة بالغة .. كما جاء موظفو الدولة ، والعسكريون ، من جنود وضباط ، وأعضاء الأحزاب .. كلهم لزيارة الأستاذ سعيد النورسي . ويترامى الخبر إلى رئيس شعبة " الحزب الديمقراطي " في " أورفا " ، فيسرع إلى مدير الأمن يخاطبه بحدة ، ويبين له في إصرار أن النورسي ، ومن معه ، ضيوف أعزاء على مدينة " أورفا " وأهلها .. بينما أسرع بعض طلابه إلى المستشفى ، ليصطحبوا الطبيب

(١) إحسان قاسم الصالحى. بديع الزمان سعيد النورسي " نظرة عامة عن حياته وآثاره " ، ص ١٣٤ .

الحكومى إلى الفندق لفحص الأستاذ النورسى واستحصال تقرير طبى فى عزه عن السفر .. حيث بلغت درجة حرارته إلى الأربعين درجة أو يزيد.. فكتب تقريراً بذلك ..

وعندما عاود مدير الأمن طلبه بمغادرة الأستاذ النورسى " أورفا " ، لأن الأوامر قطعية ، ولا مجال لمناقشتها ، بين النورسى أنه فى الدقائق الأخيرة من عمره ، ولا يقوى على مغادرة مكانه وأنه سيموت قريباً .. كما طلب من مدير الأمن أن يوفر له الأمن والأمان لكى يموت مطمئناً هادئاً ، وعليه أن يهيىء مستلزمات الغسل والتجهيز والدفن .. ويحس مدير الأمن بالخل والتصاغر ، فانسحب من الغرفة مع رجاله مطأطء الرأس ، فى صمت وهدوء .. وأمام هذا الموقف يقوم الأهالى ، والجمعيات ، والتنظيمات المختلفة بإمطار " أنقرة " بسيل من البرقيات التى تستنكر بشدة هذا الموقف البعيد عن جميع القيم الإنسانية .. ويتقاطر الناس أفواجا على الفندق .. فالكل يريد أن يرى الأستاذ النورسى ، ليلقى عليه النظرة الأخيرة - ولكن بطريقة منتظمة - ويقبلون يده ، والأستاذ يقبل رؤوسهم . ولم يرد أحداً ، بل كان يضمهم إلى صدره . وقد أتى لزيارته أهالى المدينة كلهم . ومن الفئات كافة ، ولم يسترح ، بل لم يذق طعم النوم .

ويمضى الليل بطيئاً ثقيل الخطى .. والجسد يتهاوى لحظة بعد أخرى تحت وطأة الحمى اللاهية وهى تبخر بناها ماء حياته قطرة بعد أخرى ، حتى إذا ما بلغت الحرارة مداها ، تسلفت الحمى إلى الجسد كله ، وتركته على حافة الموت ، هامداً يستريح بعض الوقت قبل أن يتوقف القلب إلى الأبد، وتصعد الروح إلى العالم الذى هبط منه أول مرة (١) .

وقد أوصى الأستاذ النورسى طلابه قبل موته ، ألا يحمل أحد منهم شيئاً من روح الانتقام فى قلبه ولو بمقدار ذرة ، وأن يسعوا سعياً جاداً لنشر رسائل النور ، وليرتبطوا بها ارتباطاً وثيقاً .. وقد يكون هذا آخر أقواله .. فعلى طلاب رسائل النور لمدرسة الزهراء ألا ينسوا وصية أستاذهم وأن

(١) أديب إبراهيم الدباغ ، ص ص ١٧٣-١٧٤ .

يضعوا أيديهم في أيدي كل من يدعو إلى الله على بصيرة ، حتى يعم الخير، وتعود راية الحق خفاقة كما كانت أول مرة .

وعندما أشارت الساعة إلى الثانية والنصف بعد منتصف الليل بدأت شفاة الأستاذ النورسي بالجفاف ، وكانت تبلل بمنديل ، وكان ساعتها يرفض الغطاء ، واستمر هكذا لفترة بسيطة بعدها وضع يده على صدره ، واستسلم للنوم .. لكنه لم يقم وقت السحور ، ولا وقت صلاة الفجر .. لقد فارق الحياة الفانية إلى الدار الباقية .. وأعلن وفاته (عمر أفندي الواعظ) ، عندما قال : " إن الأستاذ قد مات " (١) .

هكذا كانت اللحظات الأخيرة ، ففي المساء ارتفعت درجة الحرارة للأستاذ النورسي ، ولم يعد يتكلم ، بل كانت شفاته تختلجان بالدعاء . وفي الساعة الثانية والنصف صباحاً يتحسس أحد طلابه حرارته ، فيجدها قد انخفضت قليلاً ، فيغطيه ، ويقوم بإشعال الموقد في الغرفة طلباً للدفاء حيث البرد القارس ، وهو يحمد الله تعالى على تحسن صحة أستاذه .

لكن الصباح يقترب ، ولا ينهض الأستاذ كعادته لصلاة الفجر .. يكشف أحد طلابه عن وجهه فيعرف الحقيقة ؛ لقد انتقل أستاذه إلى بارئه، والتفويج في الحائط يشير إلى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٧٩هـ-٢٣ من آذار عام ١٩٦٠م (٢) .

سرعان ما ينتشر خبر الوفاة في مدن تركيا وقرائها ، وأريافها ، ويتوافد إلى " أورفا " عشرات الألوف من كل مكان ليشاركوا في تشييع جثمان الرجل المجاهد إلى مثواه الأخير .. وتبكي السماء ، وتتهمر دموعها ، وتتوح الأرض .. وبين قلوب الناس الباكية ، يمضي الموكب الحزين إلى مقبرة ولو جامع " ، حيث المثنوى الأخير لجثمان الأستاذ بديع الزمان سعيد نورسي .

ولنا أن تشير إلى أن الطبيب الخاص الذي جاء ليتأكد من حالة الوفاة ، سمع بقوله " الله .. الله " إن درجة حرارته مرتفعة جداً ، هل لديكم مرآة ؟

أسيد إحسان قاسم ، ص ص ١١٤-١١٥ .

إحسان قاسم الصالحى. بديع الزمان سعيد النورسى " نظرة عامة عن حياته وأثاره " ، ص ١٣٧ .

ثم وضعها على فم الأستاذ النورسي ، وتأكد من عدم تنفسه ، وانقطاعه كلياً ، ثم قال : " نعم إنه ميت ! ولكن لا تشبه حالته حالة وفاة .. إنني أشك فيه ، ولا أرى دفنه في الحال ثم كتب تقريره للمسؤولين " (١) .

ثم جاء قاضي التركات ، وبدأ يثبت ما ورثه الأستاذ فكان : ساعة، وسجادة ، ولفاف الرأس ، وجبة . فأعطى كلها لأخيه عبد المجيد . ولقد صلى على جثمان سعيد النورسي - رحمه الله - عشرات الآلاف من المؤمنين ، وداوم بعض خواص تلامذته عند قبره ، كما داوم الزائرون كذلك على تلاوة القرآن الكريم لمدة شهرين .

ومما تجدر به الإشارة أن نعش الأستاذ النورسي قد أخذ من الفندق من بعد صلاة الظهر إلى غسله في " دركاه " ، وكان الزحام شديداً ، حيث أغلق أهالي " أورفا " محلاتهم التجارية . والذي قام بغسله (ملا حميد أفندي) ، وهو من علماء " أورفا " ، كما ساعد في الغسل الإخوان (زبير وحسنى ، وعبدالله ، وخلوصى) .

بعد الغسل أخذ النعش الطاهر إلى " أولو جامع " كي يختم على روحه الطاهرة القرآن الكريم . كانت صلاة الجنازة عصر يوم الخميس ، حضرها الوالى ، ورئيس البلدية ، ودفن الجثمان الطاهر فى نفس اليوم بعد صلاة العصر ، ولم يستطع كثير من الناس حضور تشييع الجنازة إلا من جاء بسيارات خصوصية .

رابعاً : وفات بديع الزمان سعيد النورسي . إلى أين ؟

بعد أشهر معدودة من وفاة سعيد النورسي ، وقع انقلاب عسكرى، أطاح بالحزب الديمقراطى . وسيق أعضاء الحكومة إلى المحكمة التى أطلق عليها اسم " محكمة الدستور " وحكم على رئيس الوزراء "عدنان مندريس " ، واثنين من وزرائه بالإعدام . وبممد مختلفة للوزراء والمسؤولين السابقين فى حكومة الحزب الديمقراطى (٢) .

(١) أسيد إحسان قاسم ، مرجع سابق ، ص ١١٦ .

(٢) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .

ولم يَنْتَه الأمر عند هذا الحد بالنسبة للأستاذ سعيد النورسي - حتى وهو في قبره - فقد نبش قبره ، وتم نقل رفات هذا العالم الجليل بالطائرة إلى جهة غير معلومة ، بعد أن أعلنوا منع التجوال في مدينة " أورفا " ، وبعد أن أجبر شقيق الأستاذ سعيد النورسي " الشيخ عبد المجيد " بالتوقيع على ورقة، بأن هذا النقل بناء على طلبه . وهذا العمل لا يقع مثله في التاريخ إلا نادراً . وقد تمت هذه الواقعة بعد خمسة أشهر من وفاة سعيد النورسي . فقد جاء ظهر أحد الأيام شخص يدعى (إبراهيم يوكسل) ، وكان يشغل رئيس شعبة الأمن قائلاً (للشيخ عبد المجيد) بأن الوالي يطلبه . ذهب الشيخ للوالي ، فوجد ثلاثة من جنرالات الجيش ، كان أحدهم (جمال تورال) والآخر (رفيق تولكا) ، وقد خاطبه الأول قائلاً له : " إن زواراً عديدين من الولايات الشرقية والجنوبية يأتون لزيارة قبر شقيقكم ، وكما تعلمون ، فإننا نعيش ظروفاً دقيقة ، لذا نريد أن ننقل رفات شقيقكم - بمعاونتكم - إلى أواسط الأناضول .. " (١) .

وبعد أن أجبر على التوقيع ، توجه الجميع إلى المطار ، حيث أقلتهم طائرة عسكرية إلى " أورفا " . وفي الثالثة ليلاً ذهبوا إلى القبر . وعندما فتحوه ، كان الكفن سليماً ، لكنه مصفر بعض الشيء من جهة الرأس ، وكانت هناك بقعة واحدة على شكل قطرة ماء ، ثم اتجهت الطائرة إلى " أفيون "، ومنها نقل التابوت بسيارة إسعاف إلى مدينة " اسبارطة " ، حيث دفن في مكان ما ، لا يزال مجهولاً حتى الآن . لكن رسائله النورية تتلى بملايين الألسنة ، وتحفظ في ملايين القلوب ..

ولعل هذا استجابة القدر الإلهي لما تمناه الأستاذ سعيد النورسي، وأوصى به طلابه ، بالألا يعرف موضع قبره إلا النذر اليسير من الطلاب ؛ حتى لا يكون مزاراً للناس .. يتعبدون به (٢) .

(١) إحسان قاسم الصالحى. بديع الزمان سعيد النورسي " نظرة عامة عن حياته وأثاره " ، ص ١٣٩-١٤٠ .

(٢) اسيد إحسان قاسم ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

الفصل الثالث

الإطار الفكري والدعوى لبديع الزمان سعيد النورسي

- ١- أعمال بديع الزمان سعيد النورسي.
- ٢- اتجاهاته الدينية في منهجه لتغيير المجتمع التركي.
- ٣- مدرسته وتلامذته.

أعمال بديع الزمان سعيد النورسي

لقد نفى الأستاذ سعيد النورسي من "إسيارطة" إلى "بارالا" في شتاء عام ١٩٢٦م ، وهناك تعرف على بعض أهلها ، وألف عدة رسائل تحت عنوان "سوزلر" ، ومعناها : مقولات واستحسن تسميتها باسم "رسائل النور" . فبدأ يكتب مؤلفاته تحت هذا العنوان. ولقد أقام سعيد النورسي في "بارالا" ثمانى سنوات ، ألف فيها القسم الأكبر من رسائله.

أولاً : الإطار العام لرسائل النور :

التزم بديع الزمان سعيد النورسي بطريق الله المستقيم منذ نعومة أظفاره فشب على حب الله ورسوله ، فأدبه ربه ، وأحسن تأديبه.

وكان لبديع الزمان نشاط اجتماعي إلى جانب نشاطه العلمي فقد انضم لجمعية الهلال الأخضر مستغلاً بذلك كل وسيلة متاحة للدعوة إلى الله تعالى. وقد شكلت هذه الجمعية بهدف محاربة شرب الخمر ، ومحاولة منعها نهائياً.

ومن الجدير بالذكر أن عدد رسائل النور قد بلغت ثلاثين ومائة رسالة، وهى تفسير قيم للآيات القرآنية. ورغم أن رسائل النور نشرت الحقائق القرآنية بجهد متواصل إلى الآفاق كافة، فى عصر عنيد ، فإن أحداً لم يستطع أن يعارضها ، أو ينقدها. مما يثبت أن القرآن الكريم الذى هو رائدها ، ومنبعها ، ومرجعها ، وشمسها ، إنما هو سماوى من كلام الله رب العالمين ، وليس بكلام بشر^(١).

ولقد استخدم سعيد النورسي الأسلوب التمهيدى فى كتابة رسائل النور، كي يحضر القلب للقبول ، ويلزم النفس بالتسليم.. ويشير الباحث إلى أنه عند التعرف على رسائل النور فإنه سيتناولها من خلال تلك الملاحظات المميزة لها ، وهى على النحو التالى :

١- ارتباط بعض الرسائل برسائل أخرى لتأكيد المعنى ، وتفسير بعضها للبعض الآخر.

٢- انتهاج سياسة التقريب بين وجهات النظر.

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. الكلمات ، ص ٥١٧.

٣- بعض الرسائل كتبت باللغة العربية، مثل: الخطبة الشامية ، إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز كما أن أصغر أشقاء الأستاذ سعيد النورسى ، وهو " عبد المجيد " قد ترجم كثيراً من رسائل النور إلى اللغة العربية ، كما ترجم إلى التركية رسائله العربية " إشارات الإعجاز ، " المتئوى العربى النورى " .

٤- تناول المعنى الواحد فى أكثر من موضع ، وبفس الكلمات أحياناً، كعرضه لقضية البعث وتمثيل ذلك بفصل الربيع.. وتم ذلك بدون اختياره.

٥- أن رسائل النور قد أملت فى ساعات التجلى الإلهى. فهى سوانح قلبية نورانية. وكانت عادة فى أثناء تسابيح الصلاة ، وليالى رمضان، وفترات الشدة فى السجون والمعقلات.

٦- بدء الرسائل بتحية الإسلام عند الرد على أسئلة طلابه.

٧- عدم الاستفاضة فى بعض الرسائل لضيق الوقت أحياناً ، ولظروفه الخاصة أحياناً أخرى ؛ من مرض ، ومن ظروف معنوية أخرى !

٨- ختم بعض الرسائل بتوقيعه.

٩- عدم تسلسل الرسائل ، وإدماج بعضها فى بعضها الآخر. لأن الأستاذ سعيد النورسى كان يكتب بما يخطر على قلبه دونما اختيار منه.

١٠- استعمال أسلوب الشدة أحياناً فى الرسائل. كالرسائل الموجهة إلى اللاتى يقلدن الأجنبيةات تقليداً أعمى ، وليس ذلك إلا لتبنيه الغافلات، وإيقاظهن^(١).

١١- تأليف رسالة " المكتوب التاسع عشر " حدث خارق بلا شك ، حيث ألقت من دون مراجعة لمصدر ، اعتماداً على الذاكرة فقط ، رغم ما تشتمل عليه من روايات للأحاديث الشريفة فى أكثر من مائة صحيفة. علاوة على أنها كتبت فى زوايا الجبال ، وبواطن الوديان والبساتين ، خلال ما يقرب من أربعة أيام ، وبمعدل ثلاث ساعات يومياً. أى فى اثنتى عشرة ساعة!!^(٢).

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. للمعات ، ص ٣٠٥.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. المكتوبات ، ص ١١١.

١٢- الختام بكلمة الباقي هو الباقي لبعض الرسائل.
١٣- مناجاة سعيد النورسي الكثيرة والمتعددة إلى الله تعالى. مع وجود بعض المناجاة بالفارسية.

١٤- رسائل النور ، كان يكتب بعضها في سرية تامة وكتمان. وكانت توجه أحياناً إلى المسؤولين. بل حتى أخص الرسائل وأكثرها سرية ، كان يتداولها المسؤولون في الدولة ، كما كانت في متناول عدد من النواب.

١٥- كان دأب رسائل النور القول اللين في الخطاب ، والرفق في الكلام.

١٦- كانت هناك رسائل متبادلة بين الأستاذ سعيد النورسي ، وطلابه. ففي المکتوب السابع والعشرين ، نراه يضم رسائل لطيفة جميلة كتبها مؤلف رسائل النور وبعثها إلى طلابه ، علاوة على رسائل بعثها طلاب رسائل النور إلى أستاذهم. وأحياناً بعضهم إلى بعض ، يعبرون فيها عما استفادوه من أنواق سامية لدى مطالعتهم لرسائل النور. وقد نشر هذا المکتوب لكبر حجمه باسم " الملاحق " ، وهي ملحق " بارلا " ، وملحق "قسطموني" ، وملحق " امير داغ " (١).

كل ذلك لتعريف أسس دعوة النور .

١٧- إن رسائل النور التي كتبت لتفسير آية كريمة ، أو إيضاح حديث شريف ، وكذلك كلام العلماء ، تشكل تسعين بالمائة من محتويات الرسائل. وهذه الرسائل وضحت فيها العقائد التي تخص الدين ؛ كالإيمان بالله والرسول عليه السلام ، والإيمان باليوم الآخر..

١٨- تغلغل رسائل النور في كل الاتجاهات ؛ إذ شقت طريقاً إلى الحقيقة في موضع العبادة ضمن العلم ، وكشفت طريقاً مباشراً إلى الولاية الكبرى في موضوع علم التصوف.. ولقد امتد إشراق الرسائل إلى صفوف الجامعات، ودواوين الحكومة.. بل أصبحت الرسائل تنتشر في كل بلدة، وسوق ، ومسجد ، ومدرسة..

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. المکتوبات ، ص ٤٤٤.

١٩- لقد دخل المتعصب في تشييعه ، والمغالى في سلفيته ، وأشد الفلاسفة مادية وعمقاً في العلم وأكثر العلماء تزمناً.. في دائرة النور، ويعيش قسم منهم الآن إخوة متحابين في تلك الدائرة حتى أن هناك أمارات بدخول مبشرين نصارى من الروحانيين الحقيقيين في تلك الدائرة لما يشعرون بضرورة الترابط ، والمصالحة ، طارحين مدار المناقشة والمنازعة جانباً^(١).
٢٠- لقد أخبرت رسائل النور عن أمور ستتحقق مضامينها بعد عشرات السنين.

٢١- كان سعيد النورسى متأثراً في أسلوبه ببلاغة السكاكي، والتفتازاني، والجرجاني وغيرهم حيث كانت ظاهرة الغموض واضحة في أسلوبه ، وعلامات التعقيد تظهر على عباراته.. ومع أنه قد اتجه اتجاهاً روحياً دقيقاً ، إلا أن هذا الاتجاه كان مقروناً بالتحدي الذي يحمل في طياته التوجيه ، والنصح ، والتحذير ، مع ضرب الأمثال ، مما قد يبعد القارئ عن عنوان الموضوع.

وقد كانت بعض كتابات سعيد النورسى بأسلوب علمي رصين من الصعب فهمه بسهولة إلا لأهل التخصص ، ومع هذا هناك استفادة لكل المشارب وبحسب استعداداتهم.

٢٢- بعض كتابات النورسى كان بها أسلوب يشبه الشعر إلا أنها ليست شعراً ولم يقصد نظمها ، بل إن كمال انتظام الحقائق جعلها تتخذ شكلاً شبيهاً بالنظم ، والقرآن الكريم منزّه عن الشعر ، لأن الشعر هو تجميل الحقائق الصغيرة وتزيينها بالخيال البراق ، وجعلها مقبولة تجلب الإعجاب ، كما كانت تلتزم أساليب البلاغة والمنطق.

٢٣- لقد قال سعيد النورسى : " ما دمت أعلم أنني ماض وراحل عن هذه الحياة ، وفان زائل فينبغي ألا يُربط بي ما يدوم ويبقى "^(٢). مشيراً بذلك إلى رسائل النور.

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص ٣٠٣.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. المكتوبات ، ص ٤٧٧.

وكان يعتبر أن الرسائل ليست بملكه ، ولا منه ، بل هي ملك القرآن . نعم فالمرء عليه ألا، يبحت على ما فى عناقيد العنب اللذيذة من خصائص فى سيقانها اليابسة ؛ فالنورسى كتلك الساق اليابسة لتلك الأعناب اللذيذة. ويذكر له فى هذا الصدد قوله " وما مدحت القرآن بكلماتى.. ولكن مدحت كلماتى بالقرآن "(١).

٢٤- كانت رسائل النور سبباً فى إيمان أهل الضلالة لأنها اعتنت بالنور الداخلى اللازم لحركة الضمير الإنسانى. فنجد مثال ذلك الذى نبذ الطبيعة ، ونفذ إلى طريق الحقيقة " يقول : الحمد لله حمداً كثيراً بعدد الذرات، الذى وفقنى للفوز بكمال الإيمان، وأنقذنى من الأوهام، والضلالات، فزالت بفضلها جميع ما لذى من شبهات وريب "(٢).

٢٥- افتتاح الرسالة بنوع من العبادة " كالصلاة " ، فى الكلمة الرابعة.

٢٦- افتتاح الرسائل بنوع من العقيدة ، مثل : مجلد كتاب " الكلمات " .

٢٧- بدء الرسالة بـ " تنبيه " ، مثل : الكلمة العاشرة.

٢٨- هناك رسائل موجهة إلى فئة معينة من الناس ، كرسائل إلى الشباب ، ورسائل إلى الشيوخ، ورسائل إلى المرضى ، ورسائل إلى المسجونين .

٢٩- هناك العديد من الألفاظ التى توحى بالمعنى المقصود منها استخدمت فى رسائل النور. وعلى سبيل المثال لا الحصر ألفاظ : زهرة - شعلة - حبة - شمة - ذرة - قطرة - صورة - حقيقة - إشارة - باب الحكمة - باب الشفقة - نقطة - قطعة - المقام - البرهان - الغصن - جلوة - انور الأول - ذيل - مرتبة - خاتمة - ثمرة تأمل - رسالة (كالرسالة الأحمديّة ، رسالة المعجزات القرآنيّة) - ضياء - أساس - مقصد - منبع - سؤال مهم .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . المكتوبات ، ص ٤٧٧ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . اللغات ، ص ٢٩٨ .

* الفرق بين الشعر والنثر ، أن الشعر كلام موزون مقفى .

٣٠- تناولت الرسائل المعجزات " كانشقاق القمر " ، كما أنها تحمل في طياتها الدساتير الاجتماعية بكل أنواعها ومشاربها^(١).

٣١- هناك كتب لم يتيسر للنورسي تأليفها ؛ إذ باشر بتأليف تفسيره "إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز" في خضم معارك الحرب العالمية الأولى ، ولم يتمه ، حيث صرفه المولى القدير إلى تأليف رسائل النور، إنقاذاً للإيمان.

٣٢- بعد عام ١٩٥٠م ، تمكن من إعادة النظر في رسالة "المناظرات" فشد بها ، وعلق عليها بهوامش ، وحذف ما يقرب من ثلثها من بداية الرسالة؛ ما كان قاصراً على فترة معينة ، أو ما يمكن أن يساء فهمه. وعندما أريد نشرها في سنة ١٩٥٩م ، أعاد المؤلف فيها النظر بدقة وأجرى بعض التعديلات ، والتعديلات من حذف وإضافة^(٢).

٣٣- عمدة رسائل النور : مجموعة " الكلمات " ، التي تضم ثلاثاً وثلاثين كلمة. واسم هذه المجموعة " سوزلر " ، ترجمت إلى " الكلمات " لأن المؤلف نفسه ذكر في الشعاع الأول أن سوزلر تعني " الكلمات "^(٣).

إن رسائل النور تعتبر درساً قرآنياً يوافق أفهام هذا العصر ، ولو قرأها سياسى مفكر ، لعدّها من أرقى الكتابات السياسية ولو لم يكن سعيد النورسي شخصية سياسية واعية ، فلم يكبلونه ربع قرن ، نفيًا ، وسجناً وتعذيباً، وتشريداً.. ورسائل النور في حد ذاتها معجزة معنوية للقرآن الكريم؛ فهي تنقذ أسس الإيمان وأركانه.

٣٤- بعض الرسائل عبارة عن سؤال ، ومن ثمّ الجواب.. وقد يكون السؤال من الأستاذ سعيد النورسي مباشرة ، وكذلك الجواب ، وقد يكون السؤال من أحد طلابه.. وقد يكون من عامة الناس وخاصتهم سواء داخل تركيا وخارجها.

٣٥- أحياناً تكون خلاصة الرسالة ونتائجها في نهاية العرض والتحليل.

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. الكلمات ، ص٧٠٢ ، ص٨٧٣.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي. صيقل الإسلام ، ص ٣٧٩.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي. الكلمات ، ص ٨٩٩.

٣٦- استخدام أسلوب الوقائع الخيالية لتقريب المعنى.

٣٧- ما يفصل في مكان يجمل في مكان آخر.

٣٨- بين سعيد النورسي في رسائل النور أن زاد طريق أبرد الأبدان، وذخيرة تلك الرحلة الطويلة المظلمة " بعد الموت " ، ليس إلا في امتثال أوامر القرآن الكريم ، واجتباب نواهيها.. وإلا فلا يغنى العلم، والفلسفة، والمهارة، والحكمة شيئاً في تلك الرحلة. بل تقف جميعها منطفئة الأضواء عند باب القبر.

٣٩- استخدام أقوال الفلاسفة أحياناً في رسائل النور ، للتهوين من صعوبة الإدراك الشامل لقضية من قضايا الإسلام " كالبعث مثلاً " ، ومن أمثلة هؤلاء " ابن سينا " ، حيث قال في هذه القضية ، بأن الحشر ليس على مقاييس عقلية ، كذلك اتفق علماء الإسلام على أن قضية الحشر قضية نقلية، ولا يمكن الوصول إلى أدلتها عقلياً.

ثانياً : بداية ظهور رسائل النور :

من الثابت أن رسائل النور قد كتبت أول مرة في سنة ١٣٤٥هـ- ١٩٢٦م وما يليها ، على الرغم من الملاحقات البوليسية ، والضبط القضائي في تلك السنوات العجاف. إلا أن هذه الدعاوى قد بدأت منذ سنة ١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م ، وحتى سنة ١٣٦٨هـ- ١٩٤٨م. فقد رفع على رسائل النور أكثر من ألف وخمسمائة دعوى قضائية في مختلف الأزمنة ، ومن قبل العديد من المحاكم. ومع هذا فقد حكم بالبراءة لرسائل النور بنسبة تزيد عن ثمانية وتسعين بالمائة.

وفي إسبارة عام ١٩٣٤م ظل الأستاذ النورسي أشهراً منكباً على تأليف رسائل النور وهي : رسالة الاقتصاد ، ورسالة الإخلاص ، ورسالة الحجاب ، والمرض ، والشيوخ. وهذه الرسائل جميعها من " اللغات " ، حيث كانت كل من " الكلمات " ، و " المكتوبات " قد تم تأليفها^(١).

ولقد اكتفى سعيد النورسي بمدرسة رسائل النور تحت إشراف الخلف من تلاميذه للمقبلين الجدد ، وكذلك المتابعة. وقد اعتبر سعيد النورسي

(١) إحسان قاسم الصالحى. بديع الزمان سعيد النورسي " نظرة عامة عن حياته وآثاره"، ص ٨٠.

رسائل النور هبة وإنعاماً إلهياً ، وإحساناً وفضلاً من الله سبحانه وتعالى عليه ؛ إذ كان يقف أمام الآية الكريمة بتوسل وتضرع إلى العليّ القدير، طالباً منه المدد والعون ليفتح عليه ، فما أن يشرح قلبه لأمر حتى يمليه فوراً وبسرعة.. يكاد الكاتب لا يلحق به. ولهذا أكد الأستاذ النورسي كثيراً على عدم ربط الرسائل بشخصه حتى لا يحطوا من قيمتها. وهكذا الدعوات الناجحة التي لا ترتبط بالأشخاص حتى لا تموت بموتهم. وباليت تلامذته الذين غالوا فيه بعد موته قد فقهوا ذلك^(١).

استمرت مدة تأليف رسائل النور طوال ثلاث وعشرين سنة من حياة سعيد النورسي ، التي قضاها بين السجن ، والنفي ، والتشريد. وأولى الرسائل التي ألفها هي "رسالة الحشر" ، حيث أن مسألة البعث ، ووجود يوم القيامة ، ويوم الحشر ، أصبحت تصوّر من قبل الدوائر الملحدة وكأنها خرافة أو أسطورة لا سند لها من دليل عقلي أو عملي.

ولم يكن الأستاذ النورسي يكتب كثيراً من رسائله بيده ، إنما كان يملئ هذه الرسائل على بعض طلابه في حالات الجيشان الروحي والوجداني. ويعد ذلك تتداول النسخة الأصلية بين التلاميذ الذين يقومون بدورهم باستنساخها باليد ، ثم ترجع إليه لتدقيقها واحدة تلو الأخرى وتصحيح أخطاء الاستنساخ إن وجدت. ولم يكن لديه أية كتب أو مصادر يرجع إليها في أثناء التأليف سوى القرآن الكريم. وقد ساعده على ذلك ما وهبه الله من ذاكرة خارقة، وقدرة عجيبة على الحفظ. فكان يستقى عند تأليف رسائله من مخزونات محفوظاته في مصادر العلوم الدينية. التي كان قد قرأها في بداية حياته^(٢).

لقد باشرت رسائل النور بفضل الله تعالى بإنارة المدارس الحديثة ، إذ جلبت طلابها إلى صفوف طلاب رسائل النور ، وجعلتهم ناشرين ومالكين لها أكثر من طلاب المدارس الشرعية الذين سيكونون طلاباً لرسائل النور -

(١) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ١٦٠.

(٢) إحسان قاسم الصالحى. بديع الزمان سعيد النورسي " نظرة عامة عن حياته وأثاره" ، ص ٧٤.

أيضاً - ، حيث إنها بضاعتهم الحقيقية وحصيلة مدارسهم. وقد بدأت تباشير الرغبة والشوق إلى الرسائل تظهر لدى كثير من المفتين، والعلماء^(١). وقد استنسخت رسائل النور بالحروف العربية بدلاً من اللاتينية، للمحافظة عليها من الاندثار والنسيان. وعندما بدأت حلقات طلاب النور تتسع ، بدأت الرسائل تصل إلى القرى والنواحي القريبة من "بارلا"، وبدأت الأيدي تتلقف سراً هذه الرسائل وتندارسها ، وتهربها حتى إلى المدن البعيدة ، حتى بدأت تكتسب قلوباً جديدة ، وأرواحاً عطشى إلى الهداية والنور .

وبالرغم من ذلك فإن الحكومة قد بدأت تطارد طلاب النور ، وتدهم منازلهم ، وتفتش بيوتهم ، فيقبل الطلبة هذه المضايقات بصدر رحب ويقين ثابت.. ثم بدأت عشرات ، بل مئات بل آلاف من طلبة النور رجالاً وأشبالاً عند سن الثامنة حتى الثالثة عشر ، ونساء فى الانكباب على استنساخ رسائل النور ساعات عديدة من الليل والنهار ، حتى إن بعضاً منهم قضى سبع سنين لم يغادر منزله ، وهو منكب على هذه المهمة.. وقد ساهمت النساء فى هذه الحملة مساهمة فعالة ؛ فالفتيات اللائى كن يعرفن الكتابة يستنسخن ، واللائى يجهلنها كنّ يقلدن الكتابة تقليداً.

ولقد استنسخت رسائل النور كتابة باليد مقدار ستمائة ألف نسخة، وانتشرت فى أرجاء تركيا تدريجياً ، معلنة أن نور الله تعالى لا يُطفأ، قال تعالى { يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون }^(٢).

وبقيت رسائل النور عشرين سنة تنتشر بهذه الطريقة ، بعدها طبعت لأول مرة بالرونو ، ولم يقدر لها أن تطبع فى المطابع الاعتيادية إلا سنة ١٩٥٦م. هذا باستثناء رسالة الحشر ، التى طبعت خفية فى استانبول بواسطة أحد طلاب النور .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص ٣٤٣.

(٢) سورة التوبة : آية ٣٢.

استمر بديع الزمان سعيد النورسى فى كتابة رسائل النور.. وتم تناول رسائله بين أيدى الناس وانتشرت من قرية إلى أخرى ، ومن مدينة إلى أخرى.. حدث ذلك عندما قضى بديع الزمان أحد عشر شهراً فى سجن "أسكى شهر" ، ثم نفى بعدها إلى مدينة "قسطمونى" سنة ١٩٣٦م ، وبقي فيها سبع سنين.

كما ألف فى أثناء مكوثه فى سجن " دنيزلى " رسالة الثمرة ، وكان يكتبها على قصاصات من الورق، ويضعها فى علب الكبريت ، ويرميها خفية من شباك ردهته إلى طلابه ، وهم بدورهم يستسخونها. وإن المرء ليعجب ! كيف يتهم أناس يتبادلون فيما بينهم تحية القرآن، وبيانه ومعجزاته باتباعهم لجمعيات سرية؟!

على حين يحق لـ " الدكتور دوزي " وغيره أن يفترى على القرآن وحقائقه فى إصرار ، ثم يعتبر ذلك أمراً مقدساً ، لأنه حرية للرأى والفكر^(١). وفى عام ١٩٤٩م راجت رسائل النور رواجاً كبيراً ، إذ سمح لها بعد قرارات البراءة التى أصدرتها مختلف المحاكم بالطبع على "الرونيو" ، فأصبحت آلاف النسخ المطبوعة تنتشر فى القرى والنواحي، والمدن ، فتكسب آلاف الأنصار ، وتشعل جذوة الإيمان فى آلاف القلوب. وهكذا فرضت حركة النور نفسها على واقع المجتمع التركى ، بل شاعت حكمة الله أن تكون المحاكم نفسها وسيلة فعالة فى نشر رسائل النور^(٢).

وبعد ظهور جهاز التسجيل ، بدأ طلاب النور يسجلون الرسائل على أشرطة التسجيل وينشرونها فى كل مكان داخل وخارج تركيا. حيث إن رسائل النور ما هى إلا درس قرآنى يوافق أفهام هذا العصر الحديث.

ثالثاً : عالمية رسائل النور :

لقد كانت ترجمة رسائل النور إلى اللغة العربية ، ونشرها ، غاية المنى لمؤلفها " بديع الزمان " سعيد النورسى. وقد حث عليها فى رسائل

(١) إحسان قاسم الصالحى. بديع الزمان سعيد النورسى " نظرة عامة عن حياته وآثاره"، ص ٩٤.

(٢) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٨٩.

عديدة ، حتى أنه كان يأمل قيام علماء من الأزهر الشريف ، أو من بلاد الشام على ترجمة " مجموعة عصا موسى " . وقبل ارتحاله إلى دار البقاء أرسل أحد طلابه إلى العراق ، ومصر بغية الاتصال بالعلماء هناك على أمل الشروع في ترجمة الرسائل . وفعلاً تمت ترجمة ونشر عدد قليل من رسائل صغيرة في الشام^(١) .

ولما درس الأستاذ النورسي من كان حوله من الطلاب " المثوى العربي النوري " ، وتفسير " إشارات الإعجاز .. " ، وهما مؤلفان باللغة العربية ، أمر بطبعهما بالرونو ، ونشرهما . كما بعث " المثوى العربي النوري " إلى علماء في العالم ، ولا سيما علماء العالم الإسلامي .

إن حركة الأستاذ سعيد النورسي هي جزء لا يتجزأ من الحركة الإسلامية الشاملة . وإن دعاة الإسلام في كل بلد لا بد أن يطلعوا على ما قدمه إخوانهم في البلاد الأخرى من فكر وجهد وحركة وتجديد ، كي يستوعبوا فكر العصر الإسلامي الحديث برمته استيعاباً دقيقاً^(٢) .

وبناء على ما تقدم ، أتى وزير المعارف الباكستاني لأخذ قسم من رسائل النور وقال : " سأسعى لنشر هذه الرسائل النورية بين تسعين مليوناً من المسلمين "^(٣) .

ولقد انتشرت أنوار رسائل النور في أوروبا وآسيا . بل أعلن في ألمانيا عن مجموعة " ذو الفقار " بعد ظهورها مباشرة . وفي داخل البلاد تقرأ مجموعة " عصا موسى " ، و " ذو الفقار " بشوق كامل غير أبهين بالحظر الذي فرض على الرسائل ..

ومؤلف النورسي " صيقل الإسلام " يبين فيه حضور القائد العام الياباني إلى استانبول سنة ١٩٠٧م ، أي أواخر حكم السلطان عبد الحميد الثاني ، ووجه جملة من الأسئلة الدينية إلى المشيخة الإسلامية ، فوجه العلماء بدورهم تلك الأسئلة ، مع أسئلة أخرى إلى الأستاذ النورسي فقام بالرد عليها .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الكلمات ، ص ٨٩٦ .

(٢) د . محسن عبد الحميد ، ص ٦ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي . الملاحق ، ص ٣٤٣ .

كما قام بالرد على أسئلة أخرى للمسئولين خارج تركيا ، وعلى زعماء الطوائف الدينية " بابا الفاتيكان " ، وعلى الخارجية البريطانية..

رابعاً : مؤلفات بديع الزمان سعيد النورسي :

إن أعمال بديع الزمان في عهده القديم " سعيد القديم " كانت على

قسمين :

الأول : " القسم العربي " ويتناول المؤلفات التالية :

- ١- تفسير " إشارات الإعجاز فى مضان الإيجاز " ، الجزء الأول فقط، وهو مؤلف فى جبهة الحرب العالمية الأولى ، ولم يؤلف سائر الأجزاء.
- ٢- " صيقل الإسلام " أى " المحاكمات " - قسم منه بالعربى والآخـر بالتركى - وهو كتاب قيم، لكنه صعب الفهم إلا على أهل العلم المتبحرين.
- ٣- رجـة العوام ، أو رجـة الأكراد ، لإرشاد عوام المسلمين فى الأمور الاجتماعية ، والأمور السياسية..

٤- التعليقات على " الكنبوي " فى المنطق.

٥- قزل إيجاز فى المنطق ، ولم يكمل مع الأسف.

٦- الخطبة الشامية ، وهى تلقى الضوء على مستقبل الإسلام.

٧- مجموعة " المثنوى العربى النورى " ، لإثبات حقائق الإيمان، وبيان شتى مسائل الإسلام وهى أقرب إلى " سعيد الجديد " .

٨- الخطوات الست باللغة التركىة ، وهى تفسى دسائس العدو المحتل.

الثانى : " القسم التركى " : ويشتمل على المؤلفات التالية :

١- نقطة من نور معرفة الله ، فى إثبات التوحيد.

٢- شعاعات معرفة النبى عليه السلام.

٣- طلوعات.

٤- سنوحات مع ذيلها.

٥- إشارات.

٦- رموز ، وتعود إلى مسائل متفرقة إسلامية ، واجتماعية.

٧- المحاكمات.

٨- المناظرات.

٩- " شهادة مدرستي المصيبة " ، وهى عبارة عن دفاع النورسى أمام المحكمة العربية فى حادثة ٣١ من آذار عام ١٩١٠م^(١).

١٠- المحاضرات أو الخطابات ، والتي تدور حول الحرية من وجهة النظر الإسلامية.

١١- المقالات التى نشرت له فى جريدة " فولقان " ، فى بيان الحرية الشرعية.

١٢- رسالة " للمعات " ، وهى رسالة أدبية خارقة ، شبيهة بالمنظوم، حول حقائق الإيمان ومشاكل المجتمع. وينطبق الحال كذلك على مجلد " المثوى العربى النورى " .

أما عن أعمال سعيد النورسى فى عهده الجديد فهى " كليات رسائل النور " ، والتي تشرح حقائق الإيمان ، وتبين إعجاز القرآن الكريم. وهى عبارة عن مائة وثلاثين رسالة ، ألفت باللغة التركية ، وهى على الوجه التالى :

١- مجموعة الكلمات ، وهى ثلاث وثلاثون مقالة ، تبين الحقائق الإيمانية ، والإسلامية ، وتثبتها ببراهين قاطعة ، وحجج ساطعة على النهج القرآنى ، ولم يوفق إلى تأليف مثلها ، السابقون واللاحقون حتى الآن.

٢- مجموعة المكتوبات ، وهى ثلاثة وثلاثون مكتوباً ، تشرح مسائل إسلامية اجتماعية.

٣- مجموعة اللمعات ، وهى إحدى وثلاثون لمعة ، يبحث معظمها فى حقائق التوحيد ، وأسرار الإيمان ، ويرد فيها على أفكار الإلحاد.

٤- مجموعة الشعاعات ، وهى ستة عشر شعاعاً ؛ معظمها يبين حقائق الإيمان ، ويثبتها بالحجج البالغة ، والبراهين الدامغة.

٥- الملاحق فى فقه دعوة النور ، وهى مراسلات خاصة بين النورسى، وطلابه ، لتوجيههم إلى الاستقامة.. وهى ثلاثة أقسام : بارال - قسطنونى - أميرداغى.

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. مجموعة عصا موسى ، ص ٣٩٥.

وقد نظم النورسى رسائل النور بعد انتهاء تأليفها إلى مجموعات متعددة، حسب مواضيع معينة وهى أربعون مجموعة بعضها صغيرة، والأخرى كبيرة.. وكانت على النحو التالى :

١- ذو الفقار ، ويحتوى على رسائل ، وذبولات فى إعجاز القرآن الكريم ، ومعجزات النبى عليه السلام ، وإثبات الحشر الجسمانى .
٢- عصا موسى ، وهذا المؤلف يحتوى على أهم الدلائل والبراهين التوحيدية.

٣- الطلاسم ، وهو تجمع لما فى رسائل النور من أسرار الإيمان، ورموز الكون.

٤- سكة التصديق الغيبى ، وتحتوى إشارات الآيات القرآنية ، ورموز الأحاديث النبوية الشريفة.

٥- سراج النور ، وهو جامع لثلاث وثلاثين مرتبة من مراتب الإيمان.

٦- دليل الشبيبة فى إرشاد الشبان.

٧- دليل السيدات فى بيان حكم الحجاب وإرشاد السيدات.

٨- المدخل الأوّل للنور ، دروس إيمانية فى تفسير آيات قرآنية.

٩- مفتاح لعالم النور فى أسرار التوحيد فى تموج الهواء " الراديو " .

١٠- رسالة الذرات فى أسرار التوحيد فى حركات الذرات وتحولاتها.

وقد جمعت فى عشر مجلدات ترجمها إحسان قاسم الصالحى وهى :

الكلمات - المكتوبات - اللغات - الشعاعات - إشارات الإعجاز -
المتنوى العربى النورى - الملاحق - صيقل الإسلام - سيرة ذاتية - فهرس عام. أما المجموعات الباقية فهى رسائل مفردة من رسائل النور فى موضوعات مخصوصة ، مع ما يناسبها من الذبول.

وقد كان بديع الزمان سعيد النورسى ينطلق فى رسائله كلها من الكتاب الكريم "القرآن". وقد خصص رسائله لإنقاذ الإيمان ، وشرح أصول العقيدة وتجديد علم الكلام ، وتربية النشء والدعوة إلى تمثل الأخلاق الإسلامية الفاضلة. ولم ينس أن ينبه على كثير من مسائل الشريعة لكنه لم يكثر الحديث فى تفاصيلها ، لأن المجتمع الذى يفقد أسس الإيمان ، وحرارة

الانتماء ، لا فائدة من محادثته فى تفاصيل الشريعة. فالقاعدة الإيمانية إذا
تكونت ، فحينئذ يأتى تطبيق شرع الله كخطوة طبيعية نحو الوصول إلى
المجتمع الذى يحكمه نظام الإسلام^(١).

فالأستاذ النورسى كان يريد أن يبدأ من الإيمان إلى التربية ، ومن
ثم إلى تطبيق الشريعة. ولكن ليس معنى ذلك أنه طبق تلك الخطوات منفصلة
دون ترابط جامع.

(١) د. محسن عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨.

اتجاهات النورسي الدينية ومنهجه لتغيير المجتمع التركي

لقد سلك بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - في دعوته منهجاً عاماً يمكن أن نطلق عليه " المنهج الاستدلالي " ، إذ لا يذكر شيئاً إلا ومعه، أو قد سبقه برهان أو دليل لاثباته ، سواء كانت هذه الأدلة شرعية عقلية، أو أدلة عقلية ، أو أدلة فطرية. وأحياناً يستند على كلام المجددين العظام ، أو يستند على أمثلة مقنعة بحيث يدع القارئ أو السامع يطمئن دائماً إلى جميع ما يعرض عليه^(١).

أولاً : منهج بديع الزمان سعيد النورسي في دعوته :-
(١) القرآن الكريم :

أولى سعيد النورسي " القرآن الكريم " ، عنايته ، فجعله منذ بداية طريقه الدعوى إلى الله تعالى ، أسناده ومرشده ، وإمامه ، لأن قوانين البشر تشيب ، وتهرم ، كما أنها تتغير وتتبدل. أما أحكام القرآن الكريم، وقوانينه، فلها الثبات والرسوخ ، بحيث تظهر قوتها ومثابته أكثر كلما مرت العصور والأزمان.

وهناك فرق كبير واضح بين التربية الأخلاقية التي يربى بها القرآن الكريم تلاميذه ، والدرس الذي تلقته حكمة الفلسفة لأتباعها^(٢).
فالتلميذ المخلص للفلسفة يعبد أحس شيء لأجل منفعته ، فهو نفعي مصلحي ، لا يرى إلا ذاته ، وغاية همه تلبية رغبات النفس ، والبطن والفرج... أما تلميذ القرآن ، فهو عبد لله تعالى لكنه عزيز لا يستذل لشيء، حتى لأعظم مخلوق ، ثم إنه تلميذ متواضع ، لين هين ، لكنه لا يتذلل بإرادته لغير فاطره الجليل ، كما أنه فقير وضعيف ، موقن بفقره وضعفه، ولكنه مستغن عن كل شيء بما ادخره له مالكة الكريم من خزائن لا تتدف في الآخرة. ثم إنه لا يعمل إلا لوجه الله. والكتب المقدسة ، والصحف السماوية تأتي بالدرجة الثانية بعد القرآن الكريم في درجة العلو والسمو^(٣).

(١) د. فرج محمد الوصيف ، ص ٢٢٤.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي. الكلمات ، ص ١٤٤.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٨.

(٢) السنة النبوية :

واتباع السنة النبوية الشريفة ، هو الطريق القويم للوصول إلى روح المعاني السامية للقرآن الكريم. ولقد حبيب سعيد النورسي في اتباع السنة المطهرة ، وحذر من البدعة وبين مآل الاتباع، والابتداع على الفرد والمجتمع على السواء.

قال تعالى : { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم. فإن تولوا فقل حسبي الله ، لا إله إلا هو، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم }^(١) صدق الله العظيم
واتباع السنة المطهرة لا سيما عند استيلاء البدع وغلبتها ، له قيمة أعلى وأسمى ، بالأخص عند فساد الأمة ، إذ تتشعر مراعاة أيسر الآداب النبوية بتقوى عظيمة ، وإيمان قوى راسخ ؛ ذلك لأن الاتباع المباشر للسنة المطهرة يذكر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، المتلقى عن ربه سبحانه وتعالى.

وفي ضوء هذا ، فإن من يجعل اتباع السنة المطهرة عادته ، فقد حول عاداته إلى عبادات، ويمكنه أن يجعل عمره كله مثمراً ، ومثاباً عليه من رب العالمين^(٢).

وقد لا يتيسر اتباع كل نوع من أنواع السنة الشريفة اتباعاً فعلياً كاملاً إلا لأخص الخواص ولكن يمكن لكل واحد الاتباع عن طريق : النية والقصد ، والرغبة في الالتزام والقبول. لكن من المعلوم الالتزام بالفرض والواجب. أما السنن المستحبة في العبادة فتركها ، والتقصير فيها وإن لم يكن فيه إثم، إلا إنه ضياع لتواب عظيم^(٣).

ولابد من الإيمان بالقرآن الكريم كله ، والسنة النبوية المطهرة كلها ، مع التوغل في الدين برفق. وقد أخذ سعيد النورسي السنة النبوية الطاهرة بإطارها الواسع إلا أنه ترك سنة اللحية ، وسنة الزواج " خاصة نفسه " .

(١) سورة التوبة : آية ١٢٨-١٢٩.

(٢) يدبغ الزمان سعيد النورسي. للمعات ، ص ٨١.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٩.

(٣) استخدام فقه الأولويات فى الدعوة :

نظر سعيد النورسى من حوله فرأى هزة عنيفة أصابت المجتمع التركى ، فضلاً عن إقصاء الشريعة والتحلل الأخلاقى الذى ساد الحياة التركىة ، فجعل من منهجه التدرج فى أسلوب الدعوة ناشداً التغيير والأخذ بنظام الأولويات ، الذى تسلم كل حلقة فيه إلى الحلقة الأخرى فتنتهى سلسلة الحلقات هذه إلى إقامة النظام الإسلامى فى المجتمع كله دون حاجة إلى استعمال العنف ابتداءً. بدأ أولاً بالأهم ، ثم المهم وهكذا. فركز فى صميم دعوته على الإيمان فبدأ به وجعله هدفه الأسمى العام ، وما عداه متفرع منه. كما نجده يتدرج فى دعوته فيبدأ بالفرد ، ويمر بالبيت ، وبالمجتمع ، ثم يصل إلى الأمة الإسلامىة جمعاء.. فالقاعدة الإيمانية إذا تكونت ، حينئذ يأتى تطبيق شرع الله تعالى ؛ بمعنى أن سعيد النورسى بدأ من نقطة تجديد الإيمان عند المسلمين ، ثم نقل التربية الإسلامىة إلى داخل البيوت ، ليجد أعواناً على الحق ، بعدها يكون تطبيق الشريعة الإسلامىة بحذافيرها (١).

ولقد أتت خطة سعيد النورسى هذه ثمرتها الياينة ، فبنت رغم العقبات الكؤود مدرسة إسلامىة روحىة ثقافىة كبرى ، انتهت إلى إحداث وعى إسلامى قوى ، وقف أمام مراكز الثقافة الفكرىة والاجتماعىة التى تفرعت من المدارس المادىة التى سادت فى حينه ، الأمر الذى ظهرت نتائجه فى الصحوة الإسلامىة العامة فى البلاد ، وبدء عودة المجتمع التركى فى كثير من مظاهر حياة أفراداه إلى عقيدته ، وحضارته الإسلامىة (٢).

ومن هنا نصل إلى شمولىة الدعوة وجماعىة العمل.

٤- شمولىة الدعوة عند النورسى ، وجماعىة العمل :

قال تعالى { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين } (٣). صدق الله العظيم وهذه دعوة من الله تعالى ، للدخول فى الإسلام جملة وتفصيلاً.

(١) د. فرج محمد الوصىف ، مرجع سابق ، ص ٢٧١.

(٢) د. محسن عبد الحمىد ، مرجع سابق ، ص ٢٤٧.

(٣) سورة البقرة : آية ٢٠٨.

ولقد جاءت دعوة سعيد النورسي عامة وشاملة دون اجتزاء فيها. وقد وجه دعوته هذه إلى الشباب رمز الأمة من خلال رسالة " مرشد الشباب"، وقد حاول في هذه الرسالة نشر الفكرة الدينية ، ورسم طريقاً معيناً للشباب. كما وجه الدعوة إلى الشيوخ ، وإلى النساء ، وذلك بدعوتهن إلى الاحتشام ، وعدم السير والتجول بملابس تكشف عن أجسامهن ، لأن ذلك يصادم الفطرة، ويخالف الإسلام والآداب القرآنية. كما وجه الدعوة إلى الأغنياء والفقراء ، وإلى العلماء ، بتقديم النصح الهادئ اللين ، خاصة للذين اتخذهم العلمانيون أدوات طيعة لهم للتضييق على دعوته ، وكان كثيراً ما يوصى تلامذته بعدم التعرض لهم بالسب أو التجريح ، وعدم فتح باب الجدل أو النقاش معهم ، حتى لا يوغروا صدورهم على الدعوة.

كما وجه الدعوة إلى العامة من الناس ، وإلى الحكام والمسؤولين في الدولة ، وأيد إقامة نظام الدولة على أسس دينية^(١).

كما اعتمد جماعية العمل التي تتفق مع مكانة هذا الدين ، وعظمته وشموله ، كما أن جماعية العمل نثمر ثمرتها المرجوة في التبليغ ، والوقوف صفاً واحداً في مواجهة العلمانيين وغيرهم في الداخل والخارج^(٢).

ولم يربط بديع الزمان سعيد النورسي الدعوة إلى الله تعالى بشخصه، كما لم يترك خليفة له بعد وفاته ، وكان يهتم بالجماعة ، والعمل الجماعي ، وكان يقول : " إن عصرنا هذا هو عصر الجماعة " ^(٣).

فالفرد لا يستطيع الثبات أمام هجوم الضلال ، لذا نرى أن خدمة الإسلام في منهج رسائل النور لا تتحقق بالجهد الفردي ، بل باتحاد الجماعة التي تتكون من الأفراد الذين يطلق عليهم " طلاب النور " ، كما أن الفرد الواحد كثيراً ما يتهم بالنقائص ، بينما لا ينطبق هذا على الجماعة المسلمة والكيف أهم وأفضل من الكم عند النورسي ، فقد كان لأكثر الطرق الصوفية آلاف من التابعين ، لكنهم فشلوا في تحمل المصاعب عند مواجهة

(١) إحصان قاسم الصالحى. بديع الزمان سعيد النورسى " نظرة عامة عن حياته وآثاره"، ص ١١٧.

(٢) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٣٠١-٣٠٢.

(٣) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦.

السلطات الحاكمة لهم. فعشرة من المخلصين للدعوة خير من آلاف غير ذلك. لذا نرى حرصه على الجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل لبناء الشخصية الإسلامية السوية ، التي لا غلو فيها ولا تفريط.

٥- الجمع بين السنية المحافظة ، والنزعة المدنية المتطورة :

إن القرآن الكريم يسوق البشرية إلى الرقى المادى ، والمعنوى ولقد بين النورسى أن سبب تأخرنا وتدنيها ، وسوء أحوالنا ناتج عن :

- ١- عدم مراعاة أحكام الشريعة الغراء.
 - ٢- تصرفات بعض المداهنيين.
 - ٣- التعصب المقيت فى غير محله.
 - ٤- تقليد مساوىء المدنية.
- ومن الأسس التى كان يسير عليها منهج سعيد النورسى الدعوى هى :-
- ١- تبديل الإيمان التحقيقى مكان الإيمان التقليدى ^(١).
 - ٢- الموازنة بين الحياة الدنيوية والأخروية.
 - ٣- إظهار محاسن الإيمان.
 - ٤- اتخاذ منهج الإقناع فى التبليغ كأساس للدعوة.
 - ٥- الاهتمام بتأسيس الأخوة بين أفراد المجتمع التركى.

كما حث النورسى - رحمه الله - الأمة فى كثير من رسائله على الأخذ بأسباب النهوض والتقدم ، استهداء بمعجزات الأنبياء عليهم السلام فى القرآن الكريم مثل : العمل على مداواة أشد الأمراض استعصاء ، كما فعل سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام. وإلانة الحديد ، وجعله كالشمع حتى يكون أساساً لجميع الصناعات البشرية ، كما فعل سيدنا داود عليه السلام ^(٢).

وفى العصر الحديث ، أنكرت الفلسفات المادية وجود الله تعالى ، واليوم الآخر ، والغيبيات جميعها ، كما أنكرت النبوة والرسالات السماوية ولم يعودوا يؤمنون إلا بالمحسوس. ويقدم الأستاذ سعيد النورسى فى إثبات اليوم الآخر أدلة كثيرة أهمها :

(١) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٧٩.

(٢) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٢٦٤.

(١) من غير المعقول أن يكلفنا خالقنا في هذه الدنيا ، ولا يجازين في دار أخرى. فالأعمال والأفعال في الدنيا ما هي إلا لأجل ما أعدَّ هناك من جزاء في الآخرة (١).

(٢) أمن المعقول أن نكذب عشرات الألوف من الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين وهم في أرقى المقامات البشرية عقلاً، وروحاً وقلباً ، ونفساً ، وهم يخبرون أن البشرية ستموت وتحيا ليوم الحساب والجزاء. ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم طوال حياته المباركة قد انصبت بعد التوحيد بالله تعالى على قضية الحشر (٢).

لكن ما هي العلة في مجيء اليوم الآخر ؟ إنها تتضح فيما يلي :

(١) إن آلام الأطفال وموت أطفال مثلهم لن يخففها إلا إيمانهم بالجنة.

(٢) الشيوخ وشعورهم باليأس القاتل نتيجة انطفاء شعلة حياتهم العزيزة ، لن يحيلها إلى الأمل إلا الإيمان باليوم الآخر.

(٣) الشباب ، لا يقف أمام طيشهم وتجاوز حدودهم إلى الظلم إلا إيمانهم بالنار.

والإحياء يكون في الدنيا تدريجياً، وفي الآخرة فجأة. قال تعالى (.. فإذا هم قيام ينظرون) (٣)

لأن الدنيا هي دار الحكمة ، والدار الآخرة هي دار القدرة والرحمة أكثر من الحكمة.

ولقد غدا أصحاب المادة في الغرب يشككون الناس في الغيبيات ، ولم يعودوا يؤمنون إلا بالمحسوس ، وانتجت حركتهم الفكرية تخريباً حضارياً هائلاً في الغرب ، وانتقل صداه إلى العالم الإسلامي عن طريق الذين درسوا هناك.. وقد عالج سعيد النورسي كل ذلك بعقلانية إسلامية مخاطباً الفطرة السليمة ، والعقول المتوثبة ، معتمداً على أدلة كونية واقعية ، مقنعة ، وثقافة

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. الكلمات ، ص ٥٣.

(٢) د. محسن عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ١٥١.

(٣) سورة الزمر : آية ٦٨.

عقلية ودينية.. كل ذلك بتخطيط فكري عميق ينظف الأذهان ، ويعالج الأدران ، ويهيئ لصياغة الأمة من جديد ، عن طريق تصفية القلب، وإبعاده عن كل ما يحول بينه ، وبين العبودية الحقّة لخالق السموات والأرض من خلال ما يلي :

(١) محبة الإنسان لوالديه ، واحترامهما ، محبة نابعة من محبته لله سبحانه وتعالى ، خاصة عندما يبلغا الكبر . والذي يعق والديه ويؤذيهما، ما هو إلا إنسان ممسوخ.

(٢) محبة الأولاد هي كذلك محبة لله تعالى ، من خلال القيام برعايتهم بكمال الشفقة والرحمة، لكونهم هبة من الرحمن الرحيم.

(٣) محبة الزوجة تعود على أنها هدية أنيسة من هدايا الرحمة الإلهية ، وإياك أن تربط محبتك لها برباط الجمال الظاهري السريع الزوال . بل أوتقها بالجمال الذي لا يزول ويزداد تألقاً يوم بعد يوم ، وهو جمال الأخلاق ، والسيرة الطيبة.

وحتى حب الدنيا ، والشغف بها ينقلب إلى محبة لوجه الله تعالى فيما إذا كان النظر إليها من زاوية كونها مزرعة الآخرة.

ويتحدث سعيد النورسي عن حجاب المرأة ليثبت أنه شريعة ربانية، يحفظ النساء من المهانة والسقوط ، ومن الذلة ، ومن الرذيلة ، لذا فهي تخاف كثيراً بفطرتها وخلقتها الضعيفة من غير المحارم ، وتجد نفسها في لبس الحجاب ، لأن الحجاب عفة وطهارة^(١).

والتشريعات الغربية عندما أطلقت حرية المرأة ، أضرت بها ضرراً بليغاً ، لذلك دعا النورسي المرأة المسلمة إلى التمسك بالفضائل والأخلاق، والقيام بتربية النشء تربية إسلامية عالية من أجل اتزان المجتمع، وسعادة أفراده.

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. اللغات ، ، ص ٣١٢.

٦- عدم تجريح الهيئات والأشخاص ، والجماعات العاملة في الساحة

للإسلام :

أمر الإسلام أتباعه بالوحدة والاتفاق ، ونهاهم عن الفرقة والاختلاف. لهذا وجدنا سعيد النورسي - رحمه الله - يُعرض صفحاً عن الخلافات الفرعية ، ويعمل على لَمّ الشمل حول العمل للإسلام^(١).

وقد عاصرت دعوة النورسي دعوات إصلاحية تجديدية فردية، وجماعية في بلدان العالم الإسلامي ، كدعوة الإمام محمد عبده (١٣٢٣-١٣٥٣هـ) ، ودعوة الدكتور " محمد إقبال " عام (١٨٧٣-١٩٣٨م) ، والإمام " حسن البنا " (١٩٠٥-١٩٤٩م) ، والإمام " محمد بن علي السنوسي " (١٨٨٧-١٩٥٩م)، ودعوة الإمام الشيخ " عبد الحميد بن باديس " عام (١٣٥٩هـ)، وكان بين دعوته ، ودعوة هؤلاء الأعلام المجددين لإيمان الأمة المسلمة تقارب واتتلاف.

ولقد حاول النورسي رأب الصدع الذي بين أهل السنة ، والشيعنة المعتدلين. وذلك بعدم إثارة الخلافات التي لا تفيد في الوقت الحاضر إلا الأعداء في الداخل والخارج. فدعا الطرفين إلى تناسي الخلافات الفرعية بينهم. وعدم ترك الفرصة ليسب بعضهم البعض الآخر ، مذكراً أن أهل السنة هم أكثر ولاء وحباً لسيدنا علي رضي الله عنه. كما منع أهل السنة والجماعة من مناقشة الفتن التي وقعت زمن الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

كانت دعوة النورسي دعوة كريمة جامعة ، لا تعرف التعصب، ولا تؤمن بالفرقة. تمد الأيدي الحانية إلى المسلمين جميعاً ، ولا تقول إلا الخير ، ولا تسفه الرأي المجتهد ، ولا تؤمن بتجريح الهيئات والأشخاص ، ولا تثير الخصومات ، ولا تعود إلى الصراعات الماضية. تعتر بالماضي وتحتضن الحاضر ، وتنشد للمستقبل ، وتحفر الخندق الواحد للأمة الواحدة.

(١) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٣٠٩.

٧- أسلوب التربية ، ودعوة غير المسلمين :

بقدر ما يكون عمق التربية ونضجها ، بقدر ما يكون التمكين للدعوة وإنتشارها تحت أى ظرف من الظروف. ومن أثر التربية الإسلامية فى سعيد النورسى ، أنه كان يدحض الشبهة دون الذكر الصريح لها إلا فيما نذر.

ولقد أيقن النورسى بثاقب بصره أنه ما لم ينشأ جيل مؤمن بالله ورسوله حتى أعماق قلبه ووجدانه ، فإن كل شىء سيكون عبثاً لا جدوى منه^(١).

ويظهر أسلوب التربية الإسلامية عند سعيد النورسى فى المحاوره اللطيفة التى دارت بينه وبين "بطريك الروم" ويدعى "أشنوكراس" عندما كان فى استانبول عام ١٩٥٣م ، على النحو التالى :

سعيد النورسى : يمكن أن تكونوا من أهل النجاة يوم القيامة إذا آمنتم بالدين النصرانى الحق بشرط الاعتراف بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والاعتراف بالقرآن الكريم كتاباً من عند الله^(٢).
البطريك : إننى أعترف بذلك..

وطالما أن هناك منهجاً للدعوة إلى الله تعالى ، فلا بد من وجود هدف لذلك المنهج.

ثانياً : أهداف الدعوة عند بديع الزمان سعيد النورسى :

لقد كان لدعوة سعيد النورسى الأثر الواضح على الفرد ، والبيت والمجتمع. فقد برهنت رسائل النور على أن المعاصى والفساد ، والمتعة المحرمة آلام روحية مبرحة ، كما أن عمل الحسنات والخصال الحميدة، والالتزام بالحقائق الشرعية ملذات روحية أشبه ما تكون بملذات الجنة^(٣).

وكان سعيد النورسى يحض الناس على الطاعات وتلاوة القرآن الكريم ، وترغيبهم فى ثواب الله تعالى ، كل ذلك بالحكمة والموعظة

(١) إحسان قاسم الصالحى. بديع الزمان سعيد النورسى " نظرة عامة عن حياته وأثاره"، ص ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٤.

(٣) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ص ٢٢٣-٢٢٤.

الحسنة، فأقبل الناس إليه يستمعون بلهفة وشغف. وبما أن المد غير الإسلامى فى تركيا كان شاملاً لجميع جوانب الحياة ، ومركزاً على الأصول والكتليات فى الإسلام قبل الفروع والجزئيات ، فإن دعوة النورسى كانت فى المقابل منسمة بسمة الشمول والكلية ، لتصل إلى الأهداف التالية :

(١) الفرد ، والبيت ، والمجتمع :

لقد جعل سعيد النورسى هذا الهدف نصب عينيه ، فأولاه عنايته الخاصة ، لعلمه أن صلاح الفرد يعنى كل شىء فى المجتمع. وصلاح الفرد إنما يكون ببناء كيانه الروحى ، وعدم الاكتفاء بالكيان المادى ، وذلك من خلال ما شرع الله عز وجل من عبادات ، وما أمر به سبحانه وتعالى من إحلال الحلال ، وتحريم الحرام ، مع السعى على ذبوع ذلك فى الأمة^(١).

لقد كان لهذا الهدف " إصلاح الفرد " الذى رنا إليه النورسى قولاً، وعاشه فى نفسه أولاً عملاً ، أثره الكبير فى تركية آلاف الأنفس فى المجتمع التركى.. فهداها الله بعد غواية ، وأنقذها بنور الإيمان من المادية وشقائها من خلال تقوى الله تعالى.

كما كان البيت المسلم محط نظر سعيد النورسى ، لعلمه أنه النواة الأولى للمجتمع. وإذا انصلح البيت ، انصلح المجتمع. فبذل كل ما فى وسعه حتى يعود للبيت هويته الإسلامية شكلاً وموضوعاً ، فوجه رسالته إلى أرباب البيوت ، خاصة طلاب النور قائلاً : " اجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصغرة ، وموضع تلقى العلم والعرفان ، كى يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة على الإيمان ، فيكونون لكم شفعاء يوم القيامة ، وأبناء بررة فى هذه الدنيا ، وعندها تتقرر هذه السنة الشريفة فيكم حقاً. وبخلافه لو تربى الأولاد على التربية الأوربية وحدها ، فإن أولئك الأولاد يكونون غير نافعين لكم فى الدنيا من جهة ، ومدعين عليكم يوم القيامة من جهة أخرى إذ يقولون لكم : " لم لم تتقنوا إيماننا ؟ " فتندمون وتحزنون من قولهم هذا ، يوم لا ينفع الندم وما هذا إلا مخالفة لحكمة السنة النبوية الشريفة " (٢).

(١) فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ١٠٦.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص ٤٠٣.

والخالق سبحانه وتعالى حينما يرسل الأطفال إلى الدنيا ، فإنه يرسل أرزاقهم في عقبهم مباشرة ، لبناً خالصاً في أثناء أمهاتهم كالينبوع ، حار في الشتاء ، بارد في الصيف. كذلك فإن أرزاق العجزة ، الذين هم أحق بالمرحمة ، يرسلها لهم الله سبحانه بصورة بركة.

حتى إن بعض المخلوقات المصاحبة للإنسان كالقطط ، فأرزاقها ترسل ضمن رزق الإنسان وتأتي بصورة بركة - أيضاً - . فكيف إذا حل في البيت من هو أكرم المخلوقات على ظهر الأرض ، ألا وهو الإنسان ؟

ولأجل إصلاح الركن المهم في البيت " المرأة " كتب رسالة " الحجاب " - التي حوكم من أجلها - التي نادى فيها بصيانة المرأة المسلمة من الأفكار الإلحادية الهدامة التي انتشرت في تركيا، والمنادية بانسلاخ المسلمة من عقيدتها وشريعته ، وبالتالي من عفتها وطهارتها بحجة التقدم ومسايرة ركب الحضارة الغربية.. فأوصاهن بالتمسك بأوامر الله ، وعرفهن بالمدينة الغربية. وأوصاهن بالاهتمام ببيوتهن ورعاية الأولاد وتربيتهم على الإسلام، لأن في ذلك الخير للأباء والأبناء في الدنيا والآخرة.

ولقد أوصى سعيد النورسي بحسن المعاملة الزوجية ، إضافة إلى حسن تربية الأولاد. والزوج السعيد هو الذي يقلد زوجته الصالحة ، فيكون صالحاً مثلها ، لئلا يفقد رفيقته في حياة أبدية خالدة " الجنة " . والزوجة كذلك ، لئلا تفقد رفيقها الأبدى ، فتفوز بسعادة آخرتها ضمن سعادة دنياها. والويل كل الويل للزوجين الذين يعين كل منهما الآخر في دفعه إلى الشر.

وحفاظاً على تماسك بنيان الأسرة المسلمة ، أوصى النورسي بالوالدين والأقارب ، فحث على رعايتهم^(١).

قال تعالى " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولاً كريماً " ^(٢) صدق الله العظيم

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. المكتوبات ، ص ٣٣٥.

(٢) سورة الإسراء : آية ٢٣.

والعم والعمة هما في حكم الأب ، وإن الخال والخالة هما في حكم الأجداد
واعلم أيها الإنسان الغافى أن أشد انعدام للضمير ، هو استئصال وجود هؤلاء
الشيوخ العيامين ، واسترغاب موتهم !.

ولقد استتكر سعيد النورسى بأسلوب مؤثر على المسلمين
تفرقهم، وتشاخصهم ومعهم أسباب القوة والوحدة بما لا يوجد لدى غيرهم.
فالإيمان بعبقيرة واحدة ، يستدعي حتماً توحيد قلوب المؤمنين. ووحدة العبادة
تقتضى وحدة المجتمع ، كما أن أساس العلاقة بين المسلمين هي الصفا
والعفو.

كما أنه من وحدة المصلحة ينشأ الترابط بين أفراد المجتمع ترابطاً لا
يتخلل ولا تنقطع عراه. إنهم ركاب سفينة واحدة ، ناجية أو غارقة ، فكيف
يمكن أن يتفصل بعضهم عن بعض ، أو يتجاهل بعضهم وجود بعض ؟ هذا
بالإضافة إلى ترابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله. ترابط
التعاون على البر والتقوى ، وليس ترابط التعاون على الإثم والعدوان^(١).

وإن كنت تريد أن تعادى أحداً فعاد ما في قلبك من العداوة ، واجتهد في
إطفاء نارها واستئصال شأفتها ، وحاول أيها الأخ المسلم أن تعادى نفسك
التي بين جنبيك ، بمقاومة هواها وإن أردت أن تغلب خصمك ، فادفع السيئة
بالحسنة. قال تعالى : وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم^(٢).

صدق الله العظيم

وفى حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، حدثنا خالد بن يحيى
قال : حدثنا سفيان عن أبي بردة بن عبد الله بن أبي بردة ، عن جده ، عن
أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وشبك صلى الله عليه وسلم أصابعه)^(٣). صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحرص في المجتمع له الأثر السيئ في

(١) محمد قطب. قياسات من الرسول. القاهرة ، دار الشروق ، ط١ ، ١٩٨٩ ، ص ١٦٩.

(٢) سورة التغابن : آية ١٤

(٣) أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. القاهرة ، توثيق

وتحقيق عبد الرؤوف سعد ، دار الفد العربي ، مج ٢ ، ط ١ ، ١٩٩٢ ، ص ٢٢٤.

تفككه وضياعه ، والزكاة والصدقات تؤدي دورها في التكافل الاجتماعي، مما يؤدي إلى تقوية العلاقات بين أفراد المجتمع ، وسيادة الأمن والطمأنينة فيه . كما حذر بديع الزمان من الغيبة والنميمة ، لقول الله عز وجل { ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه.. } (١)

(٢) إظهار الحق ، والسعي لإعادة الخلافة ، والشورى الإسلامية :

فاظهار الحق عن طريق النقاش المثمر ، أما المسائل التي تفتح مجالاً للجدال والخلاف فالأولى تركها ، خاصة إذا كان النقاش بحضور العوام ، وأهل الضلالة ، حتى لا يكون ذلك مثار فتنة في المجتمع. كما ينبغي الاهتمام بالمحكم المنقح عليه.

وكان بديع الزمان النورسي في دعوته ، يسعى بكل ما أوتى من قوة لإعادة الخلافة الإسلامية بقيادة آل عثمان ، ورفض بشدة المحاولات التي ظهرت لإنشاء دولة على أسس عرقية (٢).

والناظر في دعوة سعيد النورسي ، يرى أنه بذل ما في وسعه منذ شبابه للوصول إلى هدفه المنشود في الدعوة ، واستعمل أفضل الوسائل مع خاصة الناس وعامتهم ، وفي الجرائد والمجلات ، ومن خلال المؤتمرات والندوات، والمحاورات والمناظرات ، وبالمراسلات مع الآخرين..

إعذاراً إلى الله تعالى في التبليغ ، وإنقاذاً لإيمان الأمة التركية.

ثالثاً : الوسائل المختلفة في دعوة بديع الزمان سعيد النورسي :

كان سعيد النورسي يرى أن الأسلوب الذي يجب اتباعه في الدعوة إلى الله تعالى ينبغي أن يكون فطرياً "طبيعياً" ، لا كلفة فيه ، ولا تصنع، حتى لا يضيع المقصود من الكلام ، كما ينبغي أن يرصع بفقون البلاغة.. لذا رأينا الأسلوب اللين الرقيق جداً ، حتى تشعر أنه همسات قلب أو أنفاس رقيقة حية ، كما رأينا الأسلوب العلمي الدقيق ، والعبارات المنطقية الفطرية ، الداعية إلى إعمال الفكر والعقل معاً. ويظهر ذلك من خلال:

(١) سورة الحجرات : آية ١٢.

(٢) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ١٥٦.

(١) النصح والإرشاد لطلابه " طلاب النور " ، بأن أوصاهم كى يحافظوا على أخوتهم ودعوتهم ، كما تعهد النورسى طالبات النور ، فأرشدهن بحسن الإقبال على الله تعالى ، ورعاية الأولاد والبيوت ، وحسن العشرة الزوجية ، والحفاظ على عفتهن وطهارتهن النابعة من الدين الحنيف ، كما دعا طلابه بالتجاوز عن أساءوا إليهم وآذوهم ، واحتساب ذلك عند الله تعالى ما دام عملهم هو ابتغاء مرضات الله .

كما بعث سعيد النورسى برسالة إلى رئيس الشؤون الدينية " أحمد حمدى " الذى أبدى تعاطفاً جياشاً مع الدعوة وطلابها ، فحياه على ذلك وشكر له صنيعه ، مما يدل على احترام العلماء وتوقيرهم ، وعدم فتح باب الجدل والمخاصمة مع المعاندين للدعوة منهم^(١) .

كما أرسل برسائل عديدة إلى السياسيين ورجال الحكم والإدارة ، يقوم فيها بواجب النصح تجاههم ، ويرشدهم إلى اتباع الشرع والاسترشاد بالإسلام الذى فيه الحل الصحيح لمشاكل الأمة . وقد بين النورسى أن إدامة الحب والوئام بين الحاكم والمحكوم إنما يكون باتباع شرع الله عز وجل .
فقد بعث برسالة إلى سكرتير حزب الشعب الجمهورى " حلمى أوران " أرشده فيها إلى موالة المسلمين بدلاً من موالة الغرب على حساب أهل شعبه وأمتة .

كما استغل النورسى المناسبات العامة أفضل استغلال لنشر دعوته بين الخاصة والعامة من الناس ، التى لقيت قبولاً عندهم ؛ لأنه كان يتحلى بالعمل والسلوك معاً حتى يكون تأثيره أوقع بين الناس^(٢) .

(٢) اللقاءات الجماهيرية من خلال المؤتمرات والندوات ؛ وذلك عن طريق الخطابة ، فهى وسيلة فاعلة ، ذات تأثير كبير فى حياة المسلمين ، لا سيما إذا كانت هادفة ومركزة ، وكانت من القلب ؛ فالذى يخرج من القلب يدخل إلى القلب !

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . الملاحق ، ص ٣٢٦ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . المكتوبات ، ص ٩٦-٩٧ .

والخطابة مظهر من مظاهر الحياة المتحركة ؛ الحياة التى تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب ، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل ، ومن قطر إلى قطر .. وهكذا كانت حياة النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، والتابعين من بعدهم إلى يوم الدين.

وكان يتخلل هذه اللقاءات المحاورات والمناظرات ، لأنها ضرورية، خاصة عندما يكثُر الغلط على الإسلام والمسلمين. وقد حدث ذلك عام ١٩١٠م ، حيث تجول الأستاذ النورسى بين العشائر الكردية والتركية فى شرقى الأناضول ليجيب عن أسئلتهم ، واستفساراتهم حول الحرية والمشروعية الثانية..^(١).

وهذه الوسيلة فاعلة فى إدخال الأنصار الجدد ، الذين يعملون لصالح الدعوة. كما أن الدعوة الفردية وسيلة قوية أخرى من وسائل الدعوة إلى الله تعالى.

(٣) الدعوة الفردية : وهذا النوع من الدعوة له تأثيره الكبير فى المدعو ، حيث الحوار الهادىء البناء ، وتكون المتابعة والتدرج بعد ذلك. وقد تاب على يد سعيد النورسى الكثير والكثير خاصة داخل السجون والمعتقلات حتى أن السجن كان يتحول بعد فترة من وضعه فيه إلى مدرسة للعقيدة والدعوة ، وخارجها. فبينما كان النورسى جالساً على حائط قلعة "قسطمونى" متأملاً ، مر عليه شخص سكير يترنح فى مشيته ، سالكاً الطريق المؤدى إلى بيوت الدعارة التى أصبحت عننية فى ذلك الوقت، فنصحه ألا يذهب هناك ! ، وعليه أن يرجع ويغتسل ، ثم يتوب توبة نصوحاً. كما نصحه بالبداة فى الصلاة.

ومن فوائد الدعوة الفردية ما يلى :

أ- الدعوة هى أساس بناء الشخصية المسلمة الجامعة لكل خصال الخير ، وبالدعوة يكون التبصير بالعيوب فيسهل العلاج^(٢).

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. صيقل الإسلام ، ص ٣٩٢ ، ص ٤١٨.

(٢) د. السيد محمد نوح. فقه الدعوة الفردية فى المنهج الإسلامى. المنصورة ، دار الوفاء ، ط ٣ ، ١٩٩٣ ، ص ٣١.

- ب- استمطار العون والمدد من الله تعالى.
- ج- تنبيه الغافلين ، لا سيما المسلمين.
- د- إقامة الحجة والبينة على المصّرّين والمعاندين.
- هـ - تكوين الرأى العام السليم ، والحر الذى له دور كبير فى حراسة وحماية آداب الأمة وفضائلها وأخلاقها وحقوقها.
- و - بالدعوة نفوز غداً بالجنة.
- ز - بدعوة غير المسلمين للإسلام ، تتحقق عالمية دين الإسلام.
- وقد دعا سعيد النورسى اليابانيين إلى الإسلام ، كما دعا اليهودى " عما نويل قرّة صو " إلى الإسلام - أيضاً - ، كما دعا بطريرك الروم " أشنوكراس " .
- كما راسل النورسى الهيئات والأشخاص من غير المسلمين ، لتعريفهم بالإسلام ، وفتح باب الحوار معهم ، لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين.
- من هنا يتضح أن أساليب الدعوة إلى الله تعالى ووسائلها تتناول كل مناشط الحياة ، ذلك لأن المسلم بمقدوره أن يتخذ من كل عمل يؤديه ، ومن كل نشاط يقوم به سبيلاً إلى دعوة الناس إلى الله تعالى ، وهدايتهم إلى صراطه المستقيم.

مدرسة وتلامذة النورسى

تُعد " بارالا " .. المدينة التي يمكن أن نطلق عليها بحق " المدرسة النورية" (*) " الأولى ، التي شح منها نور رسائل النور إلى كل مكان في تركيا، وأبناها البار " سليمان " الذي كسر الطوق المحيط بالأستاذ النورسى ليخترق الحصار ، ويفترّب من الشيخ في ساعة العسرة ، ويدخل معه داره ويشعل له سراج غرفته ، ليصبح بعد ذلك من خلّص تلامذته ، ويظل السيد "سليمان" بعد ذلك في معية الشيخ ، يرعى شؤونه ، ويتلمذ على يديه طيلة ثماني سنوات في المدينة الخالدة " بارالا " (١).

أولاً : مدرسة بديع الزمان سعيد النورسى :

لا بد لكل مدرسة من المدارس من منهج معين ، والمنهج لا بد أن يكون وراءه هدف معين ولتحقيق هذا الهدف لا بد من وسائل معينة، وسوف نتناول ذلك بشيء من التفصيل من خلال المدرسة النورية :

(١) منهج مدرسة بديع الزمان سعيد النورسى : إن ركيزة أى دعوة تتمثل في العناصر التي تحملها ، والتي تربت على الإيمان الصادق بها، واعتناقها ، والتحرك بها للأخريين. وهذا يحتاج إلى :

أ- تربية الكوادر : بقدر ما يكون عمق التربية ونضجها لأفراد الصف، بقدر ما يكون التمكين للدعوة ، وانتشارها تحت أى ظرف من الظروف.

ولقد فطن الأستاذ النورسى - رحمه الله - إلى هذا ، فكان من منهجه الذى سلكه في دعوته بذل الجهد في تكوين جيل صالح ، يكون رداء له في الدعوة إلى الله تعالى في أثناء حياته ويستمر بها بعد مماته. والعبرة عنده بالكيف لا بالكم.

(*) ما زالت هذه المدرسة قائمة إلى اليوم بين أفراد طلبة النور مكونة ولو من فرد واحد يتدارس رسائل النور لينتشرها بين أقرانه ، وأقاربه.

(١) أديب إبراهيم الدباغ، سعيد النورسى رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان، ص ٧٠.

فقد كان يتعهد من اصطفاهم من التلاميذ ، ليصقلهم من الداخل بالإيمان حتى يكونوا رجال عقيدة ثابتة ، لا يتزلزل أصحابها أمام الشدائد أياً كان وضعها ، وكان هو القدوة في ذلك دائماً.

وقد استخدم النورسي - رحمه الله - وسائل عدة في تربية طلابه :

* توجيه الخطاب إلى العقل والقلب والروح معاً.

* الدعوة إلى التعلم من كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من خلال رسائل النور ، لأنها ملك القرآن الكريم ومشدودة به.

* ضرب الأمثال لتقريب المعاني والألفاظ.

* تقوية الأخلاق للمتربي ، وبدونها تضيع الأمم وتزول.

* الاهتمام بالتربية الخاصة للنساء. فقد ظهر ذلك جلياً في أثناء

استنساخهن لرسائل النور ونشرها بين صفوف أخواتهن وبيوتهن.

* تربية طلاب يتحلون بالإخلاص الكامل، والتفاني في العمل، والارتباط الممتين بالدعوة وأهلها^(١).

* الدعوة إلى عدم الارتباط به شخصياً ، حيث إنه إنسان عاجز ، وله عيوب وتقصيرات.

* الدعوة إلى الوحدة ، وإلى الاتحاد دائماً ، وتجنب الأمور التي تعيق ذلك ؛ فكان لا يشغل نفسه بأمور فرعية غير مهمة ، وكان يجاهد لتحويل الإيمان من إيمان تقليدي إلى إيمان حقيقي مرتكز على أسس دينية، وعلمية^(٢).

* التخصص في أداء الواجب. فالأمور الاجتماعية وقراءة الجرائد

أصبحت على سبيل المثال من اختصاص طالب النور " زبير " والاتصال مع

المسؤولين في الدولة ، وأخذ الرسائل إليهم من اختصاص طالب النور الآخر

" صونكور"^(٣). وهكذا إلا أننا نرى أن أسلوب التربية الذي يتبعه إخواننا في

مدرسة النور لا يأخذ حظه بالقدر الكافي الآن ، بمعنى أن أسلوب التربية

يمر بمراحل نظرية وأخرى عملية تحتاج إلى التنظيم السليم والقيادة الواعية.

(١) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٣٢٣.

(٢) أسيد إحسان قاسم ، مرجع سابق ، ص ٤٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٥.

إلا أن أبناء مدرسة النور لهم الفضل من الله تعالى في عملية السيق للعمل الإسلامي في تركيا في وقت كان العمل للإسلام من أشد الجرائم التي يعاقب عليها القانون.. فسجن الآلاف منهم مددا متراوحة، والبعض الآخر وقف وقفة الحق أمام القضاء الجائر ، والآلاف منهم ما زالوا أمناء على العهد.

ب - العلوم الحديثة ، والعلوم الدينية : كانت مدرسة سعيد النورسي تُدرّس العلوم القرآنية وكانت تمد الناس بالأفكار التي تزيد من إيمانهم، وتعمق عقيدتهم ، وتضع بين أيديهم السلاح الفكري الذي يستطيعون به تنفيذ ما بيّنه المارقون والجاحدون من أفكار تشككهم في إيمانهم وعقيدتهم. فكان النورسي يدلل على وجود الله تعالى بالعلوم الطبية نفسها ، والتي تقول : إن وراء كل تركيب دوائي كيميائياً ، وصيدلياً حائقاً، أفلا تقول - نفس هذه العلوم - أن وراء كيمياء الحياة المبتوثة في كل مخلوق على هذه الأرض خالقاً حكيماً مديراً - خلق كل شيء بميزان وصاغ كل مخلوق ضمن معادلة الحياة وممارسة عمله ووظيفته.. ألا ترون أن الذي ينكر خالق كيمياء الحياة جدير به أن ينكر نفسه..؟! (١)

والذي يعمل في ساحة الفلسفة والعلوم العقلية دون أن يفتح نوافذ نفسه على عالم الروح والقلب لن يكون إلا فيروساً ينقل الأمراض ، ولن يكون هو نفسه إلا علامة من علامات المرض والسقم.

أذلك نرى من الطبيعي ألا يعترض طلاب المدارس الحديثة على رسائل النور ، بل ينبغي أن ينضوا تحت لوائها ، لأنها تخدم الحياة الاجتماعية، وتعين على بعث الأخلاق والمثل الإنسانية الراقية ، وتمهد الطريق. للرقى الصناعي (٢).

ولقد دعا النورسي أصحاب الاتجاهات الأخرى القريبين من دائرة رسائل النور إلى مدرسة النور " أرباب العلم ، وأهل الطريقة ، وأصحاب المشارب الصوفية " ، ليمدوها بما لديهم من أسماط سابق.

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. الشعاعات ، ص ٢٥٧.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي. الملاحق ، ص ٢٨٦.

ومثال ذلك رسالته إلى طبيب أشتاق كثيراً إلى رسائل النور من جراء صحوة روحية انبعثت فيه لكثرة مطالعته لها ، فدعا له فيها أن تكون صحوته الروحية هذه بلسماً شافياً له ، ومثالاً حياً وقُدوة طيبة أمام أنظار الأطباء الآخرين ، ودواء لمرضهم ، وهذا مكسب عظيم للدعوة إلى الله تعالى^(١).

كما جذبت مجموعة " رسائل النور " للنورسي العلماء والمعلمين للمدارس الشرعية كي يوالوا رسائل النور باعتزاز وشوق. فلو قطع لسان المؤمن ، ولم يعد قادراً على النطق ، وشلت يده فلم تعد قادرة على الكتابة، لكان في نبضات قلبه وحدها ما يكفي لإسماع صوته ، وتبليغ رسالته. وقد بدأ تيار الإيمان المحاصر في تركيا يفعل الفعل نفسه ، فيكسر الطوق ويحطم الحصار المضروب حوله من قبل أعدائه وخصومه، ويستقطب الشباب ، ويكسب الأنصار من مختلف الطبقات والأعمار ، ليدخلوا إلى المدرسة النورية أفواجا ، ليتلمذوا وليتربوا على المعاني السامية لرسائل النور ، وليحققوا الهدف المنشود لمنهج المدرسة النورية. ولقد أنشأ طلبة النور المتخصصون مكتبة علمية ضخمة ، وفي شتى المجالات العلمية الحديثة ، والتي تهدف في محصلتها النهائية إلى البرهنة على أن الحقائق العلمية الثابتة لا يمكن أن تناقض الحقائق الدينية الثابتة. وأن النواميس الكونية المادية ، والنواتج الدينية تتبعان من منبع واحد ، وتصدران عن مصدر واحد وهو الله الواحد القهار. وقد تمكن أساتذة أكفاء تشرّبوا مفاهيم دعوة الأستاذ النورسي ووعوها وعياً كاملاً ، فتمكنوا من صياغة العلم الحديث بأسلوب إيماني بديع ، مراعين فيها إثارة التأمل والتفكير عند القارئ ، مع عرض لأحدث المكتشفات العلمية^(٢).

(٢) هدف مدرسة بديع الزمان سعيد النورسي : إن طلاب النور يريدون أن يبيثوا في المسلمين الحالة الروحية التي يتمتع بها الجندي المتوجه إلى الجهاد طالباً الشهادة. وحركة النور أقرب التيارات الفكرية عموماً إلى

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الملاحق ، ص ٤٦ .

(٢) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٢٦٢ .

"السلفية" ، لأن طلاب النور يعتقدون وصول الإسلام إلى هويته ومجده التليد بالرجوع إلى عصر النبوة الخالدة^(١). لكن فيها صوفية أيضاً.

والله وحده قادر على تحقيق ما يريد من أهداف ومقاصد من غير اللجوء إلى الوسائل.. والإنسان العابد هو الغاية ، ومن أجله خلقت السماوات والأرض ، ويوم القيامة - يوم يختفى الإنسان العابد وتقوم قيامته - يختل الكون بسبب غياب نور الرسالة المحمدية^(٢).

لقد كان الإيمان الذي يحمله سعيد النورسي منهج حياة له ، يعيشه ويحيا به ، ويعالج مفردات يومياته من خلاله وعلى ضوءه ، فهو الأسس الذي ينهار الوجود من دونه ، وتظلم الحياة في غيابه.

وكان لعنصر الزمن أهمية خاصة ، حيث الأعمار قصيرة إلى عمر الدنيا ، والأنفاس معدودة ومحسوبة ، ومقدرة سلفاً ، وكل نفس هو جزء من عمرنا يغادرنا شاهداً لنا أو علينا. من هنا جاء إحساس النورسي بالزمن وشعوره الحاد بخطورة كل لحظة من لمحاته ، أو لحظة من لحظاته ، لأن جزءاً عزيزاً من كياناتنا ينسلخ مغادراً وجودنا.. فأياك والتعلق بما يمكن أن تفارقه أو يفارقك وإياك والتشبث بالزائلات الفانيات من الأشياء. بل تعلق بالخالد تخلد ، وأحب الحي القيوم تحيا وتشوق إلى الرحمن الرحيم ترحم. قال تعالى { .. ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون }^(٣). صدق الله العظيم

ومن أهداف المدرسة النورية الانشغال بالأصول والكليات دون الفروع والجزئيات ، وبالقضايا المصيرية دون المعارك الجانبية ، والانتقال من المختلف فيه إلى المتفق عليه ، ومن الأحلام المتخيلة إلى الواقع الممكن ، ومن التعالى على المجتمع إلى التغلغل فيه ، مع الاهتمام بتربية الفرد لتغيير المجتمع من الداخل لكي يعود المجتمع إلى الإسلام الصحيح ؛ إسلام القرآن ، والسنة المطهرة إسلام اليسر لا العسر ، إسلام التبشير لا التنفير ، إسلام الرفق لا العنف ، إسلام التعارف لا التناكر ، والجوهر لا

(١) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٦٨.

(٢) أديب إبراهيم الدباغ ، مرجع سابق ، ص ١٥٧.

(٣) سورة آل عمران : آية ١٠٢.

الشكل.. إسلام يقوم على عقيدة روحها العدل ، ورابطة روحها الإخاء
وثمره ذلك كله حضارة روحها التوازن والتكامل.

ولا يأتي هذا كله إلا بحشد الطاقات ، والوقوف صفاً واحداً فى مواجهة
جيوش العلمانيين والملحدين فى الداخل والخارج ، بدلاً من الفرقة والتشردم
الذى يبدد الطاقات ويبعث الجهود ويضيع الأوقات سدى. وقد حض الأستاذ
النورسى طلابه على الوحدة والتعاون ، والتآخى فيما بينهم ، وحملهم
مسئولية التقصير فى ذلك ، مظهراً لهم أن هذا الزمان الذى نعيش فيه هو
زمان الجماعة لا الفرد. قال تعالى " ولا تتزاعوا فتفسلوا وتذهب ريحكم "(١).
صدق الله العظيم

كما بين الأستاذ سعيد النورسى لتلامذته أن الإخلاص فى العمل أساس
الاجتماع ، وسر النجاح ، وحذرهم من موانع الإخلاص
كالرياء، والسمعة، والأناية(٢).

ومن الأهداف السامية استغلال الوقت فى الدعوة إلى الله تعالى ، وفى
الأوقات التى كان يغتتمها طلاب النور فرصة للانسلال من المشاغل
الدنيوية، للإسراع إلى رسائل النور لأخذ الغذاء الروحى والمعنوى ، ثم تبليغ
ذلك إلى الناس " دعوة فردية " فى بعض الأحيان ، ودعوة عامة الناس فى
أحيان أخرى. حيث تقرأ الرسائل على جماعات شتى ، ويكون منهم أحياناً
علماء ، إلا أن الجميع يبدي إعجابه الشديد ، والتقدير العظيم لها.

ومن الأهداف - أيضاً - ، عدم التأثر بالغير ، فقد كان مع الأستاذ
النورسى فى السجن " شيخ عظيم " ، ومرشد مرموق ، ذو جاذبية ، ومن
أولياء الطريقة النقشبندية - رحمه الله - جالس ما يقرب من سنتين من
طلاب النور طوال أربعة أشهر ، وحاورهم محاورات مغرية كى يجلبهم إلى
الطريقة التى يتبعها ، إلا أنه لم يتمكن إلا على ضم واحد منهم إلى

(١) سورة الأنفال : آية ٤٦.

(٢) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٣٠٧.

صفه، وبصورة مؤقتة. أما الباقر فقد ظلوا في غنى عنه ، إذ كفتهم الخدمة
الإيمانية الرفيعة التي تقدمها رسائل النور ، واطمأنوا بها^(١).

ولم يكن لرسائل النور دائرة واحدة ، بل لها طبقات كالدوائر المتداخلة.
فهناك طبقة الأركان والخواص.. فمن لم يكن أهلاً للدخول في طبقة من
الطبقات هذه لا يطرد خارج الدائرة بشرط عدم موالاته لتيار يخالف رسائل
النور. والذي يعمل بالبدعة يمكن أن يكون صديقاً. ولهذا دعا الأستاذ طلابه
لعدم إخراج أحد من جراء خطأ طفيف خارج الدائرة لئلا يلحق بصف
الأعداء ولكن لا يشارك هؤلاء نفر في التدابير الدقيقة التي يتخذها أركان
رسائل النور ومالكوها^(٢).

ولبلوغ الهدف من خلال منهج معين لا بد من وسائل معينة.

(٣) وسائل بديع الزمان في مدرسته : لقد كان علم المتكلمين السابقين
للنورسي من الكتب ، أما هو فعلمه بدأ من الكتب ، وتجاوزه إلى الكون
كله، ثم إلى القرآن الكريم^(٣). ولم يقبل النورسي الانتساب لمدرسة إسلامية
فكرية محددة بالزمان والمكان لعدم إيمانه بإحيائها في عصرنا الحديث حتى
لا تمزق المسلمين من جديد.

ولعل ظروف مجتمع النورسي القاسية قد دفعته إلى تجديد علم الكلام
تجديداً واضح المعالم والأركان ، بحيث أوجد علماً قرانياً جديداً " علم
الكلام " ، استطاع من خلاله نقل علم التوحيد من نظريات فكرية مجردة
يفهمها الخاصة إيماناً عقلياً مجرداً ، إلى سلوك عملي في الحياة ، يفعل به
العقل ، وتثور العاطفة ، ويتحول إلى ممارسة يومية.

لذلك فإن مجرد إيمان المسلمين بالله تعالى لم ينقذ سلوكهم في العصور
الأخيرة من كارثة البعد والشروء التي أدت إلى انحدارهم وسقوطهم ، وفقدان
حقائق التوحيد من حياتهم.

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. الملاحق ، ص ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٦.

(٣) د. محسن محمد عبد الحميد. مرجع سابق ، ص ٩٢.

والناظر إلى حديث الأستاذ النورسي يجده يتكلم حسب المستويات ،سواء أكان المستمع من عوام الناس أو من خواصهم. فكان يزوره أحيانا أهل القرى أو الرعاة ، فيتكلم معهم بنفس لغتهم ومستواهم ، وبنفس منكسرة متواضعة. بينما إذا تكلم مع البروفسور تكلم عن علم الفلك ، أو عن مساحة الكرة الأرضية^(١).

وفى الشرح لقضية دينية مثلاً ، يبدأ النورسي من العقيدة ، ويتدرج بمستمعيه وقارئيه إلى الكون ، ثم إلى السنة النبوية المطهرة ، ثم إلى الأدلة العقلية أو النقلية ، ثم إلى العقيدة مرة أخرى وهكذا حتى يصل إلى ما يريد أن يوضحه ويبيّنه. وعندما يأتي طالب حديث إلى مجلس الأستاذ النورسي، كان يهتم به ويلطفه ، ولا يكلفه كثيراً ، ويبدأ معه فى دروس الأخوة ، والإخلاص لله تعالى ، ثم يتدرج معه فى الحديث عن الفداء، والوفاء..

وكان من عادة الأستاذ تكريم طلابه بعد دروس الصباح بأى شىء متيسر ، كالتفاح أو البقالوة أو الزبيب ، فيسميه " حلوى الدرس " . وعندما يأتي دور " حلوى الدرس " يسحب القرعة بينهم ، وكان يعتبر نفسه كأى طالب من طلابه. ويبدأ بالأكل أولاً من وقعت عليه القرعة.

ومع العلم الغزير الذى كان عند الأستاذ النورسي - بفضل من الله - إلا أنه كان يعترف دائماً أنه ليس معصوماً من الخطأ ، بل من الخطأ الاعتقاد أنه لا يخطئ. وكان يُسر إذا نُبّه لأى خطأ عنده ، حيث لا يلتفت إلى أمور أخرى بجانب الحق ، وكان مستعداً لقبول أية حقيقة كانت ليضعها على العين والرأس ، ولا يناقشها حتى وإن كانت مخالفة لأنانية النفس الأمارة بالسوء^(٢)

لذلك رأينا فى الأستاذ النورسي " صدق المعلم " ، وكان طلبية النور يصدقون كل ما يقوله أستاذهم النورسي ، لأنهم شاهدوا كل ما قاله فى أنفسهم ، وفى أصدقائهم فعلاً.

(١) أسيد إحسان قاسم ، مرجع سابق ، ص ٧٨.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي. الملاحق ، ص ٦٢.

ولقد تعرض عالم جليل لرسائل النور بالضرر ، حيث حاول التعرض لها بالتهوين من شخص النورسى بحجة تركه لسنة نبوية " إطلاق اللحية"، وكان رد النورسى على هذا التعرض ، بأن أخطاه وتقصيراته الشخصية لا تسرى إلى الرسائل ، كما وجه خطابه إلى تلامذته بعدم مناقشة ومناظرة ذلك العالم ، ولا أمثاله حتى ولو حدث تعدّ وتجاوز على أستاذهم، وعدم الدعاء عليه. إذ إن ذلك المتجاوز أو المعارض أيا كان ، هو أخوهم من حيث الإيمان فهو مؤمن بالله ورسوله والله حسيبه.

وكان الأستاذ النورسى دائماً وأبداً ما يطرق باب الفطرة في الإنسان فهو مفتوح دائماً. وعند الدخول من هذا الباب بالإسلام ، سوف تفتح الأبواب المسدودة الأخرى بإذن الله تعالى.. شرط عدم الاستعجال فى الأمور كلها، والأخذ بالإخلاص فى العمل والتمسك به ، فسينشرح بإذن الله قلب الشخص المقابل للإسلام. أما إذا ما بنى الإنسان عمله على الاستعجال، ومناقشة الأمور الجانبية ، واتهام الشخص المقابل ، فهذا يعنى أن التوجه سيكون إلى الأبواب المسدودة فيتسبب فى غلق الباب المفتوح^(١).

وكان المسجد خير وسيلة فى بلوغ الهدف من خلال المنهج عند الأستاذ النورسى ، وذلك لأهمية المسجد ودوره البارز فى حياة الأمة الإسلامية الواحدة. وقد وضع الأستاذ حجر الأساس لجامع توغاي فى " إسبارطة " وحينما يزوره الأصدقاء ، كان يكلمهم ويأخذ معهم بأطراف الحديث وأول ما يبادرهم : هل من مسجد فى قريبتكم ؟ وأى درس يدرسه أئمة المساجد ؟ فإذا أجابه الزائر بأنه لا يوجد لديهم مسجد ، ولا معلم يعلمهم ، كان يتألم أشد الألم ، ويحزن كثيراً بل ويعجب من أمرهم ! كيف يعيشون فى مكان ليس به مسجد ولا مرشد ؟ ، لكن الباحث لم ير رسالة المسجد واضحة المعالم كما كانت فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، والتابعين من بعدهم عند الأستاذ النورسى ، فمن المسجد تعدد رايات الجهاد ، وتقرى النفوس ، وتحل المشاكل ، وتوضع الخطط ، ويشهر الزواج.. هذا بالإضافة

(١) أسيد إحسان قاسم ، مرجع سابق ، ص ٩٢

إلى أنواع العبادات من صلاة وقيام ليل ، وتهجد... بالإضافة إلى ذلك تقديم الخدمات المختلفة من خلال المسجد.

ومن الوسائل الفاعلة ، بل ولها الدور الأساسى فى البلوغ إلى الهدف المرجو " طلبية النور ". ويكون تصنيفهم إلى " صديق " أو " أخ " أو " طالب " ، وخاصية الصديق وشرطه أن يكون مؤيداً تأييداً جاداً فى نشر رسائل النور ، وأن لا يميل إلى الباطل والبدع والضلالة قلباً وقالباً ، مع سعيه إلى خدمة نفسه. وخاصية الأخ وشرطه ، أن يكون ساعياً سعيًا حقيقياً ، وجاداً لنشر رسائل النور ، فضلاً عن أدائه للصلوات الخمس ، واجتنابه للكبائر السبع. أما خاصية الطالب وشرطه ، أن يعدد رسائل النور وكأنها ملكه، ويعتبر نشر تلك الأنوار والعمل لها أجل وظيفه لحياته^(١).

وكان لدى طلاب النور خاصية السمع والطاعة العالية ، حيث دعاهم الأستاذ النورسى إلى عدم الدخول مع الآخرين فى معارك كلامية جدلية لا تعود على الدعوة بنفع. كما دعاهم إلى عدم فتح باب النقاش مع العلماء ، بل يجب التعامل معهم بالحسنى ، والمصالحة على قدر الإمكان^(٢).

كما كان النورسى - رحمه الله - لا يفرق بين طلابه ؛ فإن كان ابن مصطفى كمال جالساً فى درس من دروس النور ، مع ابن أخيه " عبد المجيد " ، لا يميز بينهم أبداً^(٣).

وكان دأب الأستاذ دائماً أن يفتح باباً للعقل والتفكير لدى طلابه ، فلا يسلب الإرادة منهم كما كان الأستاذ يتجنب كثيراً أحاديث الكرامات التى يظهرها الله على يديه ، وكان يصرف عنها الأنظار إلى أمور أخرى ، ويبيّن للناس أن هذه الكرامات هى من بركات رسائل النور وليست من اجتهاداته الشخصية ولم يكن تلامذته نفعيين ، ولا يعيشون عالية على الآخرين ، بل كانوا يكسبون قوت يومهم بعرق جبينهم. وكانوا لا يهتمون بشيء يقعدهم

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. المكتوبات ، ص ٤٤٢.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص ص ٢٨١-٢٨٢.

(٣) أسيد إجمان قاسم ، مرجع سابق ، ص ٧٧.

عن دعوة الله تعالى المقدسة ، وكانوا صادقين مع الله ثم مع أنفسهم ثابتين على الحق لا يخافون في الله لومة لائم.

وكان الأستاذ النورسى يسأل نفسه سؤالاً ، لماذا يتجول السكيريون والمخمورون ، ولاعبو القمار بكل راحة واطمئنان ، بينما يتعرض خدام الإيمان والقرآن الكريم كبديع الزمان للسجن بين الحين والحين ؟ مما كان له الأثر في انضمام طلاب جدد إلى دعوة الله تعالى. وقد يكون طالب النور أمياً ، وفي هذه الحالة عليه أن يعتمد على حاسة السمع ، وأن يعي ما يسمعه حتى يكون قائداً لغيره في تبليغ ما سمعه ووعاه.

والقائد لا تجوز عليه الرخصة كما تجوز للآخرين ، لأن نهاية القائد، هي نهاية الدعوة التي يؤمن بها. وكم من ضعيف هو في ذاته أقوى الأقوياء ؛ فالرضيع في ضعفه يحمل من القوة ما يجعله قادراً على تفجير ينباع الرحمة والحنان في صدر أمه ؟ وكم من القوة التي ينطوى عليها دلال الشبل عندما تأتيه أمه بالطعام بينما هي تتضور جوعاً ؟

وكم من جبار تهاوى سريعاً وهو في أوج جبروته وعظمته ، وكم من حضارات انهارت واندثرت وهي في قمة مجدها وحنفوان قوتها.. وبلال في ضعفه رضى الله عنه ، وفقره وعريه وهو ملقى على رمال الصحراء اللاهبة في رمضان مكة ، تدمى ظهره الشياط ، وتأكّل ألسنة الشمس اللاذعة من لحمه ، وبالرغم من هذا ، ألم يكن أقوى من كل أعدائه الأقوياء ؟ ، لأنه بـ 'أحد.. أحد..' كان يهز ضمير الكون ، ويرج قلب الوجود ، ففتسارع إليه قوى الأرض والسماء بالمساندة والتأييد والتثبيت^(١).

وكما يكون طلبية النور من الرجال ، يكونون - أيضاً - من عنصر النساء ، فنساء قرية " ساو " عرفن رسائل النور وقدرنها حق قدرها ، وقد كان النورسى منذ مدة ينتظر أن تفهم ماهية رسائل النور في عالم النساء^(٢).
وإنه لجميل تلك المعاونة المعنوية التي تقدمها سيدات المدرسة النورية ، وطلباتها بأورادهن القرآنية ، وأذكارهن.. والخاص من طلاب

(١) أديب إبراهيم الدباغ ، مرجع سابق ، ص ١٤٤-١٤٥.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص ١٣٨-١٣٩.

النور لا يمكنه الزواج إن كان فيه ما يضر العمل لرسائل النور ، ولكن لو علم أنه يستطيع أن يجعل صاحبه معينة له في العمل - كما هو لدى الأخوات الخواص - فله أن يتزوج.

وكثيراً ما تعرضت فتيات النور للسجن والتكيل عندما يظهر للسلطات أنهن يسهرن الليلي الطوال ، وهن يستسخن رسائل النور ، ثم يوز عنها في صفوف المدارس أو في صناديق البريد^(١).

تلامذة مدرسة النورسي :

هناك نماذج رائعة من طلبة النور يسعدنا أن نذكر بعضاً منها :

١- الحافظ علي : وهو من أوائل الذين تتلمذوا على يد الأستاذ النورسي وكان دعواً في الاستساخ لرسائل النور ، لما أنعم الله عليه من جودة الخط ، ومن علو الهمة. يرد اسمه كثيراً في الرسائل. استشهد في سجن " دنيزلي " سنة ١٩٤٤م - رحمه الله رحمة واسعة - وهو لا يزال يقرأ ويكتب رسالة " الثمرة " بكمال الشوق.

٢- الأخ طاهري : والذي أطلق عليه الأستاذ النورسي اسم "الرائد"، حقاً لقد كان يتصف بخصال وشمائل قلما تجدها في غيره. فقد كان يصوم الأشهر الثلاثة " رجب ، شعبان ، رمضان " طوال ثلاثين سنة من عمره. وكان يقيم الليل ، ويصلي التهجد ثم يوتر. لقد كان كنزاً لطلاب النور ، حيث كان في طاعة تامة لأوامر الأستاذ النورسي ، يطبقها بحذافيرها وقد كان يخرج محفظته من جيبه كلما أراد أن يدخل في صلاة ، لاحتواء النقود على صورة إنسان ، فنهاه أستاذه عن ذلك مخافة إحداث فتنة بين صفوف المسلمين.

٣- محمد فرنجي ، مصطفى سنكور : ولد محمد فرنجي عام ١٩٢٨م ، وكان يعمل بطبع الكتب باللغة العربية ، والتركية ، وما زال يعمل في نشر الكتب ، حيث إنه ما زال على قيد الحياة. أما مصطفى سنكور ، فقد

(١) مصطفى محمد ، مرجع سابق ، ص ١٣٢.

ولد عام ١٩٢٩م ، ودخل السجن عدة مرات من أجل نشر حقائق القرآن الكريم ، ويعتبر من قادة جماعة النور ، وما زال على قيد الحياة^(١).

٤- مصطفى جاويش : اسمه الحقيقي " خلوصى " ، ولد سنة ١٨٨٢م. خدم الأستاذ النورسى فى " بارلا " ، وتوفى فى شباط عام ١٩٣٩م. كان يتولى خدمة الجامع الصغير ، وتزويد مدفأته بالنفط ، حتى علبة الكبريت كان يوفرها للجامع لتستمر خدمته طوال ثمانى سنوات ، وكان يدفع كل ما تحتاجه هذه الأمور من ماله الخالص. إلا أنه بلغ رسالة من أهل الدنيا إلى إخوته فى العقيدة بأن ينزعوا العمامة ، ويتركوا الأذان سراً ، حيث كانوا يرفعون الأذان الشرعى سراً والأذان التذعى علناً " أى بالتركية " . فعاقبه الله تعالى أن استغنى عن نفطه وكبريته^(٢).

٥- عبد الله جاويش : كان أول ساع لبريد النور ، يحمل المسودات من الأستاذ النورسى ويسير الليل كله بعيداً عن أعين السلطة بين الجبال والوديان ليوصلها إلى " الحافظ على " لتببضها وبعدها يعود إلى الأستاذ بالطريقة نفسها. توفى سنة ١٩٦٠م عن خمس وستين سنة من العمر - رحمه الله -^(٣)

هذه هى خاصية طالب النور ، أن يعد رسائل النور كأنها من تأليفه هو ، وأنها تخصه بالذات فيدافع عنها وكأنها ملكه ، مع اعتبار أن تلك الأنوار والعمل لها من أجل الوظائف فى حياته.

٦- الحافظ توفيق : (١٨٨٧-١٩٦٥م) من أوائل طلاب النور وكتابها، لقب بالحافظ لحفظه القرآن الكريم ، كما لقب بالشامى لطول بقائه بالشام بصحبة والده الذى كان ضابطاً هناك. وهو المشهود له بالصلاح والعلم، والتقوى. لازم الأستاذ فى " بارلا " ، وفى سجن " اسكى شهر " ^(٤).

(١) NECMEDDIN SAHINER, " SON SAHITLER 1-3 ", YAY, ISTANBUL, (١)

1986, pp. 5-209.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. اللغات ، ص ص٧٦-٧٧.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى. المكتوبات ، ص ٨٣.

(٤) بديع الزمان سعيد النورسى . اللغات ، ص ٧٢ .

٧- المعلم أحمد غالب : من أوائل طلاب النور ، وهو خطاط وشاعر ، ولقد خدم بإخلاص وصدق في تبييض رسائل النور ، واستنسخ "الكلمات والمكتوبات" لنفسه بقصد نشرها في مدينته ، وإرشاد أصدقائه .

٨- الحافظ خالد : وهو خالد عمر لطفي أفندي . من أوائل طلاب النور ، وكتاب رسائل النور . ولد سنة ١٨٩١م في " بارلا " اشتغل بالتعليم ، ثم تركه ليصبح إماماً في أحد مساجد " بارلا " . أرسل له الأستاذ النورسي رسالة عزى فيها طفله " أنور " الذي توفي سنة ١٩٣٠م عن عمر يناهز الثامنة وقد دخلت هذه الرسالة ضمن المکتوب " السابع عشر " (١) .

٩- خسروا : كان في مقدمة الذين استنسخوا المئات من رسائل النور ، ونشروها في أحلك الظروف . قضى معظم حياته مع أستاذه في سجون " أسكي شهر " ، و " دنيزلي " و " أفيون " . وهو الذي كتب مصحفاً بتوجيه من الأستاذ النورسي لإظهار الإعجاز في التوافقات اللطيفة لاسم الجلالة في الصفحة الواحدة . ولد في " إسبارطة " سنة ١٨٩٩م ، وتوفي في " استانبول " سنة ١٩٧٧م .

١٠- زبير : ولد في إحدى أقضية ولاية " قونيا " سنة (١٩٢٠ - ١٩٧١م) عين موظفاً في دائرة البرق بعد إكماله الدراسة المتوسطة . ثم نذر نفسه لخدمة الإيمان والقرآن من خلال نشر رسائل النور . وكان مثالياً للإخلاص والمثابرة حتى أصبح أقرب تلاميذ الأستاذ إليه . تولى إدارة طلاب النور بعد وفاة أستاذه النورسي . له مذكرات خاصة في محاسبة النفس ، وتقوية الإرادة (٢) .

وعلى الطرف الآخر نجد غلمان النور ، وهم رجال حتى وإن كانوا صغار السن ؛ فقد أتى صبي صغير برىء يبلغ العاشرة من العمر من

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . للمعات ، ص ٧٦ .

(٢) p.Necmeddin Sahiner, Bilinmeyen Taraflariyla Said Nursi, Yay, Istanbul

قربته على مسافة سير يومين تاركاً إياها ، وماله وقد وفقه الله تعالى إلى كتابة رسائل النور ، مع أنه لم يسبق له الكتابة من قبل^(١) .
وكما أن هذا كرامة لرسائل النور ، فهو زهرة خارقة للمدرسة النورية .
وإذا كانت الدعوات لتلفظ الخبيث دائماً ، فلقد أوصى الأستاذ النورسى بعدم إقحام من يمكنه أن يسبب ضرراً برسائل النور في صفوف النور ، أو أن يمس صلابة طلاب النور ، لأن أمثال هؤلاء إن لم ينضموا إلى دائرة النور بنية خالصة ، ربما يورثون الفتور ، فيضعف الصف وينهار .
وهناك نظام التكافل بين طلاب النور ، حيث الطالب الذي يعانى حالة " العوز " عليه أن يقبل الزكاة حتى يتغلب على هموم العيش ، وهذا نوع من أنواع خدمة رسائل النور في مَد يد العون بالزكاة إلى الأركان من طلاب النور الذين نذروا وقتهم لخدمة رسائل النور ، وإلى المساعين في الخدمة .

* تقويم الحركة النورية :

إلا أن رسائل النور يظهر فيها عدم وضع خطة حركية من قبل الأستاذ النورسى ، ولا من قبل طلابه من بعده ، بحيث أن كل مرحلة توصل إلى المرحلة التالية لها ، وبالتالي يصلون إلى الحكم بالإسلام الذى هو هدف الحركات الإسلامية " الإسلام العالمى " الراشدة ، لا الإسلام المحلى .
قال تعالى " ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون " ^(٢) صدق الله العظيم .
وهذا الذى حدث كان سبباً كافياً فى الانقسام الذى حدث لجماعة النور من بعد رحيل أستاذهم النورسى ..
ومن الأمور البديهية أن تقع اختلافات فرعية بين أفراد الجماعة الواحدة ، لا سيما بعد موت مؤسسها ، مع الالتزام بالإطار العام الذى يحكم

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ١٥٥ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ١٠٥ .

سياستها ومبادئها ، فتكون هذه الاختلافات الفرعية عبارة عن وجهة نظر يبيدها الأفراد لدفع عجلة الحركة إلى الأمام^(١).

غير أن الذى حدث لجماعة " النور " كان أكبر من هذا ، فقد ظهرت اختلافات أساسية حول المبادئ بعد موت النورسى مما أدى إلى تشعبها وانقسامها إلى أكثر من جماعة.

أجل ! إذا كان انشغال الأتباع والأنصار فى حياة النورسى قد اقتصر على تهريب رسائل النور من السجن واستنساخها وتوزيعها.. فإنهم بعد مماته وجدوا أنفسهم فى فراغ.. فانقسموا على أنفسهم ، واتبع كل فريق من هؤلاء الطلبة شيخاً كان مقرباً من بديع الزمان .

وهذا الخلل التنظيمى الذى أصاب النوريين جعلهم يدورون فى فلك القائد المؤسس ويجمدون عند بعض تعاليمه ولو تجاوزها الزمن.

فكما أن فكر الأستاذ النورسى يعتبر فكراً متطوراً راقياً فى زمانه ، فقد أوجدت الصحة الإسلامية الحديثة فكراً إسلامياً أصيلاً. والفكر الإسلامى ملك لجميع المسلمين ، حيث ينبغى على جميع الدعاة الاستفادة منه. لكن الإخوة أبناء النور اعتبروا هذا الفكر منافساً لهم وبدأوا يحاربونه ، نتيجة بعض اللبس فى إدراك طبيعة الزمن وعالمية الدعوة.

كما أن دائرة رسائل النور واسعة جداً ، وطلابها كثيرون جداً ، وبالتالي لا يحدث تعقب الذين يهربون منها ، ولا تهتم بهم. وربما لا تدخلهم ضمن دائرتها مرة أخرى ، لأن الإنسان يملك قلباً واحداً ، والقلب الواحد لا يمكن أن يكون فى داخل الدائرة وخارجها معاً^(٢).

وطلاب النور الذين هم فى دائرة النقوى ، ليسوا بحاجة إلى الإرشاد، وهذا توجه غير موفق.. ومن يحب هؤلاء الطلاب عليه الدخول ضمن دائرة النور ، وليكن أماً لهم ، وإن كان ذا مزايا وفضائل فليكن لهم أماً كبيراً.

(١) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٣٣٠.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. اللغات ، ص ٤٢٨.

ولنضرب أمثلة للجماعات المتفرعة من جماعة النور بسبب الاختلاف حول المبادئ الأساسية للجماعة :

(١) جماعة " يني آسيا " ، وهى تدعى أنها لا تتدخل فى السياسة، ويكتفى أعضاؤها بالإدلاء بأصواتهم فى الانتخابات وتشجع هذه الجماعة حزب العدالة " الطريق المستقيم " حالياً وتبرر موقفه البعيدة عن روح الإسلام وتعاليمه ، بينما فى الوقت نفسه لا تؤيد " حزب السلامة " الذى أصبح فيما بعد " حزب الرفاة " ، واتهمته بالانحراف^(١).

وخطأ فكري آخر وقعت فيه الجماعة هذه ، وهو اعتبار الأستاذ النورسى بديع عصره ووحيد دهره ، وأنه لم ينشأ فى هذا العصر أحد مثله، وأن علاجه لأمراض العالم الإسلامى يعد علاجاً ناجحاً لا مثيل له ، مما ترتب على ذلك هجرهم لجميع المؤلفات ، والكتب الأخرى ، التى ليست من عمل النور .

(٢) جماعة فتح الله كولن : نسبة إلى زعيمها فتح الله ، الذى اختار أزمير لممارسة نشاطه. وقد ركز دعوته على شباب الجامعات والعاملين فى الدوائر الحكومية. وقد افتتحت هذه الجماعة المدارس الإعدادية والثانوية الأهلية فى أنحاء مختلفة من تركيا ، مع توفير الجو العلمى اللازم للطلاب ، مع توفير مساكن خاصة للطلاب فى أماكن هذه المدارس. كان من ثمرتها تفوق طلابها على أقرانهم فى المدارس الحكومية ، والمدارس الخاصة الشهيرة الأخرى.

والجدير بالذكر أن هذه الجماعة كانت سباقة إلى افتتاح المدارس الإعدادية ، والثانوية فى الجمهوريات الإسلامية بعد انفصالها عن الاتحاد السوفيتى.

كما سبقت غيرها فى افتتاح قناة تليفزيونية خاصة فى تركيا لنقل الأخبار ، وعرض الأفلام العلمية ، والمحافظة على الآداب ، والعادات

(١) د. فرج محمد الوصيف ، مرجع سابق ، ص ٣٣١.

الإسلامية ، وذلك بعد انتشار كثير من قنوات التليفزيون التخريبي المتحرر من الحياء .

إلا أن الباحث يأخذ على هذه الجماعة أنها تساند الدولة العلمانية في تركيا ، وتلتمس لاتجاهها العلماني هذا الاعذار ، وهذا مما يتناقض مع المفهوم الصحيح للدعوة إلى الإسلام .

(٣) جماعة الخدمة : انفصلت عن " بنى آسيا " ، وتقوم بأنشطة جيدة لصالح الإسلام . كما لها مراكز في كثير من المدن التركية ، وبعض المدن الأوروبية .

(٤) جماعة مدرسة الزهراء : وكان من أنشطتها السعى في إنشاء جامعة الزهراء التي كان الأستاذ النورسي يريد افتتاحها في مدينة " وان " مع الالتزام بمبادئ الجماعة الأم دون تعديل أو تحريف ، بالإضافة إلى إيواء مئات من طلاب الجامعات ، مع تيسير سبل التعليم لهم . كما سعت إلى إصدار المجلات ، والكتب الإسلامية .

ومن الإنصاف أن نقول : بأن قسماً كبيراً من شباب النور طاهر نظيف ، لا ينقصه الإخلاص للعمل للإسلام ، بل ينقصه التنظيم السليم ، والقيادة الواعية التي تضع يدها في يد العاملين للإسلام في تركيا وخارجها ، مع نبذ الخلافات الجانبية ، انطلاقاً من منهج الأستاذ النورسي في الدعوة . فذاك من الفهم الصحيح للدين .

وقد كان حُسن الظن هو الأساس في العمل لدى النورسي ، وأسلوبه في الفصل بين المتنازعين . فكان دائماً يحاول أن يؤول الأمور بحسن الظن ، ويحث تلامذته على ذلك^(١) .

وهذا أنجح وسيلة لإشاعة الحب والمودة بين الناس .

(١) أسيد إحسان قاسم ، مرجع سابق ، ص ٦٧-٦٨ .

الباب الثالث

رسائل بديع الزمان سعيد النورسي

- الفصل الأول : التعريف برسائل النور .
- الفصل الثاني : محتويات رسائل النور .
- الفصل الثالث : اتجاهات رسائل النور .

الفصل الأول

التعريف برسائل النور

- ١- مصدر رسائل النور .
- ٢- خصائص رسائل النور .
- ٣- مؤلفات النورسى .

لقد ألف بديع الزمان سعيد النورسي كتابه " نقطة من نور معرفة الله جل جلاله " في أوائل حياته الفكرية قبل أن يؤلف رسائل النور . وكان إثبات وجود الله تعالى الشغل الشاغل لسعيد النورسي في رسائل النور كلها . من أجل ذلك ، نراه قد استعمل أدلة كثيرة للدلالة على ذلك، منها: الدليل العلمي ، والدليل الحدوثي ، ودليل الضرورة الكونية .. ثم دليل إجماع الأنبياء والمرسلين ، والأصفياء والعارفين جميعاً . والقرآن الكريم يحوى بين طياته هذا كله .
أولاً : مصدر رسائل النور:

إن رسائل النور ليست مسائل علمية عقلية فقط ، بل هي - أيضاً - مسائل إيمانية قلبية روحية .. ولم يكن هناك أى مصدر عند المؤلف " سعيد النورسي " سوى القرآن الكريم ، الذى فيه نبأ ما قبلنا ، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا ، وهو الجد ليس بالهزل ، وهو حيل الله المتين .. فكان يستلهم من الآية الكريمة معانيها ، ويعيش معها بالقلب والروح ، ثم يملئ على المختصين بالكتابة من طلبية النور - بسرعة فائقة - بما يفتح الله عليه ، وما يرد على قلبه من معانى الآية الكريمة .

ولم يكن لتلك الفتوحات الربانية من وقت معين ، ولا مكان معين . لذا فقد أحاط به طلبته ليل نهار ، ولم يترك النورسي - رحمه الله - أى فتح ربانى أو أى خاطرة تجول فى نفسه إلا وأسرع بإملائها لتسجل بأحرف من نور (1) .

مما تقدم يتبين لنا أن رسائل النور ليست نابعة من ذكاء النورسي، ومهارته ، بل هي معجزة من معجزات القرآن الكريم ، وهبتها الرحمة الإلهية

كما أن هناك من الرسائل ما قد كُتِبَ فى ست ساعات ، وأخرى فى ساعتين ، والبعض الآخر فى ساعة واحدة ، بل وفى عشر دقائق .. وكان استلهم النورسي لموضوع كل رسالة من آية أو عدة آيات تتصدر الرسالة ، ثم يبدأ بمقدمة مركزة أحياناً ، تلخص الموضوع ، ثم

(1) إحسان قاسم الصالحى ، مرجع سابق ، ص ١٥٠ .

يتدرج في الموضوع توضيحاً وتبسيطاً مع ضرب الأمثال لعرض الفكرة وتجليتها .

ورسائل النور تخالف الكتب الأخرى ، إذ تستهل البحث بشيء من الإبهام الذي قد يخفى على القارئ ، ويغض عليه ، إلا أنها تتضح تدريجياً، وتكشف عن معانيها رويداً رويداً ، لا سيما " الشعاع الرابع " (١) . وهذا الأمر يثير عند القارئ الانتباه ليشارك في فهم جوانب الموضوع، وحل مغاليقه .. أي أن الرسائل تجعل من القارئ دارساً لها، ولا تجعله ناظراً فيها فقط .

وقد يعرض الموضوع بكامله أحياناً في صورة سؤال وجواب ، أو يرد السؤال والجواب في أثناء سرد الموضوع أو في ثناياه . وقد تكون بعض الأسئلة حقيقية ، أو هي أسئلة وشبهات ووساوس تلقبها شياطين الإنس والجن، بإيحاء بعضهم إلى بعض زخرف القول ، في قلب المؤمن .

والقرآن الكريم هو كتاب الله المقدس ، يضم بين دفتيه جميع حقائق العلوم . لذا فإن الذي يتناول آياته بالشرح والتحليل يجب أن يكون متخصصاً في كل علم من العلوم ، سواء اللغوية أو الشرعية أو العلوم الكونية، بالإضافة إلى الفكر الواسع ، والإطلاع الشامل ، والنظرة الثاقبة مع الإخلاص التام لله رب العالمين .. وبديع الزمان سعيد النورسي وهبه الله كل هذه الصفات وزيادة ، مما كان له الأثر الواضح في إبراز صفاء الحقائق القرآنية نور رسائل النور ذات صبغة معينة ، وإنما صبغتها القرآن الكريم ، والقرآن الكريم وحده (١) .

ورغم أن رسائل النور تبحث موضوعاً واحداً وهو الإيمان ، إلا أن طريقة البحث غير تقليدية، بل إن الأسلوب يتغير حسب المواقف والموضوعات ، فنرى الأسلوب اللين الرقيق جداً ونرى الأسلوب العلمي الدقيق ، والعبارات المنطقية الفطرية لإعمال الفكر والعقل . وفي الأسلوب الدفاعي ، نرى القوة الهادئة كالأمواج ..

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الشعاعات ، ص ٦٨ .

(٢) إحسان قاسم الصالحى ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

وبرغم الترابط الوثيق بين فقرات البحث في كل الرسائل فإن كل فقرة منها تعطى معنى كاملاً بحيث تستطيع أن تفهمها وحدها ، وتستفيد منها دون الرجوع إلى أصل الموضوع ، وهذه الفكرة مستمدة من سياق القرآن الكريم ، حيث كل آية من آياته مترابطة ارتباطاً وثيقاً بغيرها من الآيات، وفي نفس الوقت تعطى معنى كاملاً بحيث تستطيع أن تفهمها وحدها . قال تعالى " وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم .. " (١) صدق الله العظيم .

ثانياً : ومن خصائص رسائل النور ما يلي :

(١) صعوبة النقد : بالرغم من انتشار الرسائل انتشاراً واسعاً ، إلا أن عدم قيام أحد بانتقادها ابتداءً من أعظم عالم إلى أبسط رجل من العوام، بالرغم من لطاماتها وصفعاتها لبعضهم لدليل على أنها فتوحات من عند الله تعالى (٢) . وهى فى الوقت نفسه تخاطب جميع المستويات كافة، والمتعلقة حولها خاصة .

والحقائق القرآنية والإيمانية لها من السعة والشمول ما لا يمكن أن يحيط به أذكى الأذكاء إلا أن سعيد النورسى بفضل من الله استطاع أن يُظهر قدراً كثيراً من تلك الحقائق بكل دقائقها وتفصيلاتها . وكان تأليف الرسائل يتم بسرعة ، وفى أوقات الضيق والشدة ، وهذا أثر من آثار الإعجاز المعنوى للقرآن العظيم ، وجلوة من جلوات العناية الربانية ، وإشارة غيبية قوية ؟ .

والنورسى - رحمه الله - لا يبتغى من وراء عمله سوى رضا الله تعالى من دون أن يتحول نظره إلى أى غرض آخر ، لئلا يخالف قول الله عز وجل " ..ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً .. " (٣) فكل ثمن دون مرضاة الله فهو قليل .

(١) سورة آل عمران : آية ٧ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . المكتوبات ، ص ٤٨٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ٤١ .

وقد أمر وزير الداخلية علماء رئاسة الشؤون الدينية بتدقيق رسائل النور بغية نقدها ، وبعد ثلاثة أشهر من التدقيق لم تقم بنقدها ، بل أدركت قيمتها حق الإدراك ، وذكرت بأنها " مؤلف ذو قيمة كبيرة " ووضعت رسائل أمثال " ذو الفقار " ، " وعصا موسى " في مكتبتها .

(٢) النجاة : لقد علم النورسى بشعوره الإيمانى نجاة رسائل النور، التى هى ثمرة حياته ومبعث سعادته ، من الفناء والضياع ، والضمور وعدم الجدوى .. وبقاتها نضرة طرية ، حتى تنمو ، وتبقى ، وتكثُر بأثمارها اليبانة ، مما كان له الأثر فى شعور النورسى بلذة معنوية تفوق كثيراً لذة بقاته . فضلاً عن أنها ترتسم فى اللوح المحفوظ إن كانت موضع رضا الله سبحانه وتعالى^(١)

(٣) الصدقة : إن رسائل النور بمثابة صدقات مقبولة . لذا فهى وسيلة فاعلة لدفع البلياء .

فعندما يتم الهجوم على الرسائل تجد المصائب فرصتها السانحة للظهور . ومن سنن الله تعالى أن تكثر البلياء عند تحكيم غير شرع الله عز وجل . أجل !

إن مئات الحوادث والوقائع ، وشهادة وتصديق آلاف من طلبة النوريين وتؤكد استحالة وجود مصادفة فى التوافق بين حدوث الكوارث والهجوم على رسائل النور ، وطلبة النور " كالزلازل الذى هز تركيا من أقصاها إلى أقصاها " .

وكان النورسى - رحمه الله - يوصى دائماً بعدم مبارزة رسائل النور المستندة إلى القرآن الكريم ، لأنها لا تغلب ، وإلا سيكون أمر البلاد والعباد مؤسفاً إذا ما حاول أحد أن يطمس نورها ، وستذهب إلى مكان آخر، وتنتير هناك .

(٤) رد الشبهات : الموجهة إلى الإسلام ، أو إلى الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، سواء من جهلة المسلمين بأمر دينهم ، أو من شياطين المستشرقين ، والرسائل تردّها جميعاً دون الذكر الصريح للشبهة؛ إلا

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. الشعاعات ، ص ٧٢.

فيما ندر . والرد يكون رداً مقنعاً لا يترك زاوية من الزوايا الخفية في الشبهة إلا ويفتحها .

والدلائل التي يسوقها المفسر لا بد أن تكون دلائل قوية ، وبراهين دامغة . لذا فلا حاجة للركون إلى النظريات أو الآراء العلمية التي تتبدل بتبدل الأزمان ، أو يفهمها قوم دون آخر . والنورسى لا يترك موضوعاً دون أدلة ثبوتية راسخة رسوخ الجبال الرواسي .

وبهذا الأسلوب سدت رسائل النور سبل انتشار الشبهات والأوهام الفاسدة بين الناس^(١) .

إن رسائل النور ما هي إلا تفسير للقرآن الكريم ، مدعم بالبراهين . لذا فإن فيها تكرارات ضرورية مساقاة لحكمة ومصالحة ، كالتكرارات القرآنية اللطيفة ، الحكيمة .. والتي لا تستم القارىء أبداً . وكذا لأن رسائل النور ما هي إلا دلائل لكلمة التوحيد التي تتكرر باستمرار على الألسنة في ذوق ، وشوق دون سأم .

(٥) تقويم السلوك الشخصي : بترسيخ الخصال السامية الحميدة . كالتواضع ، والتضحية .. ولا يتأتى ذلك إلا باتباع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قولاً وعملاً . والنورسى - رحمه الله - كان عاملاً بعلمه، عظيم التقوى ، عظيم الزهد .. وقد حاز بجدارة على لقب " خادم القرآن " .

فكل رسالة من رسائل النور تفسير مهم للقرآن الكريم من بدايتها حتى نهايتها . وهي تدعو الناس إلى سمو الخلقى ، وإلى الفضيلة ، وتعطي دروساً إسلامية ، وتربية دينية . بشكل مؤثر فتكون سبباً لحفظ الأمم من السقوط في الهاوية^(٢) .

(٦) مخاطبة الجوارح الإنسانية المادية منها والروحية : إن فعل رسائل النور في القلب والعقل والروح والنفس هو تجديد للإيمان ، وترسيخ له في القلب ، وبعث للروح الخاملة في النفوس . وقارىء الرسائل يجد من

(١) إحسان قاسم الصالحى ، مرجع سابق ، ص ١٧٦ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٦١٨ .

الإشباع والارتواء لجميع أقطار نفسه وروحه ، وعقله ، وفطرته .. مع طرد همزات الشياطين ، وحفظ النفس من وساوسها .

وعلى مفسر المسائل القرآنية أو الشرعية ألا يخضع نفسه لأي نوع من أنواع الضغط أو التأثير من أى جهة كانت ، وعليه أن يستهين بالموت فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية .

(٧) الحياء : إن رسائل النور لا تتحاز إلى جهة دون أخرى ، ولا تغط حقاً دون آخر فتذكر الحسنات والسيئات حتى تتكشف الحقائق . وهذا دأب الرسائل فى الخلاقات التاريخية والفتن - أيضاً - ، والتي تدور حولها المناقشات ، فتحللها تحليلاً دقيقاً من حيث :

أ- وجهة النظر الدنيوية والأخذ بالأسباب الظاهرة .

ب- وجهة القدر الإلهي ، والرحمة الربانية .

فإن قيل : ما حكمة تلك الفتنة الدموية التي أصابت الأمة الإسلامية فى عصر الراشدين وخير القرون ، حيث لا يليق بهم ذلك ، وأين يكمن وجه الرحمة الإلهية فيها ؟

ونجد الجواب فى رسائل النور ، التي وضحت أن هذه الفتنة قد أثارَت بذور مواهبهم المختلفة فأندرت كل طائفة منهم ، وأخافتهم من أن الخطر مُدقق بالإسلام ، وأن النار ستتشب فى صفوف المسلمين ، مما جعل كل طائفة منهم تهرع إلى حفظ الدين ، والزود عن حياض الإيمان فأخذ كل منهم على عهده مهمة من مهمات حفظ الإيمان ولم شمل الإسلام ، كل حسب قابليته . فانطلق بكل جد وإخلاص فى هذا السبيل . فمنهم من قام بحفظ الحديث النبوى الشريف ومنهم من قام بحفظ فقه الشريعة الغراء ، ومنهم من قام بحفظ القرآن الكريم .. فبعثت تلك الحركة المنطلقة عن المركز كثيراً من أئمة المجتهدين ، والمحدثين ، والحفاظ والأصفياء ، والأقطاب والأولياء إلى أنحاء العالم الإسلامى^(١) .

(٨) حاجة بعض رسائل النور إلى الشرح والتفصيل : كالمثنوى

العربى النورى ، الذى به أنماط جديدة وفريدة فى أساليب التزكية

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. المكتوبات ، ص ١٢٩ .

والتربية، فلما تجده في كتاب آخر . والمثنوى العربي النورى من أوائل كتب النورسى ، لذا نجد جذور أفكاره فيه . فكل فكرة في هذا الكتاب تمثل برعاً أو ورقة صغيرة من فكره النير ، والتي أصبحت فيما بعد نهراً متدفقاً^(١) .

ولما كانت نفس النورسى دائمة الحضور معه - وكما يرى إبراهيم الدباغ في تقديمه لكتاب المثنوى العربي النورى - قائمة بين جنبيه ، تتناقص فكره الإيماني وجهها لوجه . لذا فإن النورسى كتب ما كتب بقصد ترويض هذه النفس الجموح الثائرة على كل فكر تقليدى . ومن هنا فليس غريباً أن يكتنف بعض أفكاره في المثنوى شىء من الغموض غير المقصود ، لأنه لم يكن مقصوداً من كتاباته سوى نفسه . فلربما كفاه السطر ، والسطران لتفهم عنه نفسه ، وتعرف مراده ، ولا تكفيه الصفحة ، والصفحتان ليفهم عنه القارىء بعض مراده^(٢) .

كما أن هناك مقدمات في رسائل النور لا تفهم إلا بقراءة المسائل التى تلى المقدمة . وفي الشعاع السابع ، نرى أهمية هذه الرسالة ، وعظيم شأنها ، إلا أنه من الصعوبة بمكان أن يفهم كل شخص كل مسألة من مسائلها، إلا أنه لا يغادرها دون حظ منها . وهناك أسباب تعيق فهم هذه الرسالة :

أ- أن النورسى كتب مشاهداته كما تراءت له وفق فهمه ، أى كتبها لنفسه ، فهى لم تكتب شأن الرسائل الأخرى بمستوى فهم الآخرين ، ومدى تلقيهم .

ب- لا يتمكن كل شخص أن يحيط بها مباشرة ولأول وهلة .

ج- كتبت على عجل ، واكتفى بالمسودة الأولى . وكان يشعر عند كتابتها أنها ترد إلى القلب دون اختيار منه ، ولا إرادة^(٣) .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. المثنوى العربي النورى. تقديم محمد فتح الله كولن ، ترجمة/ أورخان محمد على ، ص ٥.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى. الشعاعات ، ص ١٣٤ .

والنورسى عند تأليف وتفسير " إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز " فى السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى على جبهة القتال دون مصدر أو مرجع ، كان يضع نصب عينيه درجة إفهام طلبته الأذكىاء جداً موضع الاعتبار ، ولم يكن يفكر فى فهم الآخرين . كما أن هذا التفسير القيم يحوى بين دفتيه مسائل بلاغية دقيقة قد لا يفهما كثير من القراء . كما أن هذه الرسالة تحتاج إلى التصحيح والإصلاح ، إلا أن قلبه لا يرضى بتغييرها وتبديلها إذ ظهرت فى حالة من خلوص النية قد لا توجد بعد ذلك^(١) .

وبديع الزمان لا يتوجه إلى المسائل عقلاً ، بل قلباً . وكان يقول " إن العلم هو ما يستقر فى القلب ، فلو استقر فى العقل وحده ، لا يكون ملك الإنسان "^(٢) .

ومن هنا يأتى حب رسائل النور وعالميتها .

(٩) عالمية رسائل النور : لقد قام فى مكة المكرمة عالم كبير بترجمة أجزاء كبيرة من رسائل النور إلى اللغة الهندية ، وإلى اللغة العربية، وأرسل هذه التراجم إلى الهند ، وإلى الحجاز قائلاً : إن رسائل النور تحاول تحقيق وحدتنا ، وأخوتنا الإسلامية ، التى هى أقوى سند نستند إليها^(٣) .

كما أن بعض المسائل التى وردت فى رسائل النور ، والتى كانت دليل اتهام ، قد حازت على رضى وقبول المحققين من علماء الأزهر فى مصر ، وعلماء الشام وحلب ، وعلماء مكة المكرمة ، والمدينة المنورة . ولقد سعى العلماء الأجلاء فى مكة المكرمة إلى ترجمة مجموعات من رسائل النور إلى العربية والهندية . كذلك المدينة المنورة قد قبلت ورضيت عن رسائل النور ، بحيث وضعها القائمون على الأمر فى الروضة الشريفة لدى الحجرة الشريفة للقبر النبوى المبارك . ومجموعة " عصا موسى " المكتوبة بخط " خسرو " قد شاهدها الحجاج فى الروضة المطهرة .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز ، ص ٢١ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . المكتوبات . نوى الحقائق ، توضيح عبد الرحمن ، ص ٥٩٩ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٤٤٥ .

(١٠) متانة الأسلوب وتنوعه : لا يخفى ما لضرب الأمثال من أهمية في تقريب المفاهيم وتبسيطها وخرسها في الذاكرة ، وكذا صلاحيته للتفاهم مع مختلف المستويات العقلية والعلمية .

والقرآن الكريم ، وكذلك الحديث الشريف قد ضربا أمثالا كثيرة لتقريب الحقائق العظيمة لأفهام الإنسان وتعميقها . ورسائل النور قد أوردت كثيراً من الأمثال حتى يمكن أن يعدّ ضرب الأمثال طابعها المميز . ومن هنا كان هذا الإقبال على قراءتها من قبل العلماء الفطاحل ، ومن قبل الشباب بكثرة بالغة ، ومن قبل الرجال والنساء ، ليعترفوا من منهلها العذب الصافي^(١) .

لقد نشرت رسائل النور الحقائق القرآنية بجهاد متواصل إلى الآفاق ، ولم يستطع أحد أن يعارضها أو ينقدها ، مما يثبت أن القرآن الكريم الذي هو رائدها ، ومنبعها .. إنما هو سماوى من كلام الله رب العالمين ، وليس بكلام بشر .

ولم تبتعد رسائل النور قيد أنملة عن مبادئ الدين وأساسه ، ولا عن مبادئ العلم والحقيقة^(٢) .

وقد كتبت بإخلاص وبتجرد لشرح آية أو لتوضيح معنى حديث شريف أو لتوضيح الحقائق الدينية والإيمانية حول الإيمان بالله وبرسوله ، واليوم الآخر .. باستثناء بعض الرسائل السرية " لا يتجاوز عددها عشر رسائل " التي لم تتطرق إلى مواضيع علمية .

ولرسائل النور أسلوبها الخاص مع المعارضين وهم قسمان :

الأول : أهل الضلالة ، وهم الذين يعارضون الحقائق الإيمانية ويرفضونها ، بل ويحاربونها بشتى الوسائل والطرق ، سواء بالقوة أو بإثارة التهم ، وبث الأفكار المناوئة ، والدعايات المضللة .

الثانى : أهل الإسلام ، إلا أنهم يعترضون على بعض فقرات جاءت فى الرسائل ، أو طريقة الرسائل فى العمل لخدمة الإسلام .

(١) احسان قاسم الصالحى ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٣٣٦ .

وأسلوب الرسائل مع الصنف الأول الهجوم العنيف بدحض أباطيلهم بإيراد الأدلة القوية الكافية ، وتفنيدهم اتهاماتهم الظالمة ، مع التذكير بأن هناك عذاباً ينتظرهم في الدنيا قبل الآخرة . وهذا الأسلوب لا يفتر ولا يلين ، مع عدم ذكر الأسماء ، ولا الهيئات ... أما أسلوب الرسائل مع الصنف الثاني فهو أسلوب الدفاع وحده دون الهجوم ، ودون التهوين من شخصياتهم ، ولا من آرائهم . ورسائل النور تستل الطيبين من الناس من مجموع الخبثاء ، مما يشعر القارئ بتجردها وموضوعيتها .

كما أن رسائل النور التي كتبت باللغة العربية ، سبقت الرسائل المذكورة باللغة التركية ، إذ انقطع التأليف باللغة العربية بإنهاء الدولة العثمانية . إلا أن الأستاذ النورسي قد ضم مؤلفات "سعيد القديم" إلى رسائل النور - أيضاً - ، واعتبرها نوى وشتلات لرسائل النور .

ويمتاز أسلوب سعيد النورسي بأنه أسلوب علمي سلس ، واضح ، دقيق والمعنى (1) . وتتألف رسائل النور من أكثر من ١٣٠ رسالة . وتتميز هذه الرسائل بخصائص هامة أدت إلى التفاف قارئها حولها ، وجذبهم نحوها.

ثالثاً : مؤلفات النورسي :

وقد كانت مؤلفات سعيد النورسي باللغة التركية كالتالي :

- ١- (سوزلر SÖZLER) الكلمات .
- ٢- (مكتوبات Maktubat) المكتوبات .
- ٣- (لمعة لر Le m'alar) اللمعات .
- ٤- (شعا علر Sualar) الشعاعات .

وهناك مجموعة تحتوي على رسائل إلى طلابه منها :

- ٥- ملحق بارلا Barla Lâhikasi
- ٦- ملحق قسطنوني Kastamonu Lâhikasi
- ٧- ملحق أمير داغ Amirdag Lâhikasi

٨- TARIHGE- I HAYAT

(١) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

وأسلوب الرسائل مع الصنف الأول الهجوم العنيف بدحض أباطيلهم بإيراد الأدلة القوية الكافية ، وتفنيدهم اتهاماتهم الظالمة ، مع التذكير بأن هناك عذاباً ينتظرهم في الدنيا قبل الآخرة . وهذا الأسلوب لا يفتر ولا يلين ، مع عدم ذكر الأسماء ، ولا الهيئات ... أما أسلوب الرسائل مع الصنف الثاني فهو أسلوب الدفاع وحده دون الهجوم ، ودون التهوين من شخصياتهم ، ولا من آرائهم . ورسائل النور تستل الطيبين من الناس من مجموع الخبثاء ، مما يشعر القارئ بتجردها وموضوعيتها .

كما أن رسائل النور التي كتبت باللغة العربية ، سبقت الرسائل المذكورة باللغة التركية ، إذ انقطع التأليف باللغة العربية بإنهاء الدولة العثمانية . إلا أن الأستاذ النورسي قد ضم مؤلفات "سعيد القديم" إلى رسائل النور - أيضاً - ، واعتبرها نوى وشتلات لرسائل النور .

ويمتاز أسلوب سعيد النورسي بأنه أسلوب علمي سلس ، واضح ، دقيق والمعنى^(١) . وتتألف رسائل النور من أكثر من ١٣٠ رسالة . وتتميز هذه الرسائل بخصائص هامة أدت إلى التفاف قارئها حولها ، وجذبهم نحوها.

ثالثاً : مؤلفات النورسي :

وقد كانت مؤلفات سعيد النورسي باللغة التركية كالتالي :

- ١- (سوزلر SÖZLER) الكلمات .
- ٢- (مكتوبات Maktubat) المكتوبات .
- ٣- (لمعة لر Le m'alar) اللمعات .
- ٤- (شعا علر Sualar) الشعاعات .

وهناك مجموعة تحتوي على رسائل إلى طلابه منها :

- ٥- ملحق بارلا Barla Lâhikasi
- ٦- ملحق قسطنوني Kastamonu Lâhikasi
- ٧- ملحق أمير داغ Amirdag Lâhikasi

٨- TARIHGE- I HAYAT

(١) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

- ASAY - I MUSA - ٩
 SIKKE _ I TASDIKI GAYBI - ١٠
 MESNEV - I NURIYE - ١١
 ISARATUL I , CAZ - ١٢
 MUHAKEMAT - ١٣
 .IMAN . KÜFÜR MUVA2ENELERI - ١٤

هذا بالإضافة إلى ترجمة ذاتية ، وكتاب سنوحات ، وكتاب مناظرات .

أولاً : سوزلر - الكلمات : بدأ سعيد النورسي بتأليف هذا الكتاب سنة ٩٢٧م ، وهو عبارة عن ثلاث وثلاثين رسالة .

الكلمة الأولى : توضح معنى "بسم الله الرحمن الرحيم" ، ضمن المقام الثاني من اللمعة الرابعة عشرة^(١) .

الكلمة الثانية : توضح معنى قول الله عز وجل " الذين يؤمنون بالغيب"^(٢) .

الكلمة الثالثة : توضح قول الله عز وجل { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }^(٣) ، ويبين فيها أهمية العبادة ومعناها .

الكلمة الرابعة : يبين فيها النورسي لزوم الصلاة المكتوبة ، والسنن والنوافل . فالصلاة عماد الدين .

الكلمة الخامسة : تبين معنى التقوى والعبودية لله رب العالمين . قال تعالى " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون "^(٤) .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات ، ص ١٤٥-١٥٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢١ .

(٤) سورة النحل : آية ١٢٨ .

الكلمة السادسة : إن بيع النفس والمال إلى الله تعالى ، والعبودية له، والجندي في سبيله ، لهى أربح تجارة وأشرفها . قال تعالى " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " (١) .

الكلمة السابعة : توضيح حقيقة الإيمان بالله واليوم الآخر ، وخطورة عدم الإيمان بذلك . مع توضيح حقيقة الموت .

الكلمة الثامنة : توضيح الدنيا ، ومادور الروح الإنسانية فيها، وما قيمة الدين عند الإنسان ، وأنه لولا الدين الحق لتحولت الحياة إلى سجن رهيب (٢) .

الكلمة التاسعة : حكمة تخصيص الصلوات الخمس بهذه الأوقات المخصصة . (٣) .

الكلمة العاشرة : مبحث الحشر .

الكلمة الحادية عشرة : تفسير سورة " الشمس " ، مع بيان عبودية الإنسان أمام ربه .

الكلمة الثانية عشرة : موازنة إجمالية بين حكمة القرآن الكريم المقدسة ، وحكمة الفلسفة وترجيح القرآن الكريم وأفضليته على سائر الكلام .

الكلمة الثالثة عشرة : تتقسم قسمين :

الأول : الفائدة التي تعود على المجتمع من الالتزام بالقرآن الكريم ؟

الثاني : إنقاذ الآخرة إزاء ما يحيط بنا من فتنة الإغراء وجاذبية

الهوى، وخداع اللهو .

الكلمة الرابعة عشرة : العلاقة بين القرآن الكريم ومفسره الحقيقي

"الحديث الشريف" ، لكي نمد يد العون للقلوب التي ينقصها التسليم والانقياد (٤) .

(١) سورة التوبة : آية ١١١ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي . الكلمات ، ص ٣١ .

(٣) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي . الكلمات ، ص ١٨٥ .

الكلمة الخامسة عشرة : تفسير قوله تعالى " ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين " (١) . صدق الله العظيم ، مع بيان أن القرآن كلام الله .

الكلمة السادسة عشرة : طمأنينة النفس بمنحها البصيرة ، وتبديد الظلمات من حولها .

الكلمة السابعة عشرة : بها نظم يشبه الشعر ، إلا أنه ليس شعراً ، ومناجاة بالفارسية مع بيان بعض الأسرار " حقيقة الدنيا لدى أهل الغفلة ، ولدى أهل الهداية "

الكلمة الثامنة عشرة : عبارة عن مقامين ، الأول كتب ، والثاني لم يكتب . أما الذي كتب فيتناول فيه معاناة الإنسان لنفسه " النفس اللوامة " ويتناول بأدلة قاطعة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

الكلمة التاسعة عشرة : تخص الرسالة الأحمدية " الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم "

الكلمة العشرون : وهي مقامان :

الأول : يبين فيه أن القرآن الكريم يذكر حوادث جزئية لإظهار دساتير كلية (٢)

والثاني : يتحدث فيه عن جوانب العقيدة .

الكلمة الواحدة والعشرون : عبارة عن مقامين :

الأول : أهمية وفائدة الصلاة ، واشتياق النفس إليها .

الثاني : مداواة علة الوسوسة ، وبيان طرق النجاة منها .

الكلمة الثانية والعشرون : بيان حقيقة التوحيد بالآيات القرآنية الدامغة .

قال تعالى : " الله خالق كل شيء .. له مقاليد السماوات والأرض " (٣) .

الكلمة الثالثة والعشرون : تأثير الإيمان في ترقى النفس معنى ومادة .

أو التدنى والسقوط باتباع الهوى .

(١) سورة الملك : آية ٥ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي . الكلمات ، ص ص ٢٦٧-٢٧٦ .

(٣) سورة الزمر : آية ٦٢-٦٣ .

الكلمة الرابعة والعشرون : يوضح فيها قوله تعالى : " الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى " (١)

مع فهم الأحاديث الواردة حول ثواب الأعمال ، وأحداث قيام الساعة، ثم الكلام حول المحبة ، والتي هي سبب وجود الكائنات ، والرابطة لأجزائها .

الكلمة الخامسة والعشرون : رسالة المعجزات القرآنية . وأن القرآن هو كلام الله ، مع إثبات إعجازه وبلاغته ، وأنه قرآن جامع .

الكلمة السادسة والعشرون : رسالة القدر " القدر الإلهي ، والجزء الاختياري " . أجل ! إن القدر والجزء الاختياري هما في أعلى مراتب الإيمان والإسلام ، لأنهما ينقذان النفس الإنسانية .. فالقدر ينقذها من الغرور ، والجزء الاختياري ينجيها من الشعور بعدم المسؤولية (٢) .

الكلمة السابعة والعشرون : رسالة الاجتهاد . فباب الاجتهاد مفتوح إلا أن له ضوابط شرعية .

الكلمة الثامنة والعشرون : لبيان حقيقة الجنة والسعادة الأبدية فيها . مع ذيل عن جهنم .

الكلمة التاسعة والعشرون : تخص بقاء الروح، والتصديق بالملائكة وقيام القيامة ، ودمار الدنيا والحياة الآخرة .

الكلمة الثلاثون : رسالة أنا : وهي عبارة عن مقصدين : المقصد الأول : يبحث في ماهية " أنا " ونتائجها .

المقصد الثاني : تحولات الذرات وجولانها في أثناء كتابة قلم القدرة الإلهية للآيات التكوينية في كتاب الكون ، لا كما يتوهم الماديون والطبيعيون من أنها ألعوبة المصادفة في حركة عشوائية لا معنى لها ولا مغزى .

الكلمة الحادية والثلاثون : توضح المعراج النبوي ، وهو نتيجة ترتب على أصول الإيمان وأركانه قال تعالى : " سبحان الذي أسرى بعبده

(١) سورة طه : آية ٨ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي . الكلمات ، ص ٥٤١ .

ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير" (١) صدق الله العظيم .

الكلمة الثانية والثلاثون : فيها ثلاثة مواقف :

الأول : وحدانية الله تعالى .

الثاني : رد الشبهات حول الأحدية والوحدانية .

الثالث : تفسير قول الله تعالى " وما الحياة الدنيا إلا

متاع الغرور " (٢) مع بيان نتائج الحياة الدنيا لأهل الضلالة، ولأهل الهداية والفرق الواضح بين الحالين ، ثم ختمها بمناجاة لله رب العالمين .

الكلمة الثالثة والثلاثون : رسالة النوافذ ، وهي عبارة عن ثلاث وثلاثين

نافذة ، وكل نافذة عبارة عن تفسير آية أو أكثر .

وفي ختام مجموعة الكلمات رسالة تحت عنوان " اللوامع " ، ورد

على كنيسة " انجيلكان " بشكل وجيز ومسكت . فدعاء ، ثم كلمة الختام .

ثانياً : مكتوبات - المكتوبات (خطابات) :

يتكون هذا المكتوب من ثلاثة وثلاثين مكتوباً ، وقد أُلّف في

المرحلة الثانية من حياة بديع الزمان سعيد النورسي . وهو عبارة عن أجوبة لأسئلة طرحت من قبل التلميذ المخلص للنورسي " خلوصي " .

المكتوب الأول : جواب مختصر عن أربعة أسئلة حول حياة سيدنا

الخضر عليه السلام ، ولم يختلف العلماء حولها .

المكتوب الثاني : كان سعيد القديم لا يتحمل أذى المنّ من أحد ، بل كان

يفضل الموت على ذلك .

المكتوب الثالث : التأمل في الآيات البيّنات " فلا أقسم بالخنس ،

الجوار الكنس " (٣) وقوله تعالى : " والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون

القديم " (٤) وهكذا .

(١) سورة الإسراء : آية ١ .

(٢) سورة الحديد : آية ٢٠ .

(٣) سورة التكوّير : آية ١٥-١٦ .

(٤) سورة يس : آية ٣٩ .

المكتوب الرابع : نيل أهل الحق لتجليات اسم الله " الودود " و
"الرحيم" و " الحكم " ..

المكتوب الخامس : مقارنة بين التصوف وطريق الحقيقة .

المكتوب السادس : رسالة رقيقة لما كان يقاسية من ألم الفراق في
غربته ، طاوياً ما هو أكثر إيلاً منه حتى لا يتألم محبوبه وطلبته .

المكتوب السابع : حكم زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة زينب
بنت جحش رضى الله عنها.

المكتوب الثامن : محبة سيدنا يعقوب لسيدنا يوسف عليهما السلام نابعة
من الشفقة لا من العشق.

المكتوب التاسع : البحث عن الفرق بين الإيمان والإسلام . فالإسلام
التزام ، والإيمان إذعان.

المكتوب العاشر : الفرق بين تعبيرى : الإمام المبين " ، وتعبير " الكتاب
المبين " ، ثم بيان أين ميدان الحشر؟ .

المكتوب الحادى عشر : مقارنة بين القانون الإسلامى ، والقانون الغربى
فى موضوع الميراث.

المكتوب الثانى عشر : حكمة إخراج آدم عليه السلام من الجنة ؟
وما الحكمة فى إدخال قسم من بنى آدم جهنم ؟ ولماذا خلقت الشياطين
والشورور؟

المكتوب الثالث عشر : إعطاء المنفيين جميعاً وثائق العودة
وإخلاء سبيل المجرمين من السجون والعفو عنهم ، إلا سعيد
النورسى ، فقد منعوا الوثيقة عنه ظلماً وجوراً . إلا أن هذا الفعل كان
رحمة له ، من حيث استخدامه فى خدمة القرآن الكريم أكثر ، وجعله يكتب
" الكلمات " (١) .

المكتوب الرابع عشر : لم يؤلف .

(١) يدعى الزمان سعيد النورسى. المكتوبات ، ص ٥٧ .

المكتوب الخامس عشر : جواب لعدة أسئلة . منها حكم المحاربة في زمن سيدنا على رضى الله عنه ؟ . خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان وتفسير آية " كل شئ هالك إلا وجهه " (١) .

المكتوب السادس عشر : سبب انسحابه من ميدان السياسة وعدم التقرب إليها قط ؟ وعن أحواله الخاصة .

المكتوب السابع عشر : عزاء بطفل .

المكتوب الثامن عشر : التمييز بين العالم المادى ، والعالم الروحانى . وحدة الوجود لا نشاهد لها أثراً عند الصحابة الكرام ، وفى مقدمتهم الخلفاء الراشدون . ثم سر الفعالية المحيرة فى قوله تعالى " فعال لما يريد " (٢) .

المكتوب التاسع عشر : بيان أكثر من ثلاثمائة معجزة من معجزات الرسول النبى الأمى عليه الصلاة والسلام ، الدالة على صدق رسالته .

المكتوب العشرون : أهمية الإيمان بالله تعالى ، ومعرفته ومحبته .

المكتوب الحادى والعشرون : لزوم رعاية الأبوين ، والشيوخ .

المكتوب الثانى والعشرون : دعوة أهل الإيمان إلى الأخوة والمحبة ، والبعد عن النفاق والشفاق وسوء الأخلاق .

المكتوب الثالث والعشرون : الرد على سبعة أسئلة متنوعة .

المكتوب الرابع والعشرون : كشف أسرار الكون ، وهذا المكتوب به عدة ذبول .

المكتوب الخامس والعشرون : لم يؤلف .

المكتوب السادس والعشرون : عبارة عن أربعة أبحاث :

الأول : حجة القرآن الكريم على الشيطان وحزبه .

الثانى : الإنسان يحمل أكثر من شخصية .

الثالث : مفهوم الوطنية ، والقومية ، والعنصرية .

(١) سورة القصص : آية ٨٨ .

(٢) سورة البروج : آية ١٦ .

الرابع : عشر مسائل جواباً لستة أسئلة .
المكتوب السابع والعشرون : الملاحق (ملحق بارلا، وملحق قسطنطيني، وملحق اميرداغ) .

المكتوب الثامن والعشرون : جواب لسؤال عن كيفية جمع الناس في ساحة الحشر ؟ وجواب عن سؤال يرد حول دين أجداد النبي عليه الصلاة والسلام ..

المكتوب التاسع والعشرون : وهو يتكون من تسعة أقسام :
الأول : بيان الأحرف المقطعة في أوائل السور ، أهمية الشعائر الإسلامية ..

الثاني : حكم صيام رمضان ، وفوائده جسدياً وروحياً .

الثالث : كتابة مصحف شريف ، يظهر فيه نقش إعجازي .
الرابع : لم يذكر .

الخامس : تفسير آية {الله نور السموات والأرض} (١) .

السادس : جعل دسائس شياطين الإنس والجن بائرة عقيمة ثم ذيل للتداول الخاص .

السابع : أجوبة وتحليلات ضد من يقيس الدين الإسلامي بالدين النصراني .

الثامن : الرموز الثمانية لرسائل صغيرة .

التاسع : معنى الطريقة الصوفية ، وفوائدها ، ومشاكلها .

المكتوب الثلاثون : هو " إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز " باللغة العربية .

المكتوب الحادي والثلاثون : مجموعة للمعات .

المكتوب الثاني والثلاثون : رسالة اللوامع الشبيهة بالنظم ، والموجودة في آخر كتاب سوزلر .

المكتوب الثالث والثلاثون : نشرت ضمن " الكلمات " .

(١) سورة النور : آية ٣٥ .

ثالثاً : لمعه لر - اللمعات : هذا القسم هو المكتوب الحادى والثلاثون ويتضمن الآتى :

اللمعة الأولى : مناجاة سيدنا يونس عليه السلام فى بطن الحوت، والدعوة إلى إصلاح النفس .

اللمعة الثانية : مناجاة سيدنا أيوب عليه السلام ، وبيان صبره أمام المصائب .

اللمعة الثالثة : مقارنة بين حس البقاء ، وحس الفناء عند الإنسان .

اللمعة الرابعة : رسالة " منهاج السنة " ، لدعوتها إلى لزوم ترك الاختلاف بين الشيعة وأهل السنة .

اللمعة الخامسة والسادسة : أدمجتا فى اللمعة التاسعة والعشرين العربية .

اللمعة السابعة : تفسير آيات من أواخر سورة الفتح .

اللمعة الثامنة : ستتشر ضمن مجموعة أخرى .

اللمعة التاسعة : نقائص وحدة الوجود .

اللمعة العاشرة : لطمات الرأفة ، وصفعات الرحمة ، وهذه هى

حياة الدعاء إلى الله تعالى فى كل وقت ، وفى كل حين حتى قيام الساعة .

اللمعة الحادية عشرة : رسالة مراقبة السنة فى بيان لزوم اتباع

السنة المطهرة ، خاصة فى زماننا هذا .

اللمعة الثانية عشرة : فى بيان أن الرزق بيد الله تعالى ، والبحث فى

طبقات السماوات السبع .

اللمعة الثالثة عشرة : حكمة الاستعادة بالله من الشيطان الرجيم .

اللمعة الرابعة عشرة : ستة أسرار للبسملة ، وجواب أن الأرض

تقوم على الثور والحوت "الملكمان العظيمان" .

اللمعة الخامسة عشرة : فهارس كليات رسائل النور :

الكلمات، المكتوبات ، اللمعات - إلى اللمعة الرابعة عشر .

اللمعة السادسة عشرة : جواب عن أسئلة مثيرة في بعض المسائل المهمة مثل قول الله عز وجل " .. تغرب في عين حمئة .. " (١). وأين يقع سدذي القرنين ؟ ومن يأجوج ومأجوج ؟
اللمعة السابعة عشرة : تربية النفس ، ولزوم التواضع ، وترك الكبرياء (٢)

اللمعة الثامنة عشرة : نشرت في كتاب آخر .
اللمعة التاسعة عشرة : هذه الرسالة تحض على الإقتصاد والنفاعة، وتحذر من مغبة الإسراف والتبذير ، وبها تحليلات اقتصادية في الحياة الشخصية ، والعائلية ، والاجتماعية.
اللمعة العشرون : تخص الإخلاص في الدين الإسلامي ، وبيان ضرورة وحدة المسلمين .

اللمعة الحادية والعشرون : الإخلاص في الأعمال ، لاسيما الأخروية منها ، لهو أهم أساس وأعظم قوة ، وأقصر طريق للحقيقة .
اللمعة الثانية والعشرون : رسالة الإشارات الثلاث ، وهن في غاية السرية والكتمان وذات علاقة بأهالي " إسبارطة " والمسؤولين فيها ، وقد قدمها إلى واليها العادل ، وإلى مسؤولي دوائر العدل والأمن، والانضباط فيها (٣) .

اللمعة الثالثة والعشرون : رسالة الطبيعة . يرفض فيها فكر الطبيعيين المنكرين للألوهية بحجج علمية قاطعة .
اللمعة الرابعة والعشرون : رسالة الحجاب ، دعوة إلى عفاف المجتمع وصيانته من الرذيلة .
اللمعة الخامسة والعشرون : هي عيادة للمريض ، وبلسم للمرضى وتسلية لهم .

اللمعة السادسة والعشرون : رسالة الشيوخ .

(١) سورة الكهف : آية ٨٦ .

(٢) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي ، اللمعات ، ص ٢٥٤ .

اللمعة السابعة والعشرون : دفاع النورسي أمام محكمة اسكى شهر، نشر في مجموعة " سيرة ذاتية " .

اللمعة الثامنة والعشرون : بيان الحكمة من القبلولة ، بحث حول الصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اللمعة التاسعة والعشرون : رسالة التفكير الإيماني الرفيع ، والمعرفة التوحيدية السامية باللغة العربية ، سوى المقدمات والهوامش التي كتبت بالتركية .

اللمعة الثلاثون : بيان الاسم الأعظم لله سبحانه وتعالى .

اللمعة الحادية والثلاثون : انقسمت هذه اللمعة إلى " الشعاعات "

اللمعة الثانية والثلاثون : هي " اللوامع " التي هي آخر ما ألفه "سعيد القديم" في غضون عشرين يوماً من شهر رمضان ، وجاءت منظومة نظماً عفويًا ، نشرت ملحقة بمجموعة " الكلمات " (١) .

اللمعة الثالثة والثلاثون : كتاب " المثنوى العربي النورى " .

رابعاً : شعاعلر - الشعاعات : كتاب مهم يحتوى على مباحث إيمانية، كما يحتوى على مرافعات المؤلف بالمحاكم. ويبدأ الكتاب بالشعاع الثانی، وهو الثمرة الأخيرة لسجن " اسكى شهر "

ويفسر في هذا الشعاع اسم " الأحد الأعظم " . وفي خاتمة البحث يوضح النورسي أركان الإيمان بإيضاح قصير .

الشعاع الثالث : رسالة المناجاة الإلهية ، التي تتعلق بربوبيته تعالى، ورحمته ، وحكمته ، وقدرته ..

الشعاع الرابع : تفسير قوله تعالى { حسبنا الله ونعم الوكيل } (٢) .

الشعاع الخامس : الأحاديث المتشابهة الواردة حول أشرار الساعة .

الشعاع السادس : في تفسير التّشهد في الصلاة .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . اللمعات ، ص ٦٠٠ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٧٣ .

الشعاع السابع : الآية الكبرى ، على الرغم من أهميتها ، لا يفهم كل شخص ، كل مسألة من مسائلها . ولكن لا يبقى دون حظ منها . وهي تدل على وحدانية الله تعالى .

الشعاع التاسع : ذيل مهم للكلمة العاشرة التي كتبت حول الحشر . وهذا الشعاع يبين ويوضح مسألة الحشر تحت قوله تعالى " فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها " (١) .

الشعاع العاشر : عبارة عن رسالة " الفهرس " . اعتباراً من اللمعة الخامسة عشرة . نظمه طلاب النور الأوائل .

الشعاع الحادى عشر : سمى برسالة الثمرة ، يوضح فيها منافع الإيمان فى الحياة الشخصية والحياة الاجتماعية .

الشعاع الثانى عشر : يتناول دفاعاته فى "دينزلى" عام ١٩٤٤م، ومرافعاته فى محكمة " أفيون " .

الشعاع الثالث عشر : رسائل بعث بها النورسى لطلابه ، لتبين بوضوح تام جهاد رسائل النور الساطع .

الشعاع الرابع عشر : فيه مرافعات النورسى فى محكمة "أفيون"، ومرافعات طلابه بجسارة وإيمان كامل ، واطمئنان تام . وفيها رسائل بعث بها النورسى إلى طلابه ليجيب بها على استفساراتهم .

الشعاع الخامس عشر : رسالة مستقلة بعنوان " الحجة الزهراء " . وفيها يفسر كلمات { لا اله إلا الله - وحده - لا شريك له - له الملك - وله الحمد } كما نرى تفسير سورة الفاتحة فى هذه الرسالة - أيضاً - .

(الشعاع الأول) إشارات مستتبطة من آيات كريمات ، تبين أهمية رسائل النور وخدمة القرآن (٢)

(الشعاع الثامن) : وبعد الشعاع الأول نرى الشعاع الثامن ومن بعده الباب الثانى من اللمعة التاسعة والعشرين حول توضيح لفظ { الحمد لله } (٣) .

(١) سورة الروم : آية ٥٠ .

(٢) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ١٦٢ .

أما مؤلفات النورسي باللغة العربية فهي :-

أولاً : المتنوى العربى النورى :

يبدأ هذا الكتاب بتقديم للعالم الفاضل " محمد فتح الله كولن "، ترجمة : أورخان محمد على. ثم مقدمة المحقق " إحسان قاسم الصالحى " ، ثم المدخل للأستاذ/ أديب إبراهيم الدباغ . ثم مسودات مصححة بخط الأستاذ النورسي من رسائل النور .

ألف هذا الكتاب باللغة العربية ، ثم ترجمة/ عبد المجيد النورسي شقيق المؤلف إلى اللغة التركية، ويبدأ بمقدمة للمؤلف ، ثم ينقسم إلى عدة رسائل هي :

- الرسالة الأولى : لمعات ، لإثبات التوحيد الحقيقى بدلائل الآيات القرآنية .

- الرسالة الثانية : رشحات ، لإثبات حقيقة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

- الرسالة الثالثة : لا سيما ، وهذه الرسالة عبارة عن خلاصة قيمة لرسالة { الحشر } .

- الرسالة الرابعة : قطرة من بحر التوحيد مع ذيلها^(١) .

- الرسالة الخامسة : حباب من عمّان القرآن الحكيم .

يتخلل ذلك مناجاة تخطرت إلى القلب هكذا باللسان الفارسي ، ثم خطابه إلى مجلس الأمة التركى فى ١٩/١/١٩٢٣ م . ثم ختم الرسالة بذيل لها .

- الرسالة السادسة : لبيان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه سبب خلق العالم ، ونواة لخلقه^(٢) . ثم ختم الرسالة بذيل ، وذيل الذيل .

- الرسالة السابعة : زهرة من رياض القرآن الكريم ، لتحليل النظرة الفلسفية ، والنظرة الإيمانية . ويوجد ذيل لها .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . المتنوى العربى النورى ، ص ١٠٣ ، ص ١٦٤ .

(٢) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ .

* عمّان : البحر العظيم .

- الرسالة الثامنة : هذه الرسالة عبارة عن محادثات النورسى مع نفسه الأمانة المرئية ، مع دفع دسائس الشياطين ، وأهل الإلحاد مع خاتمة للرسالة .

- الرسالة التاسعة : كل موجود يشهد بالأسماء والصفات الإلهية .
- الرسالة العاشرة : وهى رسالة مستقلة فى الترجمة التركىة .
تضم خلاصة لكثير من مباحث رسالة " المدخل إلى النور " ، والتى فصلت فى " الكلمات " .

- الرسالة الحادية عشر : شعلة من أنوار شمس القرآن الكريم .
فالفاطر الحكيم قد ركّب فى وجود الإنسان الحواس ، والحسيات ، والأجهزة لإحساس أنواع نعمه ، ولإذاقة أقسام تجليات أسمائه . والغاية من الحياة إظهار آثار تجليات أسماء الله الحسنى ، مع ذيلها .

- الرسالة الثانية عشرة : نقطة من نور معرفة الله جل جلاله . وهى تتكلم عن توحيد الله تعالى

- الرسالة الثالثة عشرة : نور من أنوار نجوم القرآن . والرسالة بحد ذاتها أصول موجزة وأسس ملخصة لأجزاء رسائل النور ، ومن هنا فلها أهمية خاصة^(١) .

ورسائل النور التى كتبت باللغة العربية هى أولى كتابات النورسى ، وما كتبها إلا لنفسه ، ثم نظر فوجد أن هذه النعمة من شكرها نشرها ، لعل أن ينتفع بها أناس كثر . فيمكن لمن ضل من جهة الفكر والعلم أن يستفيد منها ما ينجيه من مزلق الأفكار الفلسفية . بل يمكن أن يستخرج منها بالتهذيب والتنظيم ، والإيضاح عقائد إيمانية ، وعلم للكلام من نوع جديد ، فى غاية القوة والرصانة لرد ضلالات وأفكار هذا الزمان^(٢) .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . المثوى العربى النورى ، ص ٤٣٦ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . المثوى العربى النورى ، ص ٢٠٦ .

ثانياً : إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز :

هو تفسير للقرآن الكريم ، يشتمل على سورة الفاتحة ، وسورة البقرة حتى الآية " وعلم آدم الأسماء كلها " (١) . صدق الله العظيم
ولقد تم تأليف هذا الكتاب في السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى على جبهة القتال دون مرجع معين . وكانت السمة الغالبة على الكتاب ما يلي :

- ١- أن الزمان لم يكن يسمح بالبيان والإيضاح .
 - ٢- كان النورسي - رحمه الله - يضع درجة فهم طلبته الأذكياء جداً موضع الاعتبار ، ولم يكن يفكر في فهم الآخرين .
 - ٣- لما كان يبين أدق وأرفع ما في نظم القرآن من الإيجاز ، فقد كان مضطراً إلى التعبير عنه بعبارات مختصرة .
- ثالثاً : صيقل الإسلام : هذا الكتاب عبارة عن وصفة طبية لعصر مريض ، وهو يتضمن الآتي :

(١) محاكمات عقلية في تفسير ما أشار إليه القرآن الكريم من علم السماء ، وعلم الأرض وعلم البشر . إلا أنه لم يتيسر للنورسي تأليف هذه الكتب ، إذ باشر بتأليف تفسيره " إشارات الإعجاز " في خضم معارك الحرب العالمية الأولى ، ولم يتمه - أيضاً - حيث صرفه المولى القدير إلى تأليف رسائل النور إنفاذاً للإيمان . ومحاكمات عقلية - أيضاً - في البلاغة والعقيدة .

(٢) قزل إيجاز (*) على سلم المنطق : وهو عبارة عن حاشية الأستاذ النورسي على " السلم المنورق " المنظوم لشيخ الإسلام عبد الرحمن الأخصري (٩٨٣هـ) في علم المنطق ، مع شرح الملا عبد المجيد .

(١) سورة البقرة : آية ٣١ .

(*) قزل إيجاز : اسم مركب من التركية والعربية . فكلمة " قزل " تعنى بالعربية : العرج الشديد . أما إذا اعتبرنا اسم الرسالة اسماً تركيا فهو يعنى : الإيجاز المتقد ؛ الإيجاز الأحمر إلى حدّ الجمره .

(٣) تعليقات على برهان الكلنبوي : وهى رسالة فى علم المنطق - أيضاً - ، وهى عبارة عن تعليقات وتقريرات الأستاذ النورسى على كتاب " البرهان " للعالم المحقق إسماعيل بن مصطفى الكلنبوي (١٢٠٥ هـ) .

(٤) السنوحات .

(٥) المناظرات .

(٦) المحكمة العسكرية العرفية : وهى دفاع النورسى أمام المحكمة العسكرية العرفية فى عهد الاتحاديين .

(٧) الخطبة الشامية : أُلقيت فى الجامع الأموى بدمشق سنة ١٩١٠م ، بين فيها أمراض المسلمين ، وكيفية العلاج .

(٨) الخطوات الست : والتي يحذر فيها من اتباع خطوات الشيطان ووسوسته . وقد انتشرت هذه الرسالة حينما تسلط الاستعمار على استانبول . ومن الكتب التى كتبها الأستاذ النورسى باللغة التركية " الملاحق " ، وهى تعنى الرسائل الملحقة بالكتاب بعد الفراغ منه . إلا أن ملاحق رسائل النور واكبت تلك الرسائل منذ شروع النورسى بتأليفها فى " بارلا " عام ١٩٢٧م ، واستمرت معها لحين ارتحاله عام ١٩٦٠م .

والملاحق هذه عبارة عن مجموعة مكاتيب جرت بين الأستاذ النورسى وطلابه الأوائل . طابعها العام توجيهى إرشادى يبين أهمية رسائل النور ومنهجها فى الدعوة إلى الله . كما تكتنفها مكاتبات ودية يبين فيها الطلاب مدى استفاضتهم الروحية من رسائل النور ، واستفادتهم العقلية منها ، وكيف أنها حولت مجرى حياتهم ، وفتحت أمامهم آفاقاً معرفية واسعة .

وتتضمن " الملاحق " أيضاً توجيهات لتقويم السلوك ، وكيفية التعامل مع الآخرين ، والحث على الإيمان العميق ، والعمل المتواصل ، والترابط الوثيق ، والاعتصام بالكتاب والسنة . مع التأكيد على العبادة ، وشحن القلب بالدعاء والذكر ، والتفكر الإيمانى ، مع دوام الاستغفار والإنابة إلى الله تعالى (١) .

(١) إحسان قاسم الصالحى . ما الملاحق؟ عنوان فى: بديع الزمان سعيد النورسى . الملاحق ، ص ٥ .

ولقد امتازت هذه الملاحق بطابع دعوى خاص فى مخاطبة المحبين
والمناصرين للدين ، وحثهم جميعاً للزود عن الإسلام وعقيدته وتاريخه .

ونختم هذا الفصل بأهم ملامح ودلائل رسائل النور ، وكذلك أثرها على
المؤلف ، وعلى البلاد والعباد .

١- هناك من الرسائل ما يكفى لإزالة أمراض القلب ، وتوير
الروح ، وبث الفرح والسرور وإن لم تصل اليد إلى غيرها من المؤلفات .
إلا أنها تحتاج إلى قراءة متأنية ، مع إمعان وتدقيق ، ومن ثم إلى تحليل
فكرى ، وعمل عقلى ، وذلك بسبب أسلوبها الرفيع . لكن لكل طبقة مشربها
من تلك الرسائل .

٢- هناك من يعتقد أن الزمان سيظهر قيمة رسائل النور ، وأنها
ستكون أنشودة تترنم بها الألسنة، وتجول شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً بإذن
الله .

٣- إن الأنوار القرآنية المسمّاة بـ " الكلمات " هى من نوع العبادة
الفكرية التى تعدّ من أعظم العبادات^(١) .

٤- سبب استهلال النورسى لرسائل النور كلها بالآية القرآنية
الكريمة " وإن من شىء إلا يسبح بحمده "^(٢) . أنها أول باب فتح له من خزائن
القرآن الكريم .

٥- تخلل الرسائل بسؤال ، ومن ثمّ الإجابة على هذا السؤال . كما
فى المقام الثانى من المکتوب الخامس عشر^(٣) .

٦- استعمال أسلوب الحكايات فى الرسائل . وعلى سبيل
المثال، الحكاية الثانية فى المکتوب السادس عشر^(٤) .

٧- توقيير العلماء الآخرين ، لقد بيّن النورسى مهمة رسائل
النور، وطلابها فى الحفاظ على مسلك حجة الإسلام " الإمام الغزالى "، والزود

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص ٧٩ .

(٢) سورة الأسراء : آية ٤٤ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى. المکتوبات ، ص ٦٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨١ .

عنه قدر الإمكان ، مع إنقاذه من هجمات أهل الضلالة . وقد قال النورسي عن مؤلفات أمثال هؤلاء العلماء: " نحن نحب تلك الآثار الطيبة الميمونة لأساتذتنا الساميين أولئك بقدر ما نحب أرواحنا وكياننا^(١) .

٨- استخدام كلمة " المسألة " . كالمسألة الأولى .. كنوع من التسلسل في شرح الرسائل كالموجودة في المکتوب الثامن عشر . كذلك استعمال لفظ " الإشارة البليغة " ، كالإشارة البليغة الأولى .. وقد استخدم النورسي هذا الأسلوب في المعجزات الأحمديّة ضمن المکتوب التاسع عشر . كما استعمل في نفس المکتوب لفظ " الأساس الأول .. وقس على ذلك استخدام الألفاظ التالية في رسائل النور : نكتة - مقدمة - المثال - الحادثة، كما في الإشارة الخامسة من المعجزات الأحمديّة ضمن المکتوب التاسع عشر - الشعبة - الحجة - تنبيه ، لشد الانتباه إلى ما سيقل - القسم - الحاصل ، كنوع من التعقيب الموجز على الموضوع ، كما حدث في مؤخرة الإشارة السادسة عشر ضمن المکتوب التاسع عشر^(٢) .

كذلك استخدام ألفاظ : رشحة - الأدلة - الإجماع للبرهان على صحة ما يقول كما في الذيل الثالث من المکتوب التاسع عشر - المقام - الكلمة - المبحث - الوجه - الدستور - صفوة القول - الرمز - القاعدة كما في اللمعة الثانية عشرة - المقام ، كما في اللمعة الرابعة عشرة - الخاتمة - المذكرة وكأنها موجهة إلى أشخاص معينة ، كما في اللمعة السابعة عشرة ضمن المذكرة الثالثة الموجهة إلى " السعيد الغافل " ، وكان المقصود منها "النورسي نفسه"^(٣) .

٩- ذيل بعض الرسائل أصبح رسالة مستقلة ، كذيل اللمعة السادسة والعشرين ، التي أصبحت المکتوب الحادي والعشرين ، وقد نشر ضمن " المکتوبات "^(٤) .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص ١٩٣.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، المکتوبات، ص ٢٣٤.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص ١٧٥.

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ص ٤٠٩.

- ١٠- تخلل الرسائل التي كتبت بالعربية بمناجاة خطرت إلى قلب الأستاذ النورسي باللسان الفارسي^(١) . وكذلك الخطاب الموجه إلى مجلس الأمة في ١٩/١/١٩٢٣م كان بالتركية ضمن الرسائل التي كتبت بالعربية أصلاً .
- ١١- احتواء الرسائل على بعض المسودات المصححة من قبل النورسي ، وقد انسكب عليها الحبر^(٢) .
- ١٢- بيركة رسائل النور ، فإن ولايتي " إسبارطة " و "قسطموني" ، وهما مركزا انتشار رسائل النور محفوظتان من الآفات السماوية خلافاً لسائر الولايات .
- ١٣- كان النورسي يضم في دعائه كل أقرباء طلاب النور المنشغلين برسائل النور ، من أزواج وأولاد ، والدين . حيث كان انخرط بعض الأشخاص في دائرة النور مع عوائلهم وأولادهم ومتعلقاتهم .
- ١٤- كان النورسي عند مطالعته لبعض رسائل النور ما يقرب من الخمسين مرة أو يزيد ، وفي كل مرة يجد لذة جديدة ، ويشعر بحاجة إلى قراءة أخرى . إلا أن غيره قد يقرأ في الرسائل مرة واحدة ويكتفى بها وكأنها كسائر الرسائل العلمية .
- ١٥- إن رسائل النور تضع بدلاً من حب الجاه ، ابتغاء مرضاة الله النابعة من الإيمان به سبحانه وبدلاً من الخوف والوقوع في الشكوك والأوهام ، الإيمان بالقدر ، وبدلاً من الحرص والطمع الإيمان بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وبدلاً من الأحاسيس والمشاعر العنصرية ، الإيمان بالرسول الكرام ، وفي مقدمتهم محمد بن عبد الله سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، وبدلاً من الأنانية وحب الذات الاعتراف بالعجز والتقصير .
- ١٦- علم النورسي بالأمور الاجتماعية ، وعلم التاريخ الإسلامي ، وعلوم الطب ، وباقي العلوم الأخرى .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. المثنوى العربي النوري ، ص١٩٦ ، ص٢٠٠ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، ص ٢٨٩ .

١٧- وجود أكثر من مقدمة فى الموضوع الواحد^(١) .

١٨- موقع الآية الكريمة { قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك

أنت العليم الحكيم }^(٢) صدق الله العظيم

فى رسائل النور ، إنها جاءت على لسان النورسى دون اختيار منه فى ختام معظم " الكلمات " ، و " المكتوبات " من رسائل النور . فجميع الكلمات ما هى إلا تفسير حقيقى لهذه الآية الكريمة ، حتى لكأن كل كلمة من " الكلمات " تتبع من هذه الآية الكريمة .

١٩- ما من فكرة شرحها أو بسطها أو مثل عليها إلا تجد لها بذوراً

موجزة أو مفصلة فى كتاب " إشارات الإعجاز فى مغان الإيجاز " لا سيما فى عرض أصول العقيدة الإسلامية بأسلوب عبرى علمى ، غير أنه اتجه فى هذا الكتاب إلى مخاطبة خاصة تلامذته .

٢٠- إن سبب إطلاق اسم رسائل النور على مجموع الكلمات

(وهى ثلاث وثلاثون كلمة) والمكتوبات (وهى ثلاثة وثلاثون مكتوباً) ، واللمعات (وهى ثلاث وثلاثون لمعة) ، والشعاعات (وهى خمسة عشر شعاعاً) هو :

أن كلمة النور قد جابهت الأستاذ النورسى فى كل مكان طوال

حياته ، فقريته اسمها نورس واسم والدته " نورية " ، واسم أستاذه فى الطريقة النقشبندية " سيد نور محمد " ، وأحد أساتذته فى الطريقة القادرية " تور الدين " ، وأحد أساتذته فى القرآن " نورى " ، وأكثر من يلزمه من طلابه يسمون باسم " نور " ، ثم أكثر ما حل مشكلاته فى الحقائق الإلهية اسم "النور "

٢١- إن رسائل النور تزيد على المائة والثلاثين رسالة ، لا تبحث

بحثاً مقصوراً فى أمور الدنيا والسياسة ، وإنما تخص أمور الآخرة والإيمان . إلا أنه أوقف بسببها وحوكم ، واضطهد ، ونفى وعذب ، وهو صابر

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٩ ، ص ٨٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ٣٢ .

محتسب . وقد قال نابليون " أتونى جملة لا يمكن تأويلها ، وأنا أحكم بها عليكم بالإعدام " (١) .

٢٢- إن أرقام رسائل النور ليست مطردة مع ترتيب أو تسلسل تأليفها . فالمكتوب الثالث والثلاثون مثلاً ، ألف قبل المكتوب الأول . كما أن أصل الشعاع الخامس مع بعض أجزاء رسائل النور تم تأليفها قبل رسائل النور (٢) .

٢٣- إن رسائل النور قد استطاعت فى مدى عشرين عاماً أن تجعل أكثر من مائة ألف رجل أعضاء نافعين للبلاد والعباد دون أن يتأذى أو يتضرر منهم أحد من الناس .

٢٤- توقيع بعض الرسائل بكلمة " الموقوف " سعيد النورسى . وقد قام بطبع بضع نسخ بالحروف اللاتينية من رسالة الثمرة التى تعد بمثابة دفاع عنه ، وعن رسائل النور بغية إرسال نسخ منها إلى وزارة العدل ، وإلى مجلس الوزراء ، ومجلس النواب ، والشورى .

وقد انتهى النص فى الشعاع الحادى عشر " الثمرة " عند قول الأستاذ فتأملت فيها فوجدتها مطابقة تماماً للمعنى .. وهى كالاتى : ... وكان الستار قد أسدل أمام الأستاذ فلم يستمر بالكتابة . أو لعل الظروف المحيطة به حالت دون ذلك ، فاكتفى بالفقرات السابقة .

٢٥- العبارات التى بين [] كتبت أصلاً باللغة العربية .

٢٦- استخدام العبارات باللغة العربية بين أسطر الرسائل مثل

سبحانك - لا قدرة لنا - إنك أنت العزيز الحكيم (٣) .

ومن استعراض رسائل النور نجد أن الأستاذ النورسى قد تأثر بالأدب العربى ، وبالثقافة الإسلامية ، كما تأثر بالثقافة الفارسية الإسلامية .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٥٤٣ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٤٢٠ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى . المكتوبات ، ص ٦٠٠ .

الفصل الثاني

محتويات رسائل النور

- ١ - عقيدة .
- ٢ - عبادات .
- ٣ - سياسة .
- ٤ - فقه - رد الشبهات - الاجتهاد .
- ٥ - بلاغة - أدب - شعر .

(١) رسالة عقيدة، رسالة عبادات، رسالة سياسة، رسالة فقه، رسالة بلاغة، رسالة أدب، رسالة شعر.

إن رسائل النور تحتوى على شريعة الإسلام ، وعقائد الإيمان ، كما أنها دعاء وحكمة وعبودية ودعوة ، وذكر وفكر ، وحقيقة وتصوف ، ومنطق وعلم كلام ، وحث على العمل وإلجام المعارضين وإسكاتهم .. كما أن رسائل النور تعالج القضايا الأساسية في حياة الفرد والمجتمع ، إذ تنشئ عنده تصورات إيمانية جديدة ، وتهدم تصورات فاسدة ، وسلوكيات شائنة .. ووسيلتها في ذلك هي إقامة الحجج الفطرية ، والبراهين الدامغة .. كل ذلك مع إشباع الروح .

كما أنها تدور حول معانى التوحيد بدلائل متنوعة ، وحقيقة الآخرة ، وصدق النبوة ، علاوة على ما تبثه من أمور الدعوة إلى الله تعالى ، ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمور اجتماعية وسياسية مختلفة (١) .

وطالب النور بعد أن يستيقن الإيمان ، ويستقر في قلبه بدراسته لـ (الكلمات) ، ينتقل إلى " المكتوبات " ليخترق أجوبة شافية لأسئلة كثيرة جداً ، أو ليعيش في صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم ينتقل إلى "اللمعات " ليعيش مع الأنبياء عليهم السلام ، وليأخذ حذره من الشيطان الرجيم ، ومكائده ، وضلالات العلوم الحديثة " خاصة الفلسفية " ، حتى يرقى في النهاية إلى تذوق معانى الأسماء الحسنى . أما إذا رأى في نفسه خوفاً أو تردداً أمام أهل الضلالة وملاحقتهم له ، فعليه أن يقرأ " الشعاعات " حيث فيها التوحيد الخالص ، وأمور الدجال (٢) .

وحيث إن الأحداث اليومية ، ومجاهدة النفس والناس تتجدد يومياً ، فلا بد لطالب النور من فقه العمل ، ويجد ذلك الفقه في " الملاحق " . أما الموازين الاجتماعية ، والسياسية ، فإن رسالة " الخطبة الشامية " تضم أسسها العامة ، وتحتوى الرسائل الأخرى بعضاً منها .

ونتناول محتويات رسائل النور بشيء من التفصيل بعد الإجمال :

(١) إحصان قاسم الصالحى ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٨-١٩٩ .

أولاً : من ناحية العقيدة :

ويقف على رأس الأمور في هذه العقيدة الإيمان بالله تعالى :

(١) الإيمان بالله تعالى :

إن عدم معرفة الله سبحانه وتعالى هو الذى أوقع متعلمى الفلسفة، والنفس الأمارة بالسوء فى الضلالة . كما أن عدم الاعتقاد بالإله الواحد يستلزم الاعتقاد بآلهة متعددة بعدد الموجودات .

والله جل جلاله هو الرزاق ذو القوة المتين ، فكل كائن يأتيه رزقه رغداً من كل مكان ، بل يمنح سبحانه أضعفهم ، وأشدهم عجزاً لأطف الأرزاق ، وأحسنها ، كاللبن الحار شتاءً ، البارد صيفاً للأطفال الرضع، وكبدانة الأسماك البليدة . أما الثعالب والقردة ذوو الذكاء والحيل فيعطيه الله تعالى الهزال .

كما أنه سبحانه ذو رحمة واسعة . يظهر ذلك جلياً فى قيام النباتات والحيوانات التى لا وعى لها ولا شعور بأعمال فى منتهى الوعى والشعور؛ كإعداد شجرة التين لثمارها لبناً خالصاً من الطين^(١) .

والنباتات ، والجمادات ، أعمالها خالصة لله تعالى ، ولها نوع من التلذذ فى أدائها لوظائف التلقيح والتوليد ، وإنماء الثمار . إلا أنها لا تتألم قط بخلاف الحيوانات التى لها آلام ممزوجة باللذائذ ، حيث أن لها بعض الاختيار .

كما أن أنواع النباتات ، وطوائف الحيوانات المنتشرة على الأرض، وكأنها جيش هائل عظيم ، نرى أن كل نوع له رزقه المختلف عن الآخر ، وصورته المتباينة ، وأسلحته المتنوعة وملابسه المتميزة ... كل ذلك يجرى فى نظام متقن ، ووفق تقدير دقيق . فإدارة هذا الجيش العظيم، وتربية أفراده دونما نسيان لأحد ولا التباس ، لهى آية ساطعة كالشمس للواحد الأحد . والمطر والقمر والنجوم .. كلها مخلوقات مأمورة

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. الكلمات ، ص٦٦ .

بأمر الله ... والجبال ، والشجر ، والدواب كلها تدل على وجود الخالق . قال تعالى : " الذى أحسن كل شىء خلقه " (١) . صدق الله العظيم ولا يعلم الغيب إلا الله . فعلم البشر لا يستطيع أن يحدد وقت نزول الغيث . أما الإحساس بواسطة أجهزة المراصد العلمية عن مقدمات وقت نزول المطر ، ومن ثم تعيين وقته فهذا ليس علماً بالغيب ، بل هو علم بالاطلاع على بعض مقدمات نزول المطر حينما يقترب إلى عالم الشهادة بعد صدوره من الغيب (٢) .

أين المصادفة التى يُعتقد فيها ، والطبيعة التى يُعتمد عليها ، وهى بلا شعور ؟ انظر إلى الرياح والأعاصير ، وسرعتها فى تنفيذ قدر الله وأمره . وانظر إلى الينابيع والجداول والأنهار ، وتأمل فى تفجرها من الأرض أو الجبال ... وانظر إلى السحب الثقال ، وهى تسبح بحمد ربها ، وانظر إلى السماء ، وتمعن فى النظر إلى القمر وحده ... مع هذا كله ، هل يستطيع أى إنسان أن يسكت هذه الأصوات المدوية كرجود السماء؟ (٣)

والأحياء جميعها ، مثلما تدل بوجودها على الخالق الحى ، فإنها تشهد بموتها على سرمدية الحى الباقي ، وعلى وحدانيته .

وأى مخلوق لا يستطيع أن يوجد ولو جسم ذبابة واحدة ، أو أقل من ذلك أو أكثر ، لأنه خلق من مخلوقات الله تعالى .

وقوام الدين فى الإسلام " التوحيد " ، والفكر الإسلامى فكر شامل ، والدين جزء منه لا ينفصل عنه أبداً . وقد عرفت الجزيرة العربية "التوحيد" منذ دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام وبناء الكعبة . ولابد من توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء الحسنى .

" والتوحيد " هو مفهوم الفطرة السليمة ، التى تتمثل فى أنه لا معبود ولا خالق ، ولا رازق ، ولا ضار ، ولا نافع غير الله سبحانه وتعالى . كما أن التوحيد فى مفهومه الأصيل هو أن يتقى الانسان ربه فى كل أعماله، ولا

(١) سورة السجدة : آية ٧ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . اللغات ، ص ١٦٨ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى . الكلمات ، ص ٨٠٦-٨٠٧ .

يرى سوى الله وحده سيداً ، وهدفاً . وليس غيره من يخشى أو إليه يلتجئ . فإذا عرف الإنسان مفهوم " التوحيد " معرفة كاملة دفعه ذلك إلى الخير .. فلا يرى غير الله ، ولا يخشى سواه^(١) .

والتوحيد الذي يدعوننا إليه " المثنوى العربي النورى " ليس تقريرياً، ولا تلقينياً ، ولا تقليدياً ولا ترديدياً ، بل استكشافياً ... يجول فى أغوار النفس الإنسانية ، وفى أنسجة الروح والفكر ، والضمير ... لتنهض الهمم ، وتعرف الطريق إلى الله تعالى^(٢) .

ومذهب وحدة الوجود دخيل على الفكر الإسلامى ، والثقافة العربية . وهو من المذاهب القديمة المرتبطة بالوثنية والمجوسية ، وفلسفات الإغريق والهنود والفرس . وتعنى وحدة الوجود تأليه المخلوقات ، واعتبار الكون هو الله . وهذه دعوة تتناقض مع جوهر العقيدة الإسلامية تناقضاً مطلقاً ، بحيث لا يمكن التوفيق بينها وبين عقيدة التوحيد بأى جهة من الجهات . ويستتبع الإيمان بالله تعالى ، الإيمان بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره ...

(٢) الإيمان بالملائكة :

والملائكة الكرام ، هم سكان السماء ، وهم مطيعون يفعلون ما يؤمرون ، كما أنهم مفظورون على النقاء والصفاء ، معصومون لا ذنب لهم ... خلقوا من نور . وفى المقابل نرى الأرض ، وقد اجتمع فيها الأضداد، واختلط الأشرار بالأبرار مما ولد الاختلافات المؤدية إلى القلاقل والمشاجرات^(٣) .

وكما أن الأجسام أجناس مختلفة ، فإن الملائكة كذلك ! إذ ليس الملك الموكل بالغيث من جنس الملك الموكل على الشمس كما يوجد ملك

(١) أنور الجندى. الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى ، ص ١٩٣ .

(٢) أديب إبراهيم الدباغ. المدخل ، مقال فى : بديع الزمان سعيد النورسى. المثنوى العربي للنورى، ص ١٥ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى. الكلمات ، ص ٢٠٤ .

للجبال، وآخر للبحار ... والقرآن الكريم يذكر الملائكة بأنهم " بل عبد
مكرمون " (١) .

ومن الممكن ظهور الملائكة للعيان في صور مختلفة ، أو بهيئتهم
كما أن عبادتهم في غاية الكمال والانتظام . وهم يشاركون أهل الإيمان في
معاركهم المقدسة ضد أعداء الله . قال تعالى : { إذ يوحى ربك إلى الملائكة
أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا
فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان } (٢) .

والملائكة تتمثل بعدة أشكال في وقت واحد . فعندما كان جبرائيل عليه
السلام يتمثل أمام الرسول عليه السلام في مجلس الصحابة الكرام رضوان
الله عليهم في صورة الصحابي الجليل " نحية الكلبى " ، كان يتمثل في
اللحظة نفسها في ألوف الأماكن في صور مختلفة بالإضافة إلى سجوده تحت
عرش الرحمن الأعظم مطبقاً الأفاق بأجنحته الواسعة المهيبة شرقاً وغرباً .
فله إذاً تمثل في كل مكان حسب قابلية ذلك المكان ، وله حضور في آن واحد
في ألوف الأماكن (٣) .

وهناك علاقة بين سيدنا " آدم " عليه السلام ، وبين الملائكة . قال
تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئوني
بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين " (٤) . وهذه الآية الكريمة تبين أن تعليم
الأسماء لسيدنا آدم عليه السلام تعتبر معجزة من معجزاته تجاه
الملائكة، إظهاراً لاستعداده للخلافة في الأرض . وإن هذا التعليم هو الذى
أهل الإنسان لينال أفضلية ، ليس على الملائكة وحدهم ، بل - أيضاً - على
السموات والأرض والجبال ، فى حمل الأمانة الكبرى (٥) .

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٦ .

(٢) سورة الأنفال : آية ١٢ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى . المكتوبات ، ص ٤٥٣ .

(٤) سورة البقرة : آية ٣١ .

(٥) بديع الزمان سعيد النورسى . الكلمات ، ص ٢٧٠ .

ومن الملائكة من يحمل عرش الرحمن . قال تعالى : " ... ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " (١) ، ومنهم من يقوم بتبليغ رسالات الله تعالى إلى رسله ، قال تعالى : { نزل به الروح الأمين } (٢) ، ومنهم من هو موكل بقبض أرواح الخلائق ، قال تعالى : " قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ، ثم إلى ربكم ترجعون " (٣) . ولقد شكوا عزرائيل عليه السلام إلى رب العزة قائلاً " إن عبادك سوف يشتكون منى ويسخطون علىّ عند أدائى لوظيفة قبض الأرواح " (٤) . إلا أن الله تعالى وضع بين ملك الموت وبين عباداه ستائر المصائب والأمراض لتتوجه شكواهم إلى تلك الأسباب . والملائكة يتلذذون ويتغذون ، ويتعمون بأنوار الذكر والتسبيح ، والحمد والعبادة ... والطيب .

(٣) الإيمان بالكتب السماوية :

إن الصحف السماوية ، والكتب المقدسة جميعها قد حكمت فترة من العصور والأزمنة ، وقد صدقت بكثير من الدلائل دعوى القرآن الكريم أنه من عند الله .

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المقدس الجامع لكل الكتب ، التى تحقق جميع حاجات الإنسان المعنوية . وهو كلام الله الذى تحدى به أنكى بلغاء بنى آدم ، وأبرع خطبائهم ، وأعظم علمائهم فما عارضوه ، بل خضعت رقابهم بذل وهوان ، قال تعالى : " وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ... " (٥) .

وهناك إعجاز فى بلاغة القرآن الكريم . قال تعالى : " ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن ياويلنا إنا كنا ظالمين " (٦) وهذه الآية إنما تدل

(١) سورة الحاقة : آية ١٧ .

(٢) سورة الشعراء : آية ١٩٣ .

(٣) سورة السجدة : آية ١١ .

(٤) بديع الزمان سعيد النورسى . الكلمات ، ص ٣٢٧ .

(٥) سورة البقرة : آية ٢٣ .

(٦) سورة الأنبياء : آية ٤٦ .

على هول العذاب ، وذلك بإظهار التأثير الشديد لأقله . فالإيجاز هو أساس إعجاز القرآن الكريم وأقواه . وقال تعالى : " ومما رزقناهم ينفقون " (١) .
فالمال مال الله تعالى ، وعلينا أن ننفقه باسمه سبحانه ، إلا أن الآية تحمل تعميماً ، فى التصدق سواء كان بالمال أو العلم ، أو القول والفعل ، أو النصيحة ..

كما أن هناك إبداعاً خارقاً فى أسلوب القرآن الكريم ، فهو لم يقلد أحداً قط ، ولا يستطيع أحد أن يقلده . وهناك من المشركين من سجد عند سماعه لإحدى آيات القرآن الكريم {فاصدع بما تؤمر } (٢) .
وهناك - أيضاً - الفصاحة الخارقة فى اللفظ . والدليل على ذلك هو عدم إيرائه السأم والملل ، وأنه لا يتثقل على ذهن صلب بسيط فيستطيع حفظه . ولا تسأم منه أذن المصاب بداء عضال ، فى حين أنه يتأذى من أدنى كلام ، ويتلذذ بسماع القرآن الكريم ، لأنه قوت وغذاء للقلوب ، وقوة وغناء للعقول (٣) .

والقرآن الكريم فيه من براعة البيان ما فيه ، ففى سورة " ق " مثلاً : نجد أنها تثبت الحشر والقيامة ببيان رفيع جميل باهر ، مما يفيد أن مجيء هذا اليوم لا ريب فيه (٤) .

كما أن القرآن الكريم لا يدع ثغرة شيطانية ينزوى فيها أهل الضلالة إلا ويسدها ، ولا يدع ستاراً يتسترون تحته إلا ويمزقه ، ولا يدع كذباً إلا ويفنده .. كما أنه يصحح عقائد الأديان الأخرى ، قال تعالى " أم عندهم الغيب فهم يكتبون ... أم لهم إله غير الله سبحانه الله عما يشركون " (٥) .

(١) سورة البقرة : آية ٣ .

(٢) سورة الحجر : آية ٩٤ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى . الكلمات ، ص ٤٣٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٤١ .

(٥) سورة الطور : آية ٤١ ، آية ٤٣ .

والقرآن الكريم يحدث كل الأعمار والثقافات من بنى البشر ، كما أنه يخاطب الجن ، قال تعالى " قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجياً " (١) ، وهو موضع رضا الإنسن والجن والملائكة ، وذلك بالحدس الصادق الناشئ من إمارات عديدة ، حيث يجتمعون حوله عند تلاوته كالفراش حول النار ، وهو مصدق من قبل الفطرة السليمة ، مالم يعتربها عارض . وهو خير دليل يعرفنا بربنا سبحانه وتعالى ، وهو كتاب ذكر ، ودعاء ، ودعوة ، وفكر .. وتكراره أحسن وأبلغ ، بل ألزم ، وليس كما ظنه القاصرون (٢) .

وهناك الجامعية الخارقة فى معانيه ، وفى علمه ، وفى مباحثه .. فهو يضم بين دفتيه أشياء مهمة أساسية ابتداء من خلق الإنسان نطفة حتى دخوله القبر .. ومن آداب الأكل ، والنوم إلى مباحث القضاء والقدر ، ومن خلق العالم فى ستة أيام إلى وظائف هبوب الرياح اللوائح .. (٣) .

كما أخبر القرآن الكريم عن الغيب من لدن آدم عليه السلام إلى خير قرن سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، مع ذكر أهم أحوال الأنبياء عليهم السلام ، أحداثهم المهمة . يذكرها ذكراً فى منتهى القوة ، وغاية الجد ، وبتصديق من الكتب السابقة كالتوراة ، والإنجيل فىوافق ما اتفقت عليه تلك الكتب السابقة ، مع تصحيح حقيقة الواقعة (٤) .

وقد أخبر القرآن الكريم عن المستقبل ، قال تعالى " غلبت الروم .. فى بضع سنين .. " (٥) .

والإخبار عن الغيب دون تردد ، وبكمال الجد والاطمئنان على لسان من هو معرض للاعتراضات من قبل المعترضين وانتقاداتهم ، بل

(١) سورة الجن : آية ١ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . المكتوبات ، ص ٢٤٩ ، ص ٢٦٧ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى . الكلمات ، ص ص ٤٥٧ - ٤٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ٤٦٨ .

(٥) سورة الروم : آية ٢-٤ .

ربما يفقد دعواه لخطأ طفيف ، وإنما يدل دلالة قاطعة على أنه صلى الله عليه وسلم قد تلقى القرآن من لدن حكيم خبير .

وللقرآن الكريم شبابه ، وفتوحه . فأثار البشر وقوانينه تشييب وتهرم مثله ، كما أنها تتغير وتتبدل ، إلا أن أحكام القرآن الكريم وقوانينه لها من الثبات ، والرسوخ ، بحيث تظهر متانتها أكثر كلما مرت الأزمنة والعصور . وهو يخاطب كل طبقة من طبقات الناس ، فى كل عصر من العصور ، وكأنه متوجه توجهاً خاصاً إلى تلك الطبقة بالذات .

ولا يمكن لكل أحد فى كل وقت قراءة تمام القرآن الذى هو دواء وشفاء ، لذا صارت كل سورة من سوره وكأنها القرآن الكريم كله . والقرآن الكريم يبحث عن مسائل عظيمة ، ويدعو القلوب إلى الإيمان بها ، ويدعو العقول إلى معرفتها ، ولا بد لتقريرها فى القلوب ، وتثبيتها فى أفكار العامة من التكرار فى صور مختلفة ، وأساليب متنوعة (١) .

وما دام القرآن الكريم مرشداً ، فمن شأن بلاغة الإرشاد مماثلة نظر العوام ، وأبلغ الخطاب معهم أن يكون القرآن الكريم بسيطاً سهلاً ، لا يعجزهم ، وجيزاً لا يملهم ، مجملاً فيما لا يلزم تفصيله لهم ، مع ضرب الأمثال لتقريب ما دقّ من الأمور إلى فهمهم . وهناك فى القرآن الكريم حوادث جزئية لبيان دساتير كلية ، حيث يعلمنا القرآن الكريم أن ذبح بقرة واحدة ، عن طريق سيدنا موسى عليه السلام يعنى ذبح مفهوم عبادة البقر ، ذلك المفهوم الذى سرى فى عروق اليهود ، وتنامى مع استعداداتهم (٢) .

(٤) الإيمان يرسل الله تعالى :

لا يمكن للألوهية أن تظهر نفسها إلا بإرسال الرسل الكرام عليهم السلام . والنبى صلى الله عليه وسلم هو إمام جميع المرسلين .. وصاحب ألوف المعجزات ؛ كشق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة .. عدا القرآن الكريم الذى هو بحر الحقائق ، والمعجزة الكبرى الدالة على نبوته عليه السلام .

(١) بدیع الزمان سعید النورسی . الكلمات ، ص ٢٦٥ .

(٢) بدیع الزمان سعید النورسی . الكلمات ، ص ٢٧١ .

ولقد صارت معجزة الأنبياء عليهم السلام واقعاً عملياً فى حياة الناس برحمة من الله تعالى . قال تعالى " ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر " (١) . وهذه الآية إنما تدل على تسخير الريح لسيدنا سليمان عليه السلام . أى أنه قطع مسافة شهرين فى يوم واحد ، والآية تشير إلى أن الطريق أمام البشر مفتوح لقطع مثل هذه المسافة فى الهواء ، وقد حدث .
وقال تعالى " وأبرئء الأكمه والأبرص ، وأحى الموتى بإذن الله " (٢) . وهذه مهنة مقدسة وطب ربانى عظيم ، فكل داء مهما كان له دواء ، وعلاجه ممكن ، فابحث عنه . وقال تعالى " وألنا له الحديد " (٣) .
وهذه نعمة إلهية عظمى . كما قال الله تعالى " وآتيناها الحكمة وفصل الخطاب " (٤) .

فعندما أطاع " داود " عليه السلام ، وخضع لأمر ربه ، أوتى فصل الخطاب ، وملىء قلبه حكمة ليفصل كل شىء على بينة ووضوح . كما أعطى الله تعالى سيدنا سليمان عليه السلام الملك والنبوة معاً ، وأكرمه بمعجزة يتمكن بها من الاطلاع المباشر بنفسه ، وبلا تكلف ، ولا صعوبة على أحوال رعاياه ، ومشاهدة أوضاعهم ، وسماع مظالمهم ، فكانت هذه المعجزة مناط عصمته ، وصونه من الشطط فى أمور الرعية (٥) .

ومن دلائل النبوة :

(١) الحوادث الخارقة التى وقعت قبل النبوة ، وبعدها تصديقاً لنبوته عليه السلام .

(٢) الخوارق التى ظهرت فى فترة حياته المباركة عليه السلام .

ولو كان فى جميع أفعاله خارقاً للعادة ، خارجاً عن طور البشر ، لما تسنى له عليه السلام بأن يكون أسوة يقتدى به . لذا ما كان يلجأ إلى إظهار

(١) سورة سبأ : آية ١٢ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٤٩ .

(٣) سورة سبأ : آية ١٠ .

(٤) سورة ص : آية ٢٠ .

(٥) بديع الزمان سعيد النورسى . الكلمات ، ص ٢٨٣ .

المعجزات إلا بين حين وآخر عند الحاجة إليها بأمر ربه ، إقراراً لنبوته أمام الكفار المعاندين (١) .

ولقد أظهره الله تعالى في تبليغ الرسالة ، وفي دعوة الناس إلى الحق ، ولم يداخله - ولو بمقدار ذرة - أى أثر للتردد ، ولم يساوره قلق قط ، ولم ينل الخوف منه شيئاً ، رغم معاداة الدول الكبرى " الفرس والروم " ، والأديان العظمية له ، وحتى قومه وقبيلته ، فقد ناصبوه العداة الشديد ، فما لانت له قناة واحدة ، فتحدى وحده الدنيا بأسرها حتى نصره الله وأعزه (٢) .

ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب ، ما لم يُعلمه الله ، ففي غزوة بدر الكبرى أخبر عليه السلام عن مصارع الكفار ، وأشار إلى محال قتلهم ، ومصارع رؤسائهم : هذا مصرع أبى جهل ، وهذا مصرع عتبة ، وهذا مصرع أمية .

والكتب السماوية غير القرآن الكريم قد بشرت بمجيء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ففي الإنجيل : " وإنى أطلب من ربي فيعطيكم فارقليطاً يكون معكم إلى الأبد " (٣) .

" قال المسيح ، إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم ليبعث فيكم الفارقليطاً " (٤) .
ومن الأسماء التي وردت في الإنجيل عنه صلى الله عليه وسلم "صاحب القضيبي والهرأوة" ، " أحمد " . أما في التوراة فقد جاء اسمه عليه السلام " أحميد " لأنه يُحيد عن أمته نار جهنم .

ولقد صدق الصحابة الكرام بالاتفاق ، وبإيمان راسخ قوى نبى الله "محمدأ" عليه السلام حتى ساقهم ذلك إلى التضحية ، والفداء بأرواحهم ، وأموالهم ، وعشيرتهم .. وهم الذين كانوا قوماً بدواً ، يقطنون فى مكان خال من مظاهر الحياة الاجتماعية ، والأفكار السياسية ، ولم يكن لهم

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . المكتوبات ، ص ١١٨ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ١٦٨ .

(٣) (٤٠٣) انجيل يوحنا : الاصحاح الرابع عشر .

هدى ، ولا كتاب منير ، وكانوا يموجون فى ظلمة عصر " الفترة " ، ثم صاروا فى زمن يسير أساتذة العالم ؛ مرشدين وسياسيين ، وحكاماً عادلين لأرقي الأمم حضارة ، وعلماً ، واجتماعاً فحكموا العالم شرقاً وغرباً، ورفرت رايات عدالتهم براً وبحراً (١) .

ووالدا الرسول عليه السلام ، كانا من عصر " الفترة " وهما من أهل النجاة ، ومن أهل الجنة ، ومن أهل الإيمان . فمما لاشك فيه أن الله سبحانه وتعالى لا يريد أن يؤلم قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم ، ولا يجرح شفقتة اللطيفة على والديه .. أما عمه " أبو طالب " ، فالشيعة يقولون بإيمانه، أما أهل السنة فأكثرهم ليسوا قائلين بإيمانه (٢) .

ولو لم تكن هناك رسل ، ولا كتب لما عُرِفَت تلك الحياة الأزلية . وإذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون ، وغادره ، مات الكون ، وتوفيت الكائنات . وإذا ما غاب القرآن ، وفارق الكون ، جن جنونه ، وفقدت الكرة الأرضية صوابها ، وزلزل عقلها ، وظلت بلا شعور وقامت القيامة (٣) .
ويوم القيامة يأتى بغته . قال تعالى " وما أمر إلا كالمح البصر أو هو أقرب " (٤) .

كما ينبغى ألا يغيب عن بالنا أن يوم القيامة ليس أجل الإنسانية فحسب، حتى يقاس قربه وبعده بل هو أجل الكائنات ، والسموات ، والأرض ذات الأعمار المهولة ، والتي لا تقاس ولا تحسب .

(٥) الإيمان باليوم الآخر :

كان الصحابة رضوان الله عليهم أشد خشية من يوم القيامة، وأهواله ، مع أنهم كانوا يعيشون فى خير القرون . بل قال بعضهم إن

(١) بدیع الزمان سعید النورسی. المکتوبات ، ص ٢٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩٨ .

(٣) بدیع الزمان سعید النورسی. الكلمات ، ص ١١٩ .

(٤) سورة النحل : آية ٧٧ .

أشراط الساعة وعلاماتها قد تحققت . ويوم القيامة يأتي بغته ، قال تعالى " ..
وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون " (١) .

وهناك فرق بين المعانى التالية :

(أ) الغيلولة : وهى النوم بعد الفجر حتى انتهاء وقت الكراهة .
وهذا مخالف للسنة المطهرة إذ يورث نقصان الرزق وزوال البركة .

(ب) الفيلولة : وهى النوم بعد صلاة العصر حتى المغرب وهذا
يسبب نقصان العمر .

(ج) القيلولة : وهى سنة نبوية شريفة ، يبدأ وقتها من
الضحى إلى ما بعد الظهر بقليل وهذا النوم يعين على قيام الليل ، ويطيل
العمر ، ويزيد الرزق ؛ لأن نصف ساعة من القيلولة يعادل ساعتين من نوم
الليل (٢) .

ولا بد من دار جزاء ، لأنه غالباً ما يظل الظالم فى
عزته، والمظلوم فى ذلته وخنوعه ، ثم يرحلان على حالهما بلا عقاب ، ولا
ثواب . ولقد كان إنزال العقاب فى القرون الغابرة بأقوام
عصت، وتمردت، لدليل على أن الإنسان ليس متروكاً زمامه ، يسرح وفق ما
يملى عليه هواه بل هو معرض دائماً لصفعات ذى الجلال والإكرام . وهل
يمكن أن يترك الإنسان ليذهب إلى قبره لينام هادئاً دون أن يسأل عن كل
صغيرة وكبيرة من أعماله ؟ ودون أن يساق إلى المحشر ليحاكم فى المحكمة
الكبرى ؟ كلا !

والدنيا مزرعة الآخرة . وإنكار الآخرة هو إنكار للدنيا وما فيها . وكما
أن الأجل والقبر ينتظران الإنسان ، فإن الجنة والنار كذلك
تنتظرانه، وتترصدانه . وإن آيات القرآن الكريم التى تخص الجنة ، هى
أجمل من الجنة ، وألطف من حورها ، وأحلى من سلسبيلها . والتلذذ فى
الجنة يكون بالروح والجسد ، والمرأة من نساء أهل الجنة يُرى مخ سوقها

(١) سورة الأعراف : آية ٤ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . الكلمات ، ص ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .

من وراء سبعين حلة ، دون أن يستر أحدها الآخر ، إذ ليس من جنسه ..
قال تعالى " وفيها ما تستهية الأنفس ، وتلذ الأعين " (١) .

وليس لأهل الجنة فضلات بعد الطعام والشراب ، وتكون أجسامهم
في قوة الروح وخفتها . قال تعالى " ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة " (٢) .
لقد وردت روايات صحيحة تبين مدى رافة النبي صلى الله عليه
وسلم، وشفقته التامة على أمته يوم الحشر الأعظم ، حينما يقول
"أمتى، أمتى"، في الوقت الذي يدعو كل أحد ، بل حتى الأنبياء عليهم السلام بـ
" نفسى ، نفسى "

حدثنا محمد بن مقاتل : أخبرنا عبد الله : أخبرنا أبو حيان التميمي ، عن
أبي زُرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه . فتهس
منها نهسة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة .. ثم يقال : يا محمد : ارفع
رأسك، سل تعط، واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: أمتى يارب، أمتى يارب" (٣) .
وهناك نتائج حياتية وفوائد روحية لعقيدة " الحشر " ، ومدى ضرورة
هذه العقيدة للحياة الإنسانية ، لا سيما الاجتماعية . ويظهر ذلك على سبيل
المثال من خلال :

أ - لولا إيمان الأطفال بالجنة ، لهدم الموت تلك القوة المعنوية
لهؤلاء الذين لا حيلة لهم ولا قوة ، ولحطم معنوياتهم ، ولدمر حياتهم ..
والقوة المعنوية تكون عندما يحاور الطفل المؤمن نفسه بالجنة ، ويتذكر أن
أخاه الصغير ، أو صديقه الحبيب الذي توفي ، أصبح الآن طيراً من طيور
الجنة فهو إذن يسرح فيها حيث يشاء ، ويعيش أفضل ، وأهنأ منه .

(١) سورة الزخرف : آية ٧١ .

(٢) سورة لقمان : آية ٢٨ .

(٣) أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ص ٢٧١ -

ب - والشيوخ يقابلون اليأس القاتل الأليم ، والناشئ من الموت والزوال ، بالأمل فى الحياة الآخرة . ولولا هذا لضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ولضاقت عليهم أنفسهم (١) .

ج- والشباب المراهق ، لا يهدأ ، ولا يمنع تجاوزه لحدود الله إلا الخوف من نار جهنم .

ودعوة النبى محمد صلى الله عليه وسلم طوال حياته المباركة قد انصبت بعد التوحيد على الحشر .

وأن تلت القرآن بأكمله ، وأوائل أغلب السور القصار آيات جلية على الحشر . قال تعالى { إذا الشمس كورت } (٢) . وقال تعالى { عم يتساءلون } (٣) .

والقرآن الكريم يسوق البراهين على قضية الحشر بصور مختلفة فى قوله تعالى { أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين } (٤) .

والله سبحانه وتعالى يبين النشأة الأولى فى هذه الآية الكريمة من نطفة ثم إلى علقة ، وإلى مضغة وإلى خلق آخر ، فكيف يكون هناك إنكار النشأة الأخرى التى هى مثل ذلك بل أهون ؟

وعلى الإنسان أن يُعد نفسه لما بعد الموت . فكما تحال الجرائم الكبيرة إلى محاكم جزاء كبرى بينما قسم الجنايات الصغيرة والجنح إلى مراكز الأقضية والنواحى ، فإن القسم الأعظم من عقوبات أهل الضلالة يؤجل إلى المحكمة الكبرى فى الحشر الأعظم .

وهناك إجماع من جميع الأديان السماوية على موت الدنيا ، وأن الخالق القدير الذى بناها لأول مرة سيعمرها تعميراً أجمل من عمارتها الأولى بعد هدمها ، وسيجعلها منزلاً من منازل الآخرة .

ومرتبة الحشر ، أن الناس بعد موتهم تذهب أرواحهم إلى مقامات أخرى ، وأجسادهم تبلى إلا " عجب الذنب " الذى هو جزء صغير لا يندثر

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . الكلمات ، ص ١٠٥ .

(٢) سورة التكويد : آية ١ .

(٣) سورة النبأ : آية ١ .

(٤) سورة يس : آية ٧٧ .

من جسم الإنسان ، وهو فى حكم بذرة وأن الله سبحانه وتعالى ينشئ من هذا الجزء الصغير جسد الإنسان يوم الحشر ، ويبعث إليه روحه (١) . والله تعالى قادر على إماتة جميع نوى الحياة ، وبعثهم بصيحة واحدة .

وإذا نظرنا إلى رسائل النور نجد أنها تفسير للقرآن الكريم ، إذ أنها توضح الحقائق الأساسية كالوحد ، والنبوة والحشر ، والعدالة الإلهية، والعبادة ، والقدر خيره وشره .. مع تقوية الإيمان والأخلاق .

(٦) الإيمان بالقدر خيره وشره :

إن المؤمن يعطى لله كل شىء ويحيل إليه كل أمر، وما يزال هكذا حتى يحيل فعله ونفسه إليه . والقرآن الكريم يبين أن الإنسان مسؤول عن سيئاته ومسئولية كاملة ، أما فى الحسنات ، فليس له الحق فى الفخر والمباهاة، لأن حصته فيها ضئيلة جداً ، لأن الرحمة الإلهية هى التى أرادت الحسنات واقتضتها . وعلى هذا يكون خلق الشر ليس شراً ، وإنما كسب الشر هو الشر بعينه . إذ لا يحق لكسلان قد تأذى من المطر - المتضمن لمصالح كثيرة- أن يقول بأن المطر ليس فيه رحمة.

نعم إن فى الخلق والإيجاد خيراً كثيراً مع تضمنه لشر جزئى ، وإن ترك الخير الكثير لأجل شر جزئى ، إنما يسبب ويحدث شراً كثيراً (٢) . لذا فإن ذلك الشر الجزئى يعد خيراً . فليس فى الخلق الإلهى شر ولا قبح . بل يعود الشر إلى ما كسبت أيدي الناس .

كما أن القدر الإلهى منزّه عن القبح والظلم من حيث النتيجة والثمرات ، كذلك فهو مقدس عن القبح والظلم من حيث العلة والسبب .

والعدل الحكيم قد أعطى للإنسان جزءاً اختيارياً مجهول الماهية ، ليكون مدار ثواب وعقاب . ولا ينحصر كل شىء فى نطاق معلوماتنا ، وإن عدم العلم بالشىء لا يدل على عدم وجوده والقدر يؤيد الاختيار ولا يبطله (٣) .

(١) بدیع الزمان سعید النورسى. الكلمات ، ص ٧٣٤.

(٢) بدیع الزمان سعید النورسى. الكلمات ، ص ٥٤٢.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٤٥.

والإنسان إن لم يؤمن بالقدر يضطر لأن يحمل ثقلاً بقدر الدنيا على كاهل روحه الضعيف أما إذا آمن بالقدر ، أمنه الله تعالى من الكدر . والدعاء والتوكل يمدان ميلان النفس إلى الخير بقوة كبيرة ، كما أن الاستغفار والتوبه تكسران الرغبة فى الشر ، والإيمان بالقدر من أركان الإيمان لأن كل شىء من تقدير الله تعالى ، وكل شىء قبل كونه ، وبعد كونه مكتوباً فى كتاب مبين .

ثانياً : من ناحيه العبادات :

إن عبادة الله تعالى ما هى إلا تجارة عظيمة ، وسعادة كبرى . أما الفسق والسفه فهما خسارة جسيمة ، وهلاك محقق . ومهما يكن للعبادة من حمل ثقيل من حيث الشكل إلا أن لها فى معناها راحة وخفة لا توصفان . لأن العابد يقول فى صلاته مثلاً { لا إله إلا الله } ، أى لا خالق ولا رازق إلا هو . وأن النفع والضرر بيده سبحانه وتعالى . وأن سعادة الدنيا والآخرة هى فى عبادة الله ، وفى الجندية الخالصة لله تعالى .

والدعاء هو مخ العبادة ، وسر من أسرار العبودية . فالعبودية لا بد أن تكون خالصة لله تعالى بأن يأوى الإنسان إلى ربه بالدعاء مظهراً عجزه ، مع عدم التدخل فى إجراءات ربوبيته سبحانه أو الاعتراض عليها ، مع تسليم الأمر ، والتدبير كله إليه وحده لا شريك له . وأن الأخذ بالأسباب هو دعاء فعلى مثله مثل الدعاء باللسان والقلب . واستجابة الدعاء شىء ، وتنفيذه كما يريد الإنسان شىء آخر فكل دعاء مستجاب ، إلا أن قبوله ، وتنفيذ المطلوب نفسه منوط بحكمة الله سبحانه وتعالى .

والأسباب ليست إلا ستائر أمام تصرف القدرة الإلهية ، لأن العزة ، والعظمة تقتضيان الحجاب . ذلك لئلا تظهر مباشرة يد القدرة فى أمور جزئية بسيطة ، لا يدرك نظر أكثر الغافلين حسننها ، ولا يعرف حكمتها ، فيشتكى بغير حق ، ويعترض بغير علم . لهذا لا بد من إيمان حقيقى بالله تعالى ، وهذا يقتضى التوحيد ، والتوحيد يقود إلى التسليم المطلق لله

تعالى والتسليم يحقق التوكل على الله ، والتوكل يسهل الطريق إلى سعادة الدارين .

ولا يظن الإنسان أن التوكل هو رفض للأسباب ، وردها كلياً ، لأنها كما بينا أعلاه حجب بيد القدرة الإلهية .

والعبادات كفارة للذنوب ما لم ترتكب الكبائر . فالصلاة تحوى الأركان الخمسة للإسلام {شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله } ، إقامة الصلاة،إيتاء الزكاة بمعنى أن الإنسان يتزكى عن يومه بوقت الصلاة،والصوم بمعنى أن الإنسان يمتنع عن الطعام والشراب وقت الصلاة،وحج البيت الحرام بمعنى أن المصلى يتجه فى صلاته نحو القبلة المشرفة ، وهى كفارة للذنوب والمعاصى ما لم ترتكب الكبائر . كما أن الصيام وقاية للعبد من الانزلاق فى الذنوب والمعاصى ، كما أن الهدف من الصيام هو عبادة وطاعة لله تعالى ، ودعوة للأغنياء لمد يد المساعدة إلى إخوانهم الفقراء ، كما أنه تربية للنفس الأمارة بالسوء . وإن العالم فى رمضان يتحول إلى حالة تشبه المسجد . وثواب الأعمال فى رمضان تتضاعف ، فتلاوة الحرف من القرآن فى رمضان يعادل ألفاً من الحسنات بدلاً من العشر حسنات ، وكل حرف من حروف آية - كآية الكرسي - يفتح الباب أمام الألوف من الحسنات لتتدلى فى الآخرة ثماراً حقيقية ، وتزداد تلك الحسنات باطراد خاصة أيام جمع شهر رمضان ، وتبلغ الثلاثين ألفاً من الحسنات ليلة القدر (١) .

وكما أن الصلاة عماد الدين وبها قوامه ، كذلك الزكاة مطهرة للمال وتزكية له ، وبها يحدث التعاون بين الأغنياء والفقراء . ثم إن من شروط أن تقع الصدقة موقعها اللائق : أن لا يسرف المتصدق فيقعد ملوماً محسوراً، وأن لا يأخذ من هذا ويعطى ذلك ، بل من مال نفسه وأن لا يمن فيستكثر ، وأن لا يخاف من الفقر ، وأن لا يقتصر على المال ، بل بالعلم والفكر والفعل يتصدق (٢) .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. المكتوبات ، ص٥١٣ ، ص٥١٧ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز ، ص٥٣ .

والعبادة هي التي ترسخ العقائد ، إذ الأمور الوجدانية والعقلية إن لم تنمّها وتربّيها العبادة - التي هي امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي - تكن آثارها وتأثيراتها ضعيفة . ثم إن الإخلاص في العبادة هو أن تفعل لأنه أمر من الله تعالى ، وهو المعبود ، فلا نشرك معه أحداً . فالعبادة هي سجود العبد بمحبة خالصة لله تعالى ، راجياً رحمته ، مقراً بتقصيره وعجزه، وبقدره إلى الله تعالى . والاعتراف بأن الله تعالى منزّه عن أى نقص ، وأنه منزّه عن تقصيرات الكائنات . والصلاة فهرس شامل لجميع العبادات .

لا بد أن يسبق أداء أى عبادة النية الخالصة لله تعالى ، فتنحول العادات إلى عبادات . والعبودية الحقّة تستلزم التسليم المطلق لله تعالى دون الاختبار والتجربة ، والامتحان ، إذ للسيد أن يختبر عبده ، وليس للعبد أن يختبر ربه (١) .

فإذا قام العبد بالعمل هكذا مشترطاً على ربه أن يجزيه بكذا ؟ فهذا الأسلوب إنما يدل عن سوء الأدب تجاه الربوبية ، وهو - أيضاً - مناف للعبودية . والرياء لا يدنو من الفرائض ، والواجب والشعائر الإسلامية، واتباع السنة النبوية الشريفة ، واجتناب الحرام . فإظهار هذه الأمور ليس من الرياء قطعاً ، إلا إذا كان الشخص قد جُبِل على ذلك ، مع ضعف في إيمانه . بل إن إظهار العبادات التي تمس الشعائر الإسلامية أجزل ثواباً من إخفائها بكثير (٢) .

ومن المستحيل إدراك أحد من الناس درجة الصحابة الكرام في العبادة، فهم يمثلون اللبنة الأولى في تأسيس صرح الإسلام ، وهم الرعيل الأول في نشر أنوار القرآن الكريم ، وبالتالي فإن لهم قسطاً وافراً من جميع حسنات الأمة إلى قيام الساعة (٣) .

ويوجد تنوع في عبادات المخلوقات ، فالأرض تسبح ويظهر ذلك في جبالها وأشجارها ، وبحارها ، وزروعها .. ورب العالمين يسوق

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. المثنوى العربى النورى ، ص ٢٥٧.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص ١٩٣.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى. الكلمات ، ص ٥٧٩.

الملائكة، والجن ، والإنس ، والحيوانات والجمادات ، والنباتات .. إلى عبادته وحده لا حاجة عنده ، لأنه الخالق الرازق ، بل لأجل إظهار العزة، والعظمة ، وشؤون الربوبية .

ثالثاً : من ناحية السياسة :

كان بديع الزمان سعيد النورسي في بداية حياته سياسياً من الطراز الأول ، وظل كذلك حتى لقي ربه ، لكنّ حماسه للسياسة كان يأخذ أشكالاً متعددة حسب طبيعة كل مرحلة من مراحل النضال من أجل بعث الإيمان في قلوب الناس . ومقولته المشهورة " أعوذ بالله من الشيطان والسياسة " ، ما القصد منها إلا الاستعاذة من مكر السياسيين ، وأولى الأمر ، ومن الدهاء والخديعة ، ومن تجنيب شرع الله عن الحكم ..

لقد رأى سعيد النورسي ذات يوم رجلاً عليه وقار العلم يقترح بعالم فاضل بانحياز مغرض حتى بلغ به الأمر إلى حد تكفيره ، وذلك لخلاف بينهما حول أمور سياسية ، بينما في المقابل رآه قد أتى على منافع يوافقه الرأي السياسي ! فأصابته رعدة شديدة ، واستعاذ بالله مما آلت إليه السياسة، وقال " أعوذ بالله من الشيطان والسياسة " (١) .

ومنذ ذلك الحين انسحب من ميدان الحياة السياسية في الظاهر لكنه ظل يمارسها حتى مماته من خلال المواقف التالية :

(١) ذيل العريضة المقدمة إلى رئيس الجمهورية " مصطفى أتاتورك " ، بين فيها حبه للجيش الذي خدم فيه خدمة فعّلية مؤثرة ، وفي وقت غاية في الدقة والحرص ، وسعى برسائل النور كي يحافظ على شرف ذلك الجيش الذي هو أسمّى من أي شخص كان .

(٢) دفاع النورسي الذي طبع تحت عنوان " شهادة مدرستين للمصيبة " يبين استطاعته بخطبة واحدة جلب ثمانية كتائب من الجنود إلى الطاعة في أحداث ٣١ مارت ، وكما كتبت الجرائد آنذاك استطاع بمقالة واحدة في زمن حرب الاستقلال باسم " الخطوات الست " أن يحول رأى العلماء في استانبول ضد الإنجليز ، وفي جامع آيا صوفيا استمع الآلاف إلى

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. المكتوبات ، ص ٣٤٦ .

خطبته ، وفي مجلس المبعوثان (المجلس النيابي) في أنقرة (١٩٢٣/١/١٩م) استقبل بتصفيق حار ، وقام مائة وثلاثة وستون نائباً بالموافقة على تخصيص مائة وخمسين ألف ليرة لمدرسة الزهراء ، وعندما دعا إلى الصلاة الجامعة ، قابل حدة وغضب رئيس الجمهورية في ديوان الرئاسة ، ورد عليه دون خوف أو وجل ، وعندما كان في " دار الحكمة الإسلامية " رأته حكومة الاتحاد والترقي بالإجماع أنه أنسب شخص لتبليغ الحكمة الإسلامية إلى حكماء أوروبا بشكل مؤثر .. (١) .

(٣) عريضة مقدمة إلى ' مجلس الوزراء ' ، في أثناء محكمة "أسكى شهر " يبين فيها تعرضه لظلم يندر وجوده في الدنيا بأسرها . ولما كان السكوت على هذا الظلم يعدّ استهانة بالحق .. طلب منهم أن يدعموه مع بيان ذنبه ، أو يبرهنوا على أنه مجنون وفاقد للوعي ، أو إعطاء رسائل النور ، وله ، ولأصدقائه ، وطلابه الحرية الكاملة ، مع محاسبة من آذاهم .

(٤) برقية إلى ' رئيس الجمهورية ' جلال بايار ' ، قال له فيها نهننكم ، وندعو الله تعالى أن يوفقكم لخدمة الإسلام ، والوطن ، والأمة " (٢) .

(٥) كان يدعو إلى لمّ الشمل ، والعمل تحت راية واحدة ، مع عدم مهاجمة العلماء . كما كانت هناك رسائل متبادلة بينه وبين " الإخوان المسلمون " في سوريا ، مع مخاطبة الهيئات الخارجية مثل " الفاتيكان " وإرسال مجموعة " ذو الفقار " لبابا الفاتيكان ، ومن ثمّ إرسال رسالة شكر من رئاسة سكرتارية " الفاتيكان " له .

ورسائل النور تخاطب النفس البشرية مهما كانت طاغية وقاسية، حتى ترغمها على الإنصات .. والذي يقرأ رسالة من رسائل النور يظل في نشوة روحية ، وشذّ روي معها حتى لكان الرسالة قد كتبت له بالذات . لذا فهو يطالعها باستمرار ، ويشعر بحاجة دائمة إليها ويحس بشوق نحوها .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الشعاعات ، ص ص ٥١٤-٥١٥ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي . الملاحق ، ص ٣٣٣ .

ولا يجد القارئ لرسائل النور حدثاً أو مشكلة أمامه إلا والرسالة قد بحثتها أو حلّتها ، سواء منها النفسية أو العائلية أو الاجتماعية أو السياسية^(١).

إلا أن المجموعة المسماة "سراج النور" والتي تزيد عن ثلاثمائة صفحة ، توجد خمس عشرة صحيفة - وهي الشعاع الخامس - كانت سبباً لصدر قرار من مجلس الوزراء بمصادرة تلك المجموعة وجمعها . وقد كان من الممكن إخراج هذا القسم الذي توهم ضرره ، والإبقاء على الآخر ، خاصة بعد ما ثبت فائدتها للجميع ، لا سيما لأصحاب المصائب والبلايا ، والشيوخ^(٢) وفي مجموعة ' ذو الفقار ' البالغة أربع مائة صفحة ، والتي كتبت للرد على فلاسفة أوروبا وردت صفحتان فقط من تفسير آيتين حول الإرث ، وحول تحجب النساء ، كما ورد سطر واحد حول المصارف في رسالة ' إشارات الإعجاز ' ، توهم ضرر هذه الكتابات .
رابعاً : من ناحية " الفقة " ورد الشبهات ، والاجتهاد :

إن في ثنايا كثير من رسائل النور أسئلة وأجوبة حول بعض الأحاديث الشريفة التي قد يُظن أول وهلة أن الحديث بعيد عن الواقع ، أولاً يسلم به العقل ، إلا أن الرسالة تشرح أبعاده وأساره ، وحكمه الكثيرة ، فتزد جميع الشبهات الواردة عليه ، وتزيل جميع الوسوس والمراء لا يجد أمراً نوقش ، أو يناقش بين المسلمين في الحديث الشريف أو التهم الموجهة إليه إلا ويجد جوابه الشافي المقنع في رسائل النور ، بحيث تطمئن إليه النفس .
كمسائل الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، والمهدي المنتظر ، وسيدنا الخضر ، ومسائل حول الملائكة ، وأشراف الساعة ، وثواب الأعمال .. وكلها قد اشبعت بحثاً ، وتوضيحاً .

ورسائل النور لا تورّد مسألة - ولو كانت جزئية - خلافاً لآراء الأئمة المجتهدين مطلقاً ، ولا تذكر أسماءهم إلا مع الاحترام والتوقير الذي

(١) إحسان قاسم الصالحى ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٤٧٤ .

يليق بهم . أما المصطلحات الفقهية ، والأصولية فليست مجموعة في رسالة معينة ، وإنما مبعثرة في كثير من الرسائل ، وترد في مكانها المناسب (١) .
وقد قال النورسي - رحمه الله - عن نفسه أنه شافعي المذهب ، عندما أشيع أنه لا يأتي إلى صلاة الجمعة ، ولا يطلق لحيته .. وأمثالها من الانتقادات للحط من قيمة رسائل النور الصادرة من شخص لا يؤدي ما عليه أمام ربه .

وكان جواب النورسي عن هذه القضايا ما يلي :

١- أحد شروط صلاة الجمعة حسب المذهب الشافعي هو أن يقرأ الفاتحة أربعون شخصاً مأموماً مع شروط أخرى ، لذا فلا تفرض على الجمعة هنا . إلا أنني أقد المذهب الحنفي فأؤيدها نافذة (٢) وكان لا يستطيع أداء الصلاة خلف كل إمام حسب مذهبه ، إذ كان لا يلحق بالقراءة خلفه . فالإمام يسرع للركوع ، في حين أنه لم يكمل بعد نصف الفاتحة ، علماً أن قراءة الفاتحة فرض في المذهب الشافعي .

٢- إن إطلاق اللحية سنة نبوية ، وليست خاصة بالعلماء . وقد نشأت منذ صغرى عديم اللحية ، وعشت في وسط أناس تسعين بالمائة منهم لا يطلقون لحاهم . ولقد قال بعض العلماء : لا يجوز حلق اللحية . وهم يقصدون عدم حلقها بعد إطلاقها ، لأن حلقها بعد إطلاقها حرام . أما إذا لم يطلقها فيكون تاركاً لسنة نبوية . ولو أطلقت اللحية ثم حلقها ، وكانت رسائل النور تتضرر ضرراً بالغاً ، حيث كنت لا أتحمل ذلك فأموت (٣) .

ولقد دعا النورسي للتقارب بين أهل السنة والعلويين حين وضح أن أعظم أستاذ لطلاب النور بعد النبي " محمد " صلى الله عليه وسلم ، هو سيدنا " علي " رضی الله عنه . لذا إن لم يستمع أهل الشيعة والعلويون إلى

(١) إحسان قاسم الصالحى ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

(٢) بدیع الزمان سعید النورسی . الملاحق ، ص ٢٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٠ .

رسائل النور أزيد من أهل السنة ، فإن دعوى محبتهم لآل البيت ليست في محلها (١).

ولقد رد النورسي كثيراً من الشبهات منها :-

١- شبهة أن الله تعالى خلق العالم وفرغ من خلقه ، ولا شأن له به بعد ذلك .

٢- شبهة عدم علم الله تعالى بالجزئيات .

٣- شبهة الإيمان بالله ، والتردد في الإيمان بالملائكة ، والكتب والرسول ، والقدر ، واليوم الآخر والنشر والحشر ، والجنة والنار .

٤- قول الله عز وجل { أحسن الخالقين } ، يعنى أنه ليس له أية دلالة على وجود خالق آخر .

وباب الاجتهاد مفتوح ، إلا أن هناك بعضاً من الموانع منها :

١- عدم فتح الثغرات للمتسللين ، والمخربين باسم الاجتهاد ، لا سيما في زمن المنكرات ووقت هجوم العادات ، وكثرة البدع ، وتزاحم الضلالة .

٢- إن وجود إرادة الاجتهاد ، والرغبة في التوسع في الدين عند الذين يدورون في فلك الإسلام ، ويأتون إليه من باب التقوى ، والورع الكاملين، وعن طريق الامتثال بالضروريات الدينية ، لهو دليل الكمال والتكامل ، وخير شاهد عليه السلف الصالح . أما التطلع إلى الاجتهاد والرغبة في التوسع في الدين عن طريق الذين تركوا الضروريات الدينية، واستحبوا الحياة الدنيا وتلوثوا بالفلسفة المادية ، لهو وسيلة إلى تخريب الوجود الإسلامي ، وحل ربقة الإسلام من الأعناق (٢) .

٣- اختلاف العلة عن الحكمة . فعلة القصر في الصلاة السفر ، أما الحكمة من ذلك فهي وجود المشقة في السفر . كما أن قاعدة " الضروريات تبيح المحظورات " هي ليست كلية ، لأن الضرورة إن كانت ناشئة عن طريق الحرام ، لا تكون سبباً لإباحة الحرام .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . الملاحق ، ص ٢٧٠ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي . الكلمات ، ص ص ٥٦٤-٥٦٥ .

٤- لقد أهملت في زماننا هذا الأحكام الواضحة المعلومة ، كوجوب الصلاة والزكاة، والصيام، وحرمة القتل والزنا ، وحرمة الخمر والميسر .. وأن نتحاكم إلى شرع الله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة .. وعامة المسلمين بحاجة إلى الامتثال لتلك الأحكام واتباعها في حياتهم ، وذلك بتذكيرهم ، وحثهم على العمل بها ، وإثارة غيرة الإسلام في عروقهم .
خامساً : من حيث البلاغة ، والأدب ، والشعر :

حيث إن البلاغة هي الكلام بمقتضى الحال ، دون إطناب ممل ولا إيجاز مخل . فقارئ الرسائل يشعر أنه يقرأ أبلغ ما كتب ، حيث لاستطرادات كثيرة ، ولا حشو في الكلام مطلقاً . ويعتبر سعيد النورسي أحد الثلاثة الذين وجهوا وحولوا تيار الأدب التركي إلى جادة الصواب^(١) فليس في أدب رسائل النور تقعر ، كما في أدب أواخر الدولة العثمانية ، ويكفي القارئ الكريم أن يقرأ الرسالة ويتذوقها ، فلا يحس بنفسه إلا وكأنه يقرأ شعراً دقيقاً ؛ لما فيها من الخيال الخصب ، والوصف البديع ، ومخاطبة الوجدان .. ويرى نفسه أمام حجج وبراهين منطقية تقوم فكره ، وعقله .
أما الشعر في الرسائل ، فهناك أبيات من الشعر العربي تساق للاستشهاد ، أما الشعر الفارسي ، فهو كثير في الرسائل للاستشهاد - أيضاً - وبالأخص شعر جامي ، والشيخ سعدى أما الشعر التركي فليس في الرسائل استشهاد كثير به ، إلا أبيات معدودة للشاعر الصوفي نيازى المصرى ..^(٢) .
وفي الرسائل - أيضاً - النثر المنظوم ، الذي يشبه الشعر إلا أنه ليس بشعر . وبالرغم من أن الأستاذ النورسي من أصل كردى إلا أنه لم يكتب في الرسائل فقرة كاملة باللغة الكردية .

(١) احسان قاسم الصالحى ، مرجع سابق ، ص ١٩٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٦ .

الفصل الثالث

اتجاهات رسائل النور

١ - تربية الفرد المسلم لإنقاذ إيمانه.

٢ - عفة المجتمع وطهارته.

٣ - المحافظة على سلامة المجتمع.

طالب النور لا يصرف وقته سدى ، ولو كان جزءاً يسيراً ، إنما يحببه بدراسة "رسائل النور" والوصول إلى تذوق المعرفة الإيمانية للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة .. فينور عقله وقلبه وروحه معاً . ويرى في نفسه شوقاً دائماً إلى العمل ، وتطبيق ما أمرت به الشريعة . إذ لا يرى في الرسائل وصايا وتعليمات ، أو واجبات تسرد له سرداً ، أو تذكر كنقاط .. إنما ترشده - مثلاً - إلى أهمية السنة النبوية ، ومكانتها ، فتأخذ بيده بحنان ولطف ، وتوصله بالأدلة العقلية والفطرية .. إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتغسل أدران الروح ، وتزيل شوائب العقل .. فلا يرى في نفسه تكاسلاً في تطبيق السنن والأدعية ، ولا تقاعساً عن دعوة الناس إلى طريق الله (١) .

* ولرسائل النور اتجاهات شتى في " جميع مناحي الحياة ، منها :

أولاً : تربية الفرد المسلم لإنقاذ إيمانه :

يرى بديع الزمان سعيد النورسي أن اتباع السنة المطهرة من أهم أسس العبادة . وإذا اتبع المرء أقل أدب من آداب السنة المطهرة يشعر بإيمان كامل بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبهذا الشعور يتوجه القلب إلى الله تعالى ويندفع إلى عبادته (٢) . قال تعالى " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم " (٣) . وقال تعالى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم " (٤) . صدق الله العظيم

فإن لم يتبع الفرد المسلم رسوله صلى الله عليه وسلم ، تكون النتيجة عدم محبته لله تعالى . ومن يؤمن بالله تعالى لزمته طاعته ، ومن بين طاعة المؤمن لخالقه اتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى " يا أيها

(١) إحصان قاسم الصالحى ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

(٢) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٣١ .

(٤) سورة التوبة : آية ١٢٨ .

الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم (١) فطوبى لمن اتبع السنة ، واجتنب البدعة . ويجدر بالذكر أن كثيراً من الطرق اهتمت بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن اتباعهم للسنة يتمثل فى ذكرهم وأورادهم . أما بديع الزمان النورسى فيرى أن اتباع السنة يتمثل فى العمل بها ، واعتبارها من أهم أسس الشريعة ، والإيمان بما جاء بها من قول، وفعل، وتقدير (٢) .

ورسائل النور تنتهج منهجاً مميزاً فى دعوتها ، فهى تشير إلى أن طول الأمل فى الحياة الدنيا ينلّم الإخلاص ويفسده ، ويسوق الناس إلى حب الدنيا، وكرهية الموت ، وإلى الرياء . قال تعالى " كل نفس ذائقة الموت " (٣) ، وقال تعالى " إنك ميت وإنهم ميتون " (٤) .

وهذه الآيات تزيل توهم البقاء ، وحلم الأبدية الذى يولد طول الأمل، والرسول صلى الله عليه وسلم أرشدنا إلى كثرة ذكر هازم اللذات "الموت" . وإذا ما نظر الإنسان قليلاً لا يرى موته وحده ، بل يرى أيضاً موت عصره ، حتى إذا جال بنظره أكثر يرى موت الدنيا ودمارها . وعندها يفتح أمامه الطريق إلى الإخلاص التام لله رب العالمين (٥) .

وللاستمتاع بالحياة ، والتلذذ بها ، يجب على الإنسان أن يحيى حياته بالإيمان ، ويزينها بأداء الفرائض ، ويحافظ على اجتناب المعاصى (٦) .

وعندما يعرض الإنسان عن الملذات المحظورة ، الشبيهة بالعسل المسموم ، ويضرب عنها صفحاً ويبادر إلى الحصول على الإيمان ، وأداء الفرائض ، فقد حقق الإيمان الذى يعقبه العمل ، فإيمان بلا عمل لا قيمة له . كما أن طاعة الله تعالى بها رحمة للإنسان ، ووسيلة لحياة سعيدة خالدة

(١) سورة النساء : آية ٥٩ .

(٢) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٣١-٢٣٢ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٨٥ .

(٤) سورة الزمر : آية ٣٠ .

(٥) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٣٣ .

(٦) بديع الزمان سعيد النورسى . الكلمات ، ص ١٦١ .

والإنسان يومياً يأكل الخبز ، ويشرب الماء ، ويتنفس الهواء ، أما يورث هذا التكرار الضجر والملل ؟ كلا ! دون شك ، لأن تكرار الحاجة لا يجلب الملل بل يجدد اللذة . كذلك الصلاة تجلب الغذاء للقلب ، وماء الحياة للروح ، وهذا لا يجعل الإنسان يمل ، ولا يسأم . ولا بد للإنسان أن يصبر على أداء الطاعات ، وأن يصبر عند نزول البلاء ، وأن يصبر على عدم إثيان المعصية .

وعلى الإنسان المسلم أن لا يُولى أهمية إلى وساوس الشيطان فى صحة عمله ، وفى المقابل عليه أن لا يغتر بعمله ، وإن أدرك المرء تقصيره تلافاه بالاستغفار الذى هو أثقل ميزاناً من الغرور الناشئ من إعجاب المرء بعمله الصالح . والمرء لا يدخل الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته .

لكن ؟ هل أداء العبادات يكون دون جدوى ؟ وهل أجرتها قليلة ضئيلة حتى تجعل الإنسان يسأم منها ؟ مع أن أحدها قد يعمل إلى المساء ، ويكد دون فتور إن رغبة أحد فى مال أو رهبة .

كلا ! فالصلاة هى قوت القلب العاجز ، وسكينة له فى الدنيا .. كما أنها ضياء فى القبر وعهد وبراءة فى محكمة العدل الإلهية . وهى التى ستكون نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة .. وصلاة بهذه المواصفات ، هل هى بلا نتيجة ، وبلا جدوى ؟ .

إن الذى لا يقيم الفرائض ، ولا يؤدى وظيفة العبودية ، من باب التكاسل ، فتكاسله هذا إزاء الأوامر المتكررة ، والصادرة من الله العظيم ، يورثه ضيقاً شديداً ، وظلمة قاتمة فى روحه^(١) .

والحياة الدنيا ما هى إلا ميدان اختبار وابتلاء ، وهى دار عمل ، ومحل عبادة ، وليست محل تمتع وتلذذ .

وإن الآثام والذنوب التى تصيب باطن القلب ، الذى هو مستقر الإيمان ، فتزعزع الإيمان فيه ، وتمس اللسان الذى هو مترجم الإيمان ، فتسلبه لذة الذكر ، ومتعته الروحية ، ولا تزال تنفره من ذكر الله حتى تسكته^(٢) .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . اللغات ، ص ١٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١ .

والإثم يتوغل في القلب فينكت فيه نكتاً سوداء حتى يتمكن من إخراج نور الإيمان منه فيبقى مظلماً ، فيغلظ ويقسو . والذي يحمو الإثم الاستغفار، والإتابة إلى الله العلى القدير .

* ومن أهداف رسائل النور معالجة نقائص النفس البشرية ، عن طريق دفع وساوس الشيطان الرجيم ، الذى يدفع الإنسان إلى عدم الاعتراف بتقصيره ، كى يسدّ عليه طريق الاستغفار والاستعاذة ، مثيراً فيه أنانية النفس لتدافع كالمحامى عن ذاتها ، وتزهرها من كل نقص .

فيا أيها الإنسان المبلى بدسائس الشيطان وكيده ، إن كنت ترجو سلامة حياتك الدينية والشخصية ، وحياتك الاجتماعية ، وتطلب صحة الفكر ، واستقامة الرؤية ، وسلامة القلب فزن أعمالك وخواطرك بميزان القرآن المحكم ، والسنة المحمدية الشريفة ، واجعل رائدك القرآن الكريم، ومرشدك السنة النبوية المطهرة ، وتضرع إلى الله العلى القدير بقول: " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " .

ولكون رسائل النور خارقة معنوية للقرآن الكريم ، فهى تنقذ أسس الإيمان وأركانه ، وذلك بإثبات الإيمان ، وتحقيقه وحفظه فى القلوب ، وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة وبراهين ساطعة^(١) .

وقد علّم بتجارب كثيرة قاطعة أن أقصر طريق وأسهله لإنقاذ الإيمان وتقويته ، وجعله تحقيقاً هو فى رسائل النور . فهى تقطع ذلك الطريق فى خمسة عشرة أسبوعاً بدلاً من خمس عشرة سنة فتبلغ بالمرء الإيمان الحقيقى^(٢) .

وبالإيمان الحقيقى تحيا النفوس حياة طيبة فى الدنيا والآخرة ، لأن الإنسان مهما ملك من نفس ، ومال ، ليس ملكاً له ، بل هو أمانة لديه . ومالك تلك الأمانة قدير على كل شىء ، عليم بكل شىء ، رحيم كريم، يشترى من الإنسان ملكه الذى عنده ليحفظه له ، كى لا يضيع من بين

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص ١٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .

بيده ، ويكافىء عن ذلك ثمناً عظيماً . قال تعالى " إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " (١) .

* إن رسائل النور تربي عند القارئ القدرة على معرفة الدليل ، ووزن الكلام المقروء والمسموع بميزان الإسلام ، كما تبين العواقب الوخيمة الأليمة التي تترتب على عدم الهدى في هذه الدنيا في معظم الموازنات التي تعقدها، وبالتالي فالرسائل تدل على باب التوبة المفتوح دائماً وأبداً للعقلاء من أجل التوبة النصوح ، والاستغفار قبل أن تضيع الفرصة من بين أيديهم ويندمون يوم لا ينفع الندم (٢) .

ولقد بدأ سعيد النورسي الاهتمام بتقوية الإيمان لدى الناس ، عندما رأى أمراض عصره والعصور التي تليه ، ورأى أن حقيقة المرض هي ضعف الإيمان ، لأن عصره كان بداية تغيير للحياة البشرية ، وزمنه هو زمن نشر الثقافة الغربية على أنها حضارة ، ومدنية معاصرة ، حتى صار المرض أخطر .

وكان النورسي يؤمن إيماناً عميقاً بأن تقدم المجتمع ورقية لن يكون إلا بالإيمان . ولهذا فإن أهم شيء للبشر هو العلوم الإيمانية لأنها سلطان العلوم كلها .

وهناك علاقة بين العلم والإيمان . لأن تعارض العلم ، والدين ليس من الإسلام في شيء ولو درس العلم بدون الإيمان لصار الجيل الناشيء غافلاً عن الدين والإيمان ، وهذا يضر بالبلاد والعباد . لهذا ركز سعيد النورسي على إصلاح الفرد ، مبتدئاً بقلبه ، وقبل هذا وذاك أصلح نفسه أولاً حتى يكون قدوة في ذلك ، لأن الإنسان عندما يعجز عن إصلاح نفسه لا يمكن له أن يصلح غيره . ولو تمسكنا بالأخلاق الإسلامية ، لدخل أتباع سائر الأديان الأخرى الإسلام أفواجاً .

(١) سورة التوبة : آية ١١١ .

(٢) إحسان قاسم الصالحى ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤ .

ومن أخلاق النورسى التى ربى عليها أتباعه ، أنه لا يقابل السيئة بمثلها، ولا يدع على من ظلمه بسبب سر الشفقة ، لأن هذا الظالم ربما يعاون أمه أو أباه ، أو زوجته ، أو أولاده الأبرياء أو يتكفل يتيماً .
وبالتربية الإسلامية الحقّة المصحوبة بالعبادات ، والمعاملات على أصولها يعف المجتمع ويطهر .

ثانياً : عفة المجتمع وطهارته :

إن غاية رسائل النور ، وهدفها هو نشر الحقائق الإيمانية والقرآنية، وتبليغها وتعميمها بين أفراد المجتمع^(١) .
كما أن حركة النور تحاول أن تربط المسلمين بعضهم ببعض كعهد النبوة والخلفاء بالروابط القلبية .. وذلك بإحداث العدل بين طبقات المجتمع .
فالقرآن الكريم قد قضى على ظلم الخواص للعوام فى الآية الكريمة " وآتوا الزكاة "^(٢) ، ومنع الحقد والحسد من العوام على الخواص بالآية الكريمة "...وأحلّ الله البيع وحرم الربا "^(٣) .

وهناك دائماً صراع بين الحق والباطل ، إلا أن حكمة القرآن الكريم هى جعل الحق نقطة استناد فى الحياة الاجتماعية بدلاً من القوة، وجعل رضا الله تعالى ، ونيل الفضائل هو الغاية والهدف بدلاً من المنفعة ، واتخاذ التعاون دستوراً أساسياً فى الحياة بدلاً من دستور الصراع والتزام رابطة الدين بدلاً من العنصرية ، والقومية السلبيّة .. وجعل الغاية الحد من تجاوز النفس الأمارة بالسوء ..

والمدنية الحاضرة لا تقبل تعدد الزوجات ، وتحسب ذلك الحكم القرآنى مخالفاً للحكمة ومنافياً لمصلحة البشر ، لكن الحكمة من هذا الزواج ، والغاية منه إنما هى تكاثر الأولاد ، وإنجاب النسل الطيب الطاهر بعيداً عما حرم الله^(٤) .

(١) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٧٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ٤٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٧٥ .

(٤) بديع الزمان سعيد النورسى . الكلمات ، ص ٤٧٤ .

والقرآن الكريم يأمر النساء أن يحتجبن بحجاب الحياء رحمة بهن وصيانة لحرمتهن وكرامتهن، ولكيلا تهان تلك المعادن الثمينة "معادن الرأفة والشفقة"، بينما التكشف والتبرج يزيلان تلك المكانة، ويحركان الغرائز، ويسممان الحياة العائلية. كما يرشد القرآن الكريم إلى العفو عن هفوات الإخوان، والصفح عن تقصيرهم، وعض البصر عن عيوب البعض للبعض الآخر، وطرح المناقشات التي لا تثمر عن شيء جانباً.. وضرورة التآخي والتحابب، والتعاون والحذر من الوقوع في الاختلاف.. وعدم إثارة نوازع الغبطة بالتفاخر، والاستعلاء. كما لا يوجد تحاسد في جسم الانسان بين اليدين، ولا انتقاد بين العينين، ولا يعترض اللسان على الأذن، ولا يرى القلب عيب الروح، بل يكمل كل منهما نقص الآخر، ويستتر تقصيره ويسعى لحاجته، ويعاونه في خدمته، وإلا انطفت حياة ذلك الجسد، ولغادرت الروح^(١).

وإن ما يسببه التحايز والعناد، والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغل، وعداء مرفوض أصلاً. ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى. كما يدعو الإسلام إلى نبذ الهجر والخصام فوق ثلاث ليالٍ وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.

والحسد أشد أيلاماً للحاسد من المحسود، حيث يحرق صاحبه بلهيبه. أما المحسود فلا يمسه من الحسد شيء، أو يتضرر طفيفاً. وعلاج الحسد هو ملاحظة الحاسد عاقبة ما يحسده، ويتأمل ليدرك أن ما ناله محسوده من أعراض دنيوية، إنما هو عرض زائل والفائدة منه قليلة، والمشقة عظيمة. أما إذا كان الحسد ناشئاً من دوافع أخروية، فلا حسد أصلاً. ثم إن الحاسد على حسده يسخط على قدر الله تعالى.

كما أن الغيبة مذمومة عقلاً وقلباً، وإنسانية، وفطرة.. والغيبة هي ذكرك لأخيك بما يكره فإن كان فيه ما تقول، فقد اغتبتك، وإن لم يكن فيه

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. اللغات، ص ٢٣٥، ص ٢٤٢.

فقد بهته ؛ أى اجترحت إثماً مضاعفاً . إلا أن الغيبة وإن كانت محرمة ، فإنها تجوز فى أحوال معينة هى :

١- التظلم ، فالمظلوم يجوز أن يصف من ظلمه إلى الحاكم ليعينه على إزالة ظلم أو منكر وقع عليه

٢- التعريف ، من دون أن يكون القصد فيه التتقيص .

٣- فى حالة مجاهرة الشخص بفسقه .

ومقابل الغيبة فى الجانب الحسن ، دعاء المؤمن لأخيه المؤمن فى أفضل الحالات ؛ أى الاستغفار عند الشروع بالدعاء ، ثم ذكر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى أول الدعاء وآخره ، حيث الدعاء الذى وسط دعائين مستجابين يكون مستجاباً ، وأن يدعو بظهور الغيب وبالمأثور من أدعية الرسول عليه السلام ، وما ورد فى القرآن الكريم من أدعية^(١) .

وأن يدعو بخالص النية ، وخشوع القلب وحضوره وأن يدعو دبر كل صلاة ، لا سيما دبر صلاة الفجر . وأن يدعو فى الأماكن المباركة ، ولا سيما فى المساجد ، وفى أيام الجمع ، ولا سيما ساعة الاستجابة ، وفى الأشهر المباركة ، ولا سيما الليالى المشهورة قليلة القدر ، التى هى خير من ألف شهر . وخير الأدعية هى الأدعية الجامعة مثل قول الرسول عليه السلام " سبحانك اللهم وبحمدك ، عدد خلقك ، ورضاء نفسك ، وزنة عرشك ، ومداد كلماتك " ^(٢) .

ولابد للإنسان أن يشكر ربه فى كل وقت وحين ، وفى هذا إيمان بالله تعالى ، وهذا يحوى توحيداً خالصاً ؛ لأن الذى يأكل تفاحة - مثلاً - باسم الله ، ويختم أكلها بالحمد له ، إنما يعلن بذلك الشكر لله تعالى .

والشباب يمثل نهضة الأمة ، ومستقبلها ، لذلك أولاه النورسى كل الرعاية والاهتمام . فعروق الشباب تنبض لهوى المشاعر ، وتستجيب لها أكثر مما تستجيب للعقل وترسخ له .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . المكتوبات ، ص ٣٦٠ .

(٢) أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري . صحيح مسلم بشرح النووي . القاهرة ، طبعة دار الريان للتراث ، المجلد السادس ، الجزء السابع عشر ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ص ٤٤ .

ولكن إذا ما صان الشباب نفسه بتربية القرآن ، وسنة النبي عليه السلام، فيكون شاباً رائداً حقاً ، وإنساناً مسلماً صادقاً سعيداً ، وسيعود بفوائد جمّة على حياته ، ومستقبله ، وعلى بلاده وأمتّه .. والنبي عليه السلام تصغى إليه ، وإلى دعوته الحيوانات ، بل حتى الجبال والجمادات ، فمن باب أولى الإنسان .

وقد وجه النورسى خطابه إلى الشباب مبيناً لهم أن ما يتمتعون به من ربيع العمر ، ونضارة الحياة ذاهب لا محالة ، وإن لم يلزموا أنفسهم بالبقاء ضمن الحدود الشرعية ، فسيضيع ذلك الشباب ويذهب هباءً منثوراً ، ويجر عليهم فى الدنيا والآخرة بلايا ومصائب وآلاماً تفوق كثيراً من ملذات الدنيا .. ولو صرف الشاب ربيع عمره فى عفة النفس ، وصون الشرف ، وقى طاعة ربه ، أداءً لشكر الله تعالى على ما أنعم عليه من نعمة الفتوة والشباب، فيكون ذلك وسيلة للفوز بشباب دائم فى الجنة الخالدة .. وعلى الشباب المسلم أن يحكم عقله ، ويميز بين الغث والسمين ، لينال رضا الله تعالى فى الدنيا والآخرة . ولقد ميز الله الإنسان بنعمة العقل للتفكير والتدبر، عكس الحيوان الذى لم يمنح ذلك^(١) . والأمة الإسلامية إذا ما اتحدت، وتساندت فيما بينها تسانداً جاداً ، وكونت من ذاتها قوة ذات بأس شديد، جاعلة الدين الإسلامى الرابطة المقدسة للأمة ، ومدار صحوتها ، فلا يمكن لجيش أية أمة فى العالم أن يصمد أمامها .

إن الإيمان حقيقة واحدة ، وهو كلى لا يتحمل التجزئة ، ولا تقبل أركانه الانقسام ، حيث كل ركن حجة قاطعة لكل من الأركان الأخرى^(٢) .

ولعل من أطف الثمرات التى قدمتها مدرسة رسائل النور أنها وحدت بين وجهات النظر المختلفة لأصول الدراسة والتفكير بين المدرستين " الفقهية " و " الصوفية " ، وأزال ما بينهما من المناقشات، والخلافات الظاهرة التى أعاققت التقدم ، والمضى فى تبليغ الإسلام، فضلاً عن سعيها الحثيث فى تمكين الوحدة بين صفوف أهل الإيمان

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. الكلمات ، ص ١٦٠ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. الشعاعات ، ص ٢٩٤ .

.. وقد ركز النورسي على العلماء الذين يتصدون لإرشاد الناس ، ووعظهم
موعظة بليغة مبيناً الداء ، وحدد لهم طرق العلاج من خلال الآتي :-

١- تناسى الفرق بين الحاضر والماضي ، حيث إن الزمن الحاضر
أكثر حاجة إلى إيراد الأدلة القطعية .

٢- عدم التمييز بين المهم والأهم .

٣- جعل الكلام موافقاً لحاجات العصر دون إفراط أو تفريط ، ويكون
ذلك متمشياً مع الكتاب والسنة .

٤- مبادلة الأفكار بين المدارس المختلفة ، لأجل وحدة الهدف .

٥- إثارة ملكة التفكير ، والتأمل ، إذ بدونهما لا يمكن أن يكون
الإخلاص والإيمان ، والعمل ذاتياً^(١) .

وتلميذ القرآن الكريم هو " عبد " لله ، لكنه عبد عزيز لا يستدل
لشيء حتى لأعظم مخلوق . ثم إنه تلميذ متواضع ، لين هين ، فقير
وضعيف ، موقن بفقره وضعفه . ثم أنه لا يعمل إلا لوجه الله تعالى^(٢) .

ثالثاً : المحافظة على سلامة المجتمع :

قال تعالى { إن الدين عند الله الإسلام }^(٣)

والله سبحانه وتعالى من كمال رحمته ، ودليل حمايته للشريعة
الإسلامية ، واستمراريتها وخلودها ، قد أرسل في كل فترة من فترات فساد
الأمة مصلحاً ، أو مجدداً ، أو خليفة ، أو قطباً أعظم ، أو مرشداً من
الأشخاص الأفاضل .. ليزيل الفساد ، ويصلح الأمة ، ويحافظ على الدين^(٤) .

والإيمان بالله تعالى لا يمكن أن يكون دون الإيمان باليوم
الآخر ، والملائكة ، والنبیین ، وكتب الله السماوية ، والقدر خيره وشره .
وهكذا فالأركان الإيمانية يثبت بعضها بعضاً . والدين يجمع بين الإيمان
والعمل الصالح .

(١) إحسان قاسم الصالحى ، مرجع سابق ، ص ٢١٤ .

(٢) يدبع الزمان سعيد النورسي . الكلمات ، ص ١٤٤ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٩ .

(٤) يدبع الزمان سعيد النورسي . المكتوبات ، ص ٥٦٧ .

والإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين ، فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة وتتفص قيمته حين ينحصر في مادته وحسب ؛ فقيمة المادة لا يُعتد بها لأنها في حكم العدم لكونها فانية زائلة .

ولننظر إلى فضل الله علينا ، ففي الوقت الذي تقتضى العدالة فيه أن تكتب السيئة بمائة سيئة وتكتب الحسنة بحسنة واحدة أو لا تكتب ، حيث أن خيرها ومصالحها يعودان على الإنسان إلا أننا نجد أن الله تعالى تتجلى قدرته ، ويكتب السيئة بسيئة واحدة ، والحسنة يزنها بعشرة أمثالها أو بسبعين أو بسبعمائة أو بسبعة آلاف أمثالها ، والله يضاعف لمن يشاء^(١) .

والسمو ، والرقى الحقيقى إنما يكون بتوجيه القلب والروح، والعقل، وحتى الخيال ، وسائر القوى الممنوحة للإنسان من أجل الحياة الأبدية الباقية أولاً . فالأجهزة التى زرعت فى الإنسان ليست لهذه الحياة الفانية ، وإنما أنعم الله تعالى بها على الإنسان لحياة باقية ، دائمة لها شأنها وأى شأن^(٢) .

والإنسان عندما ينكر رحمة ربه ، ويتهم حكمته ، ويقول مثلما قال قارون فى قول الله عز وجل { قال إنما أوتيته على علم عندى }^(٣) فلا شك أنه يعرض نفسه للعذاب والشقاء . وإذا ألقى الإنسان السمع إلى النفس والشيطان فسيسقط إلى أسفل سافلين ، وإذا أصغى إلى الحق والقرآن فسيرقى إلى أعلى عليين ، وكان فى أحسن تقويم فى هذا الكون ، ويصير أهلاً لحمل الأمانة الكبرى ، ليكون خليفة الله فى أرضه .

ولا يوجد للملائكة درجات رقى ، وذلك لعدم تسلط الشياطين عليهم، لذا يكون مقامهم ثابتاً لا يتبدل ، وكذا الحيوانات فإن مراتبها ثابتة وناقصة ، حيث لم تسلط عليها الشياطين - أيضاً - . بينما الإنسان تمتد به المسافة بين مراتب الرقى ، ودرجات التدنى^(٤) .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. الكلمات ، ص ٣٦١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦٣ ، ص ٣٦٥ .

(٣) سورة القصص : آية ٧٨ .

(٤) بديع الزمان سعيد النورسى. المكتوبات ، ص ٥٢ .

والعبد الصالح يتمنى أن يتحقق فيه قول الله تعالى {توفنى مسلماً، وألحقني بالصالحين} (١) .

وتخبر الآية الكريمة عن موت سيدنا يوسف عليه السلام فى الأثناء التى كان فيها فى ذروة السعادة والسرور ، إذ طلب من ربه الجليل أن يتوفاه لينال سعادة أعظم من هذه السعادة التى يرفل فيها .

ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام . أى لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحي ، ويتقد إليها ، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه . فمن الله تعالى الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ المبين ، وعلى التسليم (٢) والإيمان بعقيدة واحدة ، يستدعى حتماً توحيد قلوب المؤمنين على قلب واحد ، ووحدة العقيدة هذه تقتضى وحدة المجتمع . والمرء يشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معه فى طابور واحد ، وبعلاقة صداقة معه إن كان يعمل معه تحت إمرة قائد واحد ، بل يشعر بعلاقة أخوة معه لوجودهما فى مدينة واحدة ، فما بالك بنور الإيمان الذى يجمع بين القلوب من مختلف الجنسيات والأعراق .

فالخالق واحد ، والمالك واحد ، والمعبود واحد ، والرزاق واحد .. ثم إن النبى محمداً صلى الله عليه وسلم واحد ، والدين واحد ، والقبلة واحدة، والأرض التى نعيش عليها واحدة وأبانا واحد ، وأمنا واحدة .. فعلام الاختلاف إذاً ؟ وقد خلقنا لوظيفة أصلية ، وهى السعى لحياة الخلود، وليس الانهماك فى الحياة الدنيا ، والاهتمام بها ، حتى طغت على آخرتنا . وعلى المرء ألا يشغل باله بأنه قد قصر كثيراً .. بل عليه بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى ، وتشمير الساعد فى الجد ، وطاعة الله سبحانه وتعالى . وإذا تداخلت خواطر سيئة غير مقصودة بين أفكار طاهرة نزيهة، لا يضر ذلك فى شيء إلا إذا كانت مقصودة .

(١) سورة يوسف : آية ١٠١ .

(٢) ابن جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الطحاوي . أصول العقيدة الإسلامية ، بيروت ، مؤسسة

الرسالة، ط٢، ١٩٨٨ ، ص ٧٣ .

وعلى الإنسان أن يدع الوسواس الناشئة من التشدد المفرط لدى التحري عن الأكل الأتم من الأعمال . وقد يترك واجباً بسبب تحريه عن سنة، حيث يسأل نفسه دائماً عن مدى صحة عمله ، وقبوله . فتراه يعيده ويكرره ، قائلاً: ترى هل صح عملي ؟ حتى يطول به الأمر فيياس ويستغل الشيطان وضعه هذا فيرميه بسهامه ويجرحه من الأعماق^(١) .

ومن أجل السعي في تحصيل الخير ، كانت حكمة الخبير العليم في دار الامتحان ، إخفائه لأمر مهمة جداً بين ثنايا كثرة من الأمور . ويرتبط بهذا الإخفاء حكم كثيرة ، ومصالح شتى . فمثلاً قد أخفى سبحانه وتعالى " ليلة القدر " في شهر رمضان ، وساعة الإجابة في يوم الجمعة والأجل في عمر المخلوقات ، وقيام الساعة في عمر الدنيا . وعلى هذا يرجح عشرون سنة من عمر مجهول الأجل على ألف سنة من عمر معلوم الأجل^(٢) .

والقرآن الكريم أساس قصده ترسيخ أركان الإيمان السنة ، وتعميق أركان الإسلام الخمسة . وقد قدم القرآن الكريم للفكر وللحياة التوحيد، والاستقامة على منهج الله ، مع معالجة الصراعات القائمة بتحريم الربا ، وفرض الزكاة ، وعدم تكديس الثروة بيد فئة على حساب أخرى .. وبينما نرى القرآن الكريم يأخذ بيد الإنسان إلى الإيمان الصحيح ، والعمل الصالح نرى في المقابل أن طريق الضلالة يردى الإنسان إلى أسفل سافلين، إلى حد تعجز أية مدنية كانت، وأية فلسفة كانت عن إيجاد حل له .

ومحبة الأشياء نابعة من محبة الله تعالى ، فمحبة الأولاد ، هي محبة لله تعالى ، والتلذذ بالأطعمة الشهية ، مع التذكر بأنها إحسان من الله سبحانه وتعالى ، تستوجب الشكر لله تعالى .. وعندما تكون المحبة لله ، وفي سبيله، فإنها تورث لذة حقيقية بلا ألم ، وتكون وصلاً حقاً بلا زوال . أما محبة الوالد ، والوالدة ، فهي عبادة يثاب عليها المرء ما دامت في سبيل الله . كما أن الحواس لها ثوابها عند الله تعالى عندما تفعل ما أمرت به^(٣) .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. الكلمات ، ص ٣٠٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨٩-٣٩٠ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي. الكلمات ، ص ٧٧٠-٧٧٣ .

وفى قصة سيدنا " يونس " عليه السلام عبرة ، فالأسباب المادية تدهورت كلياً ، عندما التقمه الحوت ، فكان المخرج الوحيد له ترديد قول الله تعالى { لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين } (١) .

وسيدنا " أيوب " عليه السلام ، ظل صابراً رداً من الزمن يكابد ألم المرض العضال ، حتى سرت القروح والجروح إلى جسمه كله (٢) ، تضرع إلى ربه الكريم بهذه المناجاة الرقيقة { أنى مسنى الضر ، وأنت أرحم الراحمين } (٣) .

والبلايا والأمراض تجعل صاحبها يشعر بعجزه وضعفه ، فيلتجئ إلى ربه الرحيم ، ويتوجه إليه ويلوذ به ، فيؤدى بهذا عبادة خالصة ، لا يدخل فيها الرياء (٤) .

وأعظم مصيبة حقاً ، والتي هي مضرّة فعلاً ، التي تصيب الدين . أما التي لا تمس الدين فهي فى حقيقة الأمر ليست بمصائب ، لأن قسماً منها يكون :

١- تنبيه رحمانى يبعثه الله إلى عبده ، ليوقظه من غفاته .

٢- القسم الآخر من المصائب هو كفارة للذنوب .

وطلب الشفاء يكون من أجل القيام بوظائف العبودية الخالصة لله ، لا من أجل النفس ، وتطميناً لراحته . فمن ينقد القدر يصرعه ، ومن يتهم الرحمة يحرم منها . إذ كما أن استعمال اليد المكسورة للثأر يزيد كسراً ، فإن مقابلة المبتلى لمصيبته بالشكوى والاعتراض ، تضاعف البلاء .

ولا بد من الحفاظ على الدم المسلم ، الذى هو أشد حرمة عند الله تعالى من حرمة الكعبة المشرفة . وسيدنا " عثمان " رضى الله عنه ، الذى لم يرض بإراقة الدماء بين المسلمين حينما كانت تنهياً أعظم فتنة فى التاريخ

(١) سورة الأنبياء : آية ٨٧ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى . المعاني ، ص ١٠ .

(٣) سورة الأنبياء : آية ٨٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣ .

الإسلامي ، فضل بكمال رحمته ، ورأفته أن يضحى بروحه ، ويسلم نفسه للموت ، فاستشهد مظلوماً ، وهو يتلو القرآن الكريم .

إن هدف رسائل النور أن تكون زاداً لمن لا إيمان له فتدعوه إلى حظيرة الإيمان ، وتشد من إيمان الذي يجد في إيمانه ضعفاً فتقويه . وتجعل الإيمان التقليدي إيماناً تحقيقياً راسخاً .. ثم توسيع آفاق الإيمان التحقيقي الراسخ ليكون ممارساً في الحياة العملية بكل صورة (١) .

والحق يعلو ، ولا يُعلى عليه إلا بوسيلته الباطلة ، أي مغلوب مؤقتاً . فالمسلم يجب أن تكون كل صفة من صفاته مسلمة مثله ، إلا أن هذا ليس أمراً واقعاً ، ولا دائماً . ومثله ، لا يلزم - أيضاً- أن تكون صفات الكافر جميعها كافرة ، ولا نابعة من كفره .. إذاً ، وصفة مسلمة يتصف بها كافر تتغلب على صفة غير مشروعة لدى مسلم (٢) .

ووسيلة الاقتصاد فيها بركة من الله تعالى . فالإسراف مناف للشكر ، واستخفاف خاسر تجاه النعمة ، بينما الاقتصاد توفير مريح إزاء النعمة ، والفقير يستشعر اللذة ويتذوقها كالسلطان . نعم ! إن اللذة التي ينالها فقير من كسرة خبز أسود يابس بسبب الجوع ، تفوق ما يناله السلطان أو الثرى من أكله الحلوى الفاخرة ، مع عدم الشهية النابعة من الإسراف (٣) .

وخلاصة القول في هذا ، إن الإسراف ينتج عدم القناعة ، أما الاقتصاد فإنه يثمر القناعة والقناعة تنتج العزة .

والإنسان يجهل كل ما يخص الحياة ويلزمها ، وهو مضطر إلى تعلم كل شيء لأنه جهول ويحتاج إلى ما لا نهاية له من الأشياء . أما الحيوان ، فإنه لا يحتاج إلا إلى أشياء قليلة ، فضلاً عن أنه يتعلم شروط حياته في شهر أو شهرين أو يوم أو يومين ، بل ربما في ساعة أو ساعتين (٤) .

(١) بدیع الزمان سعید النورسی. الكلمات ، ص ٨٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٧١ .

(٣) بدیع الزمان سعید النورسی. اللغات ، ص ٢١٧ .

(٤) بدیع الزمان سعید النورسی. المكتوبات ، ص ٤٢٧ .

ثم إن الإنسان تتحكم فيه النفس ، والهوى .. وتستغل غفلته، وتحتال عليه لتضييق الخناق على إيمانه ، حتى تسد عليه منافذ النور الإيماني . فضلاً عن أنه لا يخلو عالم الإنسان من كلمات وأعمال منافية لظاهر الشريعة ، بل تعد لدى قسم من الأئمة في درجة بعيدة عن الدين لذا فهناك حاجة إلى تجديد الإيمان في كل وقت وحين ، بقول : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له " (١).

هذا بالإضافة إلى ضرورة أن يحافظ المرء على شعائره الإسلامية ، مع عدم تبديلها . والتسبيح والتهليل وكثرة تكرار { الله أكبر } وإعادتها في جميع الشعائر الإسلامية مزيلة للكيد الشيطاني ، وبها الخشوع والخضوع لله تعالى ، كما أنها غذاء للقلب .

قال تعالى { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم } (١) . وقد قيل في هذه الآية الكريمة إنها نزلت في قوم من المسلمين أسرفوا على أنفسهم في العبادة ، وخافوا ألا يتقبل منهم لذنوب سبقت لهم في الجاهلية (٢) . وقال تعالى { وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ، وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون } (٤) . أي دار الحياة الباقية التي لا تزول ، ولا موت فيها . لذلك وجب علينا أن نسعى لها سعياً الحثيث للفوز بها ، حتى نبتعد عن سخط الله علينا .

وبإيجاز فإن الطريق لتحقيق سلامة المجتمع يقتضى من أولى الأمر ، والمتقين والدعاة التعاون على ما يأتي :

(١) العودة الحميدة بالعقيدة إلى منابعها الصافية من الكتاب والسنة .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي . المكتوبات ، ص ٤٢٨ .

(٢) سورة الزمر : آية ٥٣ .

(٣) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد ابن بكر بن فرح الأنصاري القرطبي ، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، العدد ٦٢ ، ص ٥٨٨١ .

(٤) سورة العنكبوت : آية ٦٤ .

- (٢) تربية الأمة على معانى التقوى لله ، والإخلاص له ، والتوكل عليه، لتتكون القلوب الحية والضمانر اليقظة .
- (٣) تثبيت القيم الأخلاقية الأصيلة ، كالسخاء ، والإيثار ، والعفاف والحياء .
- (٤) الاعتزاز برسالة الإسلام بوصفه عقيدة ، وشريعة ، وحضارة ونظام حياة .
- (٥) المحافظة على شعائر الإسلام كالصلاة ، والزكاة .
- (٦) إحياء رسالة المسجد ليكون جامعاً للعبادة ، ومدرسة للثقافة .
- (٧) مقاومة البدع ، والأباطيل ، سواء فى العقائد أو العبادات .

الخاتمة

تأثير بديع الزمان سعيد النورسي
في المجتمع التركي المعاصر .

خاتمة

إن الهدف الأسمى الذى كان يشغل بديع الزمان سعيد النورسى هو دين الإسلام ، وعودته إلى حياة المجتمع التركى مرة أخرى بعد أن أقضى عن الساحة . ولكى يصل إلى هذا الهدف سخر كل إمكانياته ، وإمكانات تلاميذه الذين أعدهم ورباهم لإنقاذ الإيمان فى الأمة ، حتى تعود ثانية إلى بر الأمان ، كى تتعم بنور الإسلام تحت شعار ” أصلح نفسك ، وادع غيرك “ . فوظيفة كل طالب من طلاب النور ليس إنقاذ إيمانه وحده ، بل هو مكلف - أيضاً - بالحفاظ على إيمان غيره ، ولا يكون ذلك إلا بالاستمرار الجاد فى الخدمة^(١) .

لقد استطاع الأستاذ النورسى - رحمه الله - أن يكون جيلاً من التلاميذ، لا سيما من جميع طبقات الشعب من الشباب ، الذى أحدث صحوة طيبة فى تركيا ، نرى مظاهرها ، وأثارها بادية فى جوانب متعددة من الحياة هناك . وبالتالي لن يموت فى ضمير الأمة ، وإن كلماته ، ووصاياه لن تذهب سدى ، ولا هباءً ما بقى فى الحياة مسلم غيور ، أو مسلمة غيرة، وإن موته لم يكن نهاية مجده ، ولا جهاده . وإن النور المحمدى الذى سطع منه لن يقدر أحد على إطفائه أبداً .

هذا ، وقد كان لرسائل النور آثار متعددة منها :

أولاً : تجديد الثقة بالإسلام :

لقد استطاع الشيخ سعيد النورسى بفضل كفاحه ، وجهوده من خلال حركة النور ، أن يعيد للأجيال الجديدة تجديد ثقته بالإسلام . فقد بلور ، وبسط تعاليمه ، وشريعته السمحة الخالدة للشباب المتعطش . كما حرر العديد من الرسائل الإسلامية تحت عنوان ” رسائل النور “ واستقطب حولها جموعاً غفيرة من الشباب المسلم المثقف الداعى لأمر مرحلته ، والمراحل التالية لها.

إن تجديد النورسى لحياة المسلمين فى تركيا ، ومحاولة صياغتهم صياغة ربانية كريمة فى إطار إنقاذ الإيمان ، والدعوة إلى نظام

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص ٢٠٢.

الإسلام، والتحرر من كيد الأعداء .. كان في عالم معاصر وفي صراع مع حضارة معاصرة .. لكن ذلك كله في حدود ما أنزل الله تعالى ، وما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم . لقد حاول النورسي أن يصوغ المسلم الذي فرغ فؤاده من حب الله تعالى، وفرغ عقله من الاستدلال ، وبعد النظر، وفرغ سلوكه من الاستمتاع الحلال بالطيبات صياغة ربانية متوازنة ، تعيد إليه صفاء فطرته ، وقوة انطلاقه نحو خلافته في الأرض كما أراد الله^(١) .

وكان عصر النورسي كله عصر شك مخيف في غيبات الإسلام كلها ، ومنها الإيمان باليوم الآخر . فقد ظهر الإنكار ، والاستهزاء بآيات الله تعالى في أمور الدنيا والآخرة . والأمة الإسلامية من حيث العموم قد برد إيمانها بالآخرة ، فلم يعد أبناؤها يهزم خبر اليوم الآخر ، ولم يعودوا يعملون لذلك اليوم العظيم . فابتعدت حياتهم عن أن توزن بميزان الإسلام الحق . فأراد النورسي أن يرجع الشعب التركي ضمن الأمة الإسلامية إلى الحق المبين ، ويثبت لهم وجود ذلك اليوم ، كأنهم يرونه ، كي يهز أعماقهم ، ويحرك وجدانهم ، من أجل العودة إلى الله تعالى، والاستعداد ليوم الرحيل، لأن السفر طويل ، والزاد قليل .

فعلينا إذاً أن نتمسك بشريعة الإسلام ، وهي خاتمة الرسالات . وهي تهدف إلى تكوين مجتمع فاضل يضم الأسرة الانسانية كلها ، ولذلك بدأت بتربية ذات المسلم للحفاظ على النفس والدين، والعقل ، والنسل والمال .. وذلك عن طريق العقيدة الشاملة ، والعبادات التي تقوى علاقة الإنسان بربه، وتؤهله لحياة إجتماعية صحيحة . وعن طريق الأخلاق والنظم التي تضبط المجتمع بوجه عام . وكل ذلك من المصدرين الأساسيين للتشريع، وهما " القرآن ، والسنة " .

وعن دور الشريعة في تحقيق أهداف المجتمع روحياً ومادياً ، نرى أن الإسلام عني بتربية الفرد المسلم ، لأنه عماد الخلية الأولى في المجتمع، وهي خلية الأسرة . رباه على نقاء السريرة والإخلاص، والنصح، وفرض عليه الصلاة وسنها في جماعة خمس مرات كل

(١) د. محسن عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

يوم ، كما فرض عليه صلاة الجمعة كل اسبوع ، وفرض عليه الحج ، وبر الوالدين، وصلة الأرحام ، وصدق العقيدة .. وعن ضرورة الشريعة الإسلامية، نرى أن الإسلام دين ودنيا ، غير موقوت بعصر ولا محدد بأرض ، فهو دين الإنسان في كل مكان ، إلى أن تقوم الساعة^(١) .

والأمة الإسلامية سادت وبسطت سلطانها على غيرها حين سادتها أحكام الشريعة ، وحين غفل المسلمون عن تطبيقها ، هانوا على أنفسهم، وعلى غيرهم . والتاريخ خير شاهد على ذلك ولو عادوا إليها لعادت إليهم قوتهم ، قال تعالى : { إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم }^(٢) .

ثانياً : خدمة الحروف العربية :

كانت " رسائل النور " تكتب وتستنسخ باليد والحروف العربية، وباللغة التركية ، رغم تبديل الدولة لهذه الحروف إلى حروف لاتينية سنة ١٩٢٨م . فكان على طالب النور أن يتقن قراءة الحروف العربية حتى يتمكن من أن يتزود من " رسائل النور " معاني القرآن الكريم وأنوار الإيمان . وبهذا تكون رسائل النور قد خدمت الحروف العربية خدمة جليلة . وبالتالي نشأ جيل من الشباب تمكن من قراءة القرآن الكريم ، والحروف العربية ، وبدأوا يعلمونها للآخرين . ففي الأشهر الثلاثة " رجب ، شعبان ورمضان " ، عندما كان النورسي في مدينة " إسبارطة " قام بتوزيع أجزاء القرآن الكريم على طلابه ، لكل طالب جزء من التلاوة اليومية ، ليختم القرآن الكريم كل يوم في هذه الشهور المباركة ، ليرتفع إلى الملأ الأعلى قرآناً كاملاً من طلاب النور في "ساو، قوله اوناو ، اتابي ، باز انوب" وهي أسماء الأفضية ، والنواحي التي حول ولاية إسبارطة^(٣) والحروف العربية هي أصلح حروف الأبجديات قاطبة لكتابة الألفاظ ، ومن أكثرها دقة في ضبط

(١) الأزهر الشريف. بيان للناس ، ج ٢ ، ص ٣٨٠-٣٨١ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٩ .

(٣) ترجمة أسيد إحسان قاسم ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

الأصوات . وقد استطاعت أن تؤدي من أنواع الكتابة مالم تستطع أى أبجدية أخرى أن تؤديه^(١)

ثالثاً : تصحيح الأفهام الخاطئة فى الطرق الصوفية :

من هذه الأفهام الخاطئة ما يلى :

١- إن الورطة التى يسقط فيها سالكون من الطرق الصوفية ممر لا يتبعون السنة النبوية على الوجه الصحيح ، هى اعتقادهم بأرجحية الولاى على النبوة !! والصحابة .

إلا أن هناك سمواً للنبوة على الولاية .

٢- تفضيل قسم من الأولياء على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، بل رؤيتهم فى مرتبة الأنبياء عليهم السلام . إلا أن الصحابة الكرام لهم خواص متميزة بسبب الصحبة النبوية ، حيث لا يمكن للأولياء أن يبلغوا مرتبتهم أصلاً ، فضلاً عن أن يتفوقوا عليهم^(٢) .

٣- ترجيح بعض المتطرفين للطريقة لأوراد طريقتهم وآدابها على أذكار السنة النبوية الشريفة ، فيسقطون بذلك فى منزلق مخالفة السنة النبوية، وتركها . إلا أن اتباع سنة واحدة من السنن النبوية يكون مقبولاً عند الله تعالى أعظم من مائة من الآداب والنوافل الخاصة .

٤- بعض المتطرفين من أهل التصوف يظنون خطأ أن الإلهام نوع من الوحي . إلا أن الوحي سام ، وعال ، وساطع وضاء ، وكلى شامل، بينما الإلهام جزئى ، وضوؤه خافت .

رابعاً : إصلاح الفرد ، والبيت ، والمجتمع :

من عناية الله تعالى أن قيض لتركيا رجلاً حفظته الرحمة الإلهية من أن يشنق أو يقتل حتى أدى رسالته . فمن سعير الجحيم الذى كان يعيش فيه ، نشأ وكتب ، وحفظ الله له ما كتب ، فوصل إلى كل مكان ، وانتفعت به الملايين ، وحرر الفكر الإسلامى التركى من التبعية^(٣) .

(١) أنور الجندى. من سقوط الخلافة إلى مولد الصحوه. القاهرة، بيت الحكمة، ١٩٩٠، ص ٢١٧.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسى. المكتوبات، ص ٥٨٨.

(٣) أنور الجندى. السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، ص ١٥٨-١٥٩.

وعلى نطاق الفرد فإن أسعد الأطفال هم أولاء الذين دخلوا ضمن دائرة رسائل النور فيكونون أبناء برره للوالدين ، وخداماً أمناء لهم ، يقومون بين أيديهم بالاحترام والتوقير اللائقين بهما ، ويسجلون بأعمالهم الصالحة حسنات في سجل حسنات والديهم بعد وفاتهم .. وفي الآخرة يكونون لهما شفعاء ، كل حسب درجته^(١) .

وعلى الأولاد أن يسعوا إلى كسب رضاء والديهم ، وعلى الوالد ألا يحرم ولده من رأفته حتى وإن كان عاقلاً له ...

ولو أن كل شاب قد قام بدفع ساعة واحدة من أربع وعشرين ساعة من يومه لإقامة الفرائض، وتاب عن سيئاته ومعاصيه ، وتجنب الخطايا والذنوب .. فإنه سيعود بفوائد جمة على حياته ومستقبله ، وعلى بلاده وأمتة ، وعلى أحبائه وأقاربه .. فضلاً عن أنه يكسب شباباً خالداً في النعيم المقيم في الجنة^(٢) .

وعلى نطاق البيت ، فبيت كل إنسان هو دنياه الصغيرة ، بل جنته المصغرة . فإن لم يكن الإيمان بالآخرة حاكماً ومهيماً في سعادة هذا البيت، لوجد كل فرد من أفراد تلك العائلة اضطراباً أليماً ، وعذاباً شديداً في علاقة بعضهم ببعض الآخر .. فتتحول تلك الجنة إلى جحيم لا يطاق .. لكن ما أن يحل الإيمان بالآخرة في ذلك البيت ، حتى ينور أرجاءه مباشرة ويستضيء لأن علاقة القربى ، والرفقة ، والمحبة التي تربطهم لا تقاس عندئذ ضمن زمن قصير جداً ، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم ويقائهم في دار الآخرة ، والسعادة الأبدية .

وهكذا ، فإن كل مدينة هي بحد ذاتها بيت واسع لسكنتها . فإن لم يكن الإيمان بالآخرة مسيطراً على أفراد هذه العائلة الكبيرة ، فسيستولى عليهم الحقد ، والمنافع الشخصية ، والاحتيايل والأنانية ، والتكلف والرياء .. بدلاً من أسس الأخلاق الحميدة ، والمروءة والفضيلة ، والمحبة والتضحية، ورضى الله تعالى ، والثواب الأخرى ..

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. الملاحق ، ص ٢٤٦ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي. الشعامات ، ص ٥٢٢ .

وقياساً على هذا ، فإن البلاد بأكملها ما هي إلا بيت واسع جداً ، والوطن بيت عائلة الأمة. فإذا ما حكم الإيمان بالآخرة هذه البيوت ، وسيطر ، فإن الفضائل تتكشف ، وتنبسط .. ويظهر الاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع، حاكماً ومحكوماً ، وتظهر الرحمة ، والمحبة الخالصة بلا عوض . ولقد دعا النورسي قومه إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، لأنها أفضل دواء ، وأنفعه للأمراض الروحية ، والعقلية ، والقلبية ، ولا سيما الاجتماعية منها . ولا يمكن أن تقوم مقام حلول الشريعة الإسلامية أى فلسفة . ويتحدث عن مشكلة الصراع الطبقي بين الأغنياء والفقراء فى الحضارات غير الإسلامية ، والذي لم ينته إلى التوازن القائم بين الأغنياء والفقراء ، بينما شريعة القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، اجتثت تلك الأدوار من جذورها ، بوجود الزكاة حلاً لمشكلة الفقراء ، وتحريم الربا ، قطعاً لدابر طمع أصحاب المال^(١) .

بدأ التغيير فى حياة المجتمع التركى حضارياً وثقافياً فى عصر النورسي ، إذ بذلت المساعى لتغيير معتقدات أفراد المجتمع الدينية ، إلا أن النورسي حينما رأى تباعد المجتمع دينياً ، سعى لكى يحافظ أفراداه على معتقداتهم الإسلامية ، وصلاتهم الدينية ، وجعل هذا السعى من أهم أهدافه . ويجدر بنا أن نبين أن حكام تركيا عام ١٩٢٣م قد غيروا المجتمع التركى تغييراً كاملاً بعد إعلان الجمهورية ، ووجهوا الشعب إلى الأخذ بتقاليد الغرب ، وعاداته ، واعتبروه أفضل نموذج يقتدى به ، لكن النورسي عارض هذه الأفكار ، ودافع عن الأسس والأخلاق الإسلامية ، وسعى إلى توثيق الروابط بين العالم الاسلامى^(٢) .

ورسائل النور تلقى فى قلب كل من يقرأها وازعاً دينياً ، وقوة معنوية تمنعه من ارتكاب المحرمات ، وهذه الرسائل ماهى إلا لخدمة كافة أفراد الشعب ، وكان من وصايا النورسي دائماً تقوى الله تعالى وعبادته .

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. الكلمات ، ص٤٧٤.

(٢) د.سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص٢١٥ ، ص٢٢١.

ففى اسكى شهر جاءه عمال من مصنع السكر فقال لهم : " إن صلّيتم الفرائض سنكون كل أعمالكم فى المصنع فى حكم العبادة لأنكم تسعون لحاجة ضرورية للشعب ، وخدمتكم هذه خدمة مباركة" (١) . وكان يحث على أداء الفرائض من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج .. لأن مقتضى الايمان هو أداء الفرائض على وجهها ابتغاء مرضاة الله تعالى . والتهاون فى تطبيق الشعائر الدينية يفضى إلى ضعف الأمة .

ومن الفرائض التى تقى المجتمع الفتن ، ارتداء النساء للحجاب ، بينما تذهب المدنية إلى خلاف هذا الحكم الربانى . قال تعالى : { يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن .. } (٢) . وتدل فطرة المرأة المسلمة ، على أن حجابها هو قلعتها الحصينة، وخذنقها الأمين .. ثم إن ما هو مطلوب شرعاً أن يلائم كل من الزوج والزوجة بعضهما ببعض ، وأفضل ملاءمة هى ملاءمة الدين . وإن اللذة الحقيقية للوالدين ، ملاطفة أولادهم الأبرياء ، ومداعبتهم ومجالستهم ،

وهذه المتعة تفضل مئات متعة السينما (٣) .

وكان حديث النورسى مع أهل البلبايا ، والمصائب ، والمرضى ، الذين هم عشر البشرية كالباسم الشافى من جهة :

- ١- المرض ليس علة ، بل هو نوع من الدواء ؛ ذلك لأن العمر رأس مال يتلاشى ، فإن لم يستثمر فسيضيع كل شىء .
- ٢- المرض يقوم بدور المرشد الناصح الأمين ، ولا داعى إلى الشكوى منه . والإنسان لم يأت إلى هذه الدنيا للتمتع والتلذذ ، والشاهد على ذلك : رحيل كل آت ، وتشيب الشباب وتدحرج الجميع فى دوامة الزوال والفراق .

(١) دسمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٥٩ .

(٣) بدیع الزمان سعید النورسى . المعات ، ص ٣١٣ .

وليس للمريض الحق في الشكوى من مرضه ، بل عليه الشكر ، وعليه الصبر ؛ لأن وجوده وأعضائه ، وأجهزته ليست ملكه . وهو لم يصنعها بنفسه ، وهو لم يبتعها من أية شركة أو مصنع فهي إذاً ملك لله تعالى . كما أن المرض نوع من الإحسان الإلهي لقسم من الناس . فالذي يعاني المرض هو أكثر الناس تفكيراً في الآخرة ، وتذكراً لها . والمرضى مطهرة للأدران، كما أن الأجل مقدر لا يتغير . وإذا كان الإنسان يريد أن يخفف المرض عنه فليسع جاهداً للابتعاد عن القلق .

والمؤمن التقى يأتيه ثواب ما كان يؤديه من العبادة حتى في أثناء مرضه . كما أن المريض بالشلل يبشره النورسي بأن الشلل يعد من الأمراض المباركة للمؤمن . كما أن الأمراض مكفرات للذنوب ، وذكر الله تعالى يخفف الآلام ، بل يزيلها .

وقد ركز بديع الزمان النورسي على بناء المستشفيات والمدارس، وملاجئ الأيتام والأقسام الداخلية للطلبة ، ودور العبادة وشق الطرق .. وهذه كلها دعوة إلى الله تعالى من خلال تقديم النموذج الإسلامي في أداء الخدمات للناس بطريقة صحيحة مرضية . كما بادر النورسي منذ عهد الدولة العثمانية ، فأيد جمعية إسلامية عرفت باسم "الاتحاد المحمدي" عام ١٩٠٨م ، وقد دخل الناس فيها أفواجا . كما نادى بفكرة الجامعة الإسلامية^(١).

والحركة النورية لم تحمل السلاح قط ، واقتصرت جهادها على اللسان وعلى العلم والفكر إلا أنها أعادت للأجيال الجديدة الثقة بالإسلام ، مع بلورة تعاليمه ، وشريعته السمحة للشباب فاستقطبت حولها الكثير من الشباب حتى عدوا بالملايين بينما كان أتاتورك يلفظ أنفاسه الأخيرة .

والالتقاء بالناس خير وسيلة لتوصيل المفاهيم الصحيحة حول الدين . ولقد فرضت حركة النور نفسها على واقع المجتمع التركي ، فلم يعد بوسع أحد أن يتجاهلها .. حتى الذين كانوا في السجون والمعتقلات .. فقد شاهد مسؤولو السجن ، ومن يتولون أمره ، أن من ظنّوهم مجرمين قتلته، وحسبواهم

(١) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٤٢ .

سفهاء مخلصين بالنظام ، قد أصبحوا طلاب مدرسة تربوية مباركة ، يتعلمون فيها الأدب الجميل ، والخلق القويم ، وغدوا أعضاء نافعين للبلاد والعباد (١) .
فالسعيد من عرف الله وأطاعه ، ولو كان في غياهب السجون والمعتقلات ، أما من غفل عن ربه ، شقى ، ولو كان في بروج مشيدة . وقد تم تأليف رسالة " الثمرة " للمسجونين بوجه خاص ، لأن السجون جعلت أساساً من أجل التربية ، والإصلاح ، وعلى أولى الأمر أن يفسحوا المجال أمام الدعاة المخلصين للانتقاء بالمسجونين من حين لآخر ، حتى يصبح هؤلاء المسجونون أفراداً نافعين للبلاد والعباد ، ولينقدوا مستقبلهم وآخرتهم . وإذا انعدمت التربية الدينية ، فلا تكون لدى المسلمين وسيلة للإدارة سوى الاستبداد المطلق والرشوة ..

لقد خدم النورسي الأمن العام ، ولقد قال ضباط منصفون لثلاث ولايات: " إن طلاب النور ضباط معنويون للأمن في البلاد ، وأنهم يساعدون في الحفاظ على الأمن والنظام لما يجعلون من فكر كل من يقرأ رسائل النور بالإيمان التحقيقي حارساً ورقياً عليه ، فيسعون بذلك للحفاظ على الأمن العام " (٢) .

وما أن دخلت رسالة " الثمرة " التي كتبت للمسجونين ، وكذلك طلاب النور في سجن " دنيزلي " ، حتى تاب أكثر من مائتي سجين ، وتحلوا بالطاعة ، والصلاح ، وذلك في غضون ثلاثة أشهر أو تزيد . حتى أن قاتلاً لأكثر من ثلاثة أشخاص كان يتحاشى أن يقتل حشرات غرف السجن . فلم يعد عضواً لا يضر فقط ، بل أصبح نافعاً رحيماً للبلاد والعباد . مما دفع مدير السجن أن يقر بأن السجن قد أصبح في حكم مدرسة تربوية .

كما اتجه النورسي بإصلاحاته - أيضاً - إلى المرأة ، ودعاها إلى كسب نفقتها بنفسها وذلك أفضل عنده بعشرات المرات من أن تدفعها الحاجة إلى الرضوخ لسيطرة زوج نشأ على تربية غير إسلامية .. وربما

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. الشعاعات ، ص ٢٤٦ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي. اللمعات ، ص ٤٠٠ .

تحاول كسب رضاه بالتصنع ، وبالإخلال بعبادتها ، وأخلاقها التي هي مدار حياتها الدنيوية ، والأخروية^(١) .

ولقد دعا النورسى إلى تحويل كل شخص لبيته ليكون مدرسة نورية يتدارس فيها مع أطفاله وأهل بيته رسائل النور ، وإن لم يكن له أحد فليتخذ مع بعض أفراد من جيرانه إحدى المساكن لتكون مدرسة نورية - أيضاً - يتدارسون فيها رسائل النور ، أو يستمعون إليها ، أو يستسخونها ، وذلك فى الأوقات التي يتفرغون فيها من أعمالهم^(٢) .

وكان من أثر ذلك أن عرف العديد من الأفراد الطريق إلى بيوتهم، والاهتمام بعوائلهم ، مع ترك الأمور الشائنة .. عرفوا طعم السعادة العائلية .. مما دفع آباء هؤلاء وأمهاتهم أن يرفعوا أكف الضراعة لله سبحانه وتعالى بالدعاء لمن كان سبباً فى هذا التحول الحميد^(٣) . مما كان له الأثر الواضح على المجتمع التركى . وقد نادى الأستاذ النورسى المجتمع التركى أن يمثل بما يلى :

١- بين النورسى أن حكم المرتد عن دينه شرعاً ، أن لا حق له فى الحياة بعد استتابته خلافاً للكافر الذمى ، أو المعاهد ، فإن له حقاً فى الحياة^(٤) . مما يجعل كل فرد يتمسك بدينه وعقيدته .

٢- إن إدارة مائة من الفاسقين الفاسدين أخلاقياً ، والمرتابين فى اعتقادهم ، وإيمانهم ، مع جعل الأمن والنظام يسود فيما بينهم لهو أصعب بكثير من إدارة ألوف من الصالحين المتقين ونشر الأمن فيما بينهم . وهذا مؤشر لأولى الأمر أن يجعلوا رعاياهم صالحين متقين .

٣- حث النورسى على أهمية أداء العبادات من صلاة وصيام وزكاة ، وحج .. لأنها توحد القلوب المؤمنة ، وتجمع الألسنة على كلمة سواء .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى . الملاحق ، ص ٣٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨١-٣٨٢ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات ، ص ٦٢٤ .

(٤) بديع الزمان سعيد النورسى . للمعات ، ص ١٨٦ .

٤- حبه لجميع الناس : ختم بعض رسائله عند الإجابة على بعض الأسئلة بتبليغ السلام إلى والدي السائل ، مع طلبه منهما الدعاء ، فهما بمنزلة والديه أيضاً . مع تبليغ السلام إلى أهل قريته جميعاً . وبالحب تتحقق المعجزات .

٥- حينما يقبل شباب أمة على القرآن الكريم ، وعلى العلوم التي تنتور منه ، فمعنى ذلك أن تلك الأمة بدأت تسير في طريق الرقى والتقدم . وبذلك فإن الشباب الذي سيملك إيماننا يقينياً عن علم سيجاهدون الإلحاد ، ولن يسمحوا أبداً ببيع أوطانهم إلى أعداء الإسلام .

٦- أعلن الحرب على الجهل ، والفقر والفرقة ، وهز أركان الأوهام الكثيرة المختلفة التي أحاطت بالمجتمع التركي . فكما أعلن حرباً صروساً ضد الإلحاد ، وإنكار الخالق ، فقد أغرق الأباطيل والخرافات في تناقضاتها، وسد الأبواب أمامها .

٧- قام بعملية كبرى للرياء ، وللمظاهر الكاذبة المستشرية بين الناس، بدءاً من رجال قصر السلطان ، وانتهاء إلى رؤساء العشائر في الولايات الشرقية .. كما دعا إلى طبع الكتب ونشرها فقد كتب كتاباً في علم الرياضيات عام ١٣١٢هـ - ١٨٩٤م ، إلا أن هذا الكتاب احترق في حريق كبير شب بولاية " وان " (١) .

كما كتب كتاباً سماه " الإيمان وتكامل الإنسان " ، وهو تفسير لمعاني بعض الآيات القرآنية وباستخدام ضرب الأمثال ، وكتاب " حقيقة التوحيد " وهو نهج قرآني يبين أن التوحيد علم نابع عن البراهين ، وكتاب " الإخلاص والأخوة " وهو علاج لمشاكل المسلمين ، وجمع شملهم وكتاب " حقائق الإيمان " ، وهو عن معاني الصلاة ، وحكم أوقاتها ، والتأمل الفكري (٢) وإلى نشر المعارف بكل أشكالها في كل مكان ، ودعا إلى نشر التعليم

(١) د. سمير رجب محمد ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

(٢) محمد الصايغ . شهداء الدعوة الإسلامية في القرن العشرين ، القاهرة ، دار الفضيلة ، مراجعة وتقديم

محمد عبدالله السمان ، ١٩٩٢ ، ص ١٤٤

والتربية إذ كان يرى اشتراك المساجد ، والمدارس الدينية ، ومعسكرات الجنود ، والسجون ، وكافة مرافق المجتمع فى تعبئة عامة للتعليم . فبالمعارف وحدها يمكن تحقيق الوحدة العقلية ، والفكرية .. كما يجب أن تتحد الضمائر ، والمشاعر ، لكى تتحد القلوب ، والأيدى فيما بعد والطريق إلى مثل هذه الوحدة يكون بتناول الحياة حسب مبادئ الدين ، وقيمة، وحسب الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة وطريق السلف الصالح ، واجتهادهم ، على أن تفسر الأمور الجديدة ، والمستحدثة حسب إدراك العصر وضرورته ، دون الخروج على الكتاب السنة^(١) .

٨- كان موقف النورسى واضحاً من حركة الاجتهاد ، إذ كان رد فعله منطقياً على حركة التغريب التى أرادت أن تصبغ المجتمع الإسلامى التركى بصبغة الحياة الأوربية . فقد رأى أن الدعوة إلى الاجتهاد فى مثل هذا الجو الذى لم يبق لضوابط الإسلام أية قيمة ، أمر لا معنى له؛ لأن أى نوع من أنواع الاجتهاد سيجرى داخل ضوابط حياة غير إسلامية مما كان له الأثر الواضح على علماء السلطة الذين لا يحملون أى شرط من شروط الاجتهاد يسوغون التطورات اللادينية كلها باسم الاجتهاد ، فيلوون حقائق الدين الراسخة^(٢) .

ونجد آثار النورسى الآن فى المجتمع التركى من ناحية الاجتهاد ، حيث أرسى القواعد الآتية :

(أ) الانشغال بتقوية أصول الإيمان أفضل من الانشغال بأمور نظرية جزئية .

(ب) إن الاجتهاد لا بد وأن يجرى فى إطار أصول الشريعة ، مهما تغيرت الحياة ، وتبدلت .

(١) انظر تقديم كتاب المثنوى العربى النورى ، مرجع سابق ، للأستاذ محمد فتح الله كولن ، ترجمة

أورخان محمد على ، ص ح . بتصرف .

(٢) دمحسن عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ٢٣١ . بتصرف

٩- وجه النورسى كلامه إلى أفراد الأمن أن يكونوا أصحاب تقوى، ودين ، فيؤدوا الفرائض ، ويجنبوا أنفسهم الخطايا والذنوب أكثر من العلماء المتصوفة^(١) .

١٠- خاطب النورسى طالبات النور اللائى يرغبن فى حياة العزوبة فقال : " يجب ألا يبعن أنفسهن رخيصات ، سافرات ، كاشفات ، عندما لا يجدن الزوج المؤمن الصالح ، ذا الأخلاق الحسنة ، الملائم لهن تماماً . بل عليهن البقاء فى حياة العزوبة إن لم يجدن ذلك الزوج الكفاء - كما هو حال بعض طلاب النور - حتى يتقدم لطلبها من يلائمها ، ممن تربي بتربية الاسلام ، وله وجدان حى ، ليكون رفيق حياة أبدية يليق بها . وذلك لئلا تفسد سعادتها الأخروية لأجل لذة دنيوية طارئة .. " ^(٢) .

إلا أن النورسى كان يعرف حدود المرونة ، والتطوير ، ويقف فى قوة أمام " الثوابت الإسلامية " ، لا يتجاوزها ، ولا يقبل تجاوزها ، لكنه غاية فى المرونة من ناحية " المتغيرات " التى يسميها رجال الفقه "الفروع" ^(٣) .

خامساً : عوائق التمكين لدين الله تعالى فى الأرض .

هناك عوائق داخلية ، وأخرى خارجية ، إلا أن الباحث سيركز على الأولى النابعة من قلب ديار المسلمين ومن داخل أنفسهم وهى :-
(١) تعطيل الشريعة الإسلامية ، التى شرعها الله تعالى لعباده من عقائد ، وعبادات ، وأخلاق ، ومعاملات ، ونظم حياة ، لتحقيق سعادة الدارين " الدنيا والآخرة " .

(١) بديع الزمان سعيد النورسى. الملاحق ، ص٣٦٨ .

(٢) المصدر نفسه والصفحات نفسها .

(٣) أنور الجندى. من سقوط الخلافة إلى مولد الصحوة ، ص١٢ .

ومن صور تعطيل الشريعة الإسلامية ؛ فصل الدين عن الدولة، وذلك بجعل الإسلام قاصراً على الشعائر التعبدية ، وإبعاده عن مجالات الحياة ، ليفقد شموليته (١) .

(٢) الفرقة في صفوف الأمة الإسلامية . وهذا من أخطر ما يعوق مسيرة التمكين ، لأن قوة المسلمين إنما تكمن في وحدتهم ، فإذا تفرقوا أصبحوا أعداداً لا قيمة لها ولا وزن .

(٣) غياب القيادة الراشدة : حيث أن قادة الأمة هم عصب حياتها، وبمنزلة الرأس من الجسد . ومن صفات القيادة الراشدة أنها تقيم حدود الله ، ويسهر الواحد منهم في سبيل إسعاد رعيته ، وابتغاء مرضاة ربه .. ومن مبادئ الدولة المسلمة :

أ - القوة والعلم ب - أن تكون للدولة رسالة ، وأسمى رسالة ، هي توحيد الله تعالى وجمع الناس على الإيمان به وحده ، وتطهير الأرض من كل شرك ، حتى تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وتكون الخلافة الراشدة (٢) .

ج - إيمان الرئيس الأعلى وعنايته بكل شيء ، مع إيمان أفراد الشعب برسالة الدولة .

(٤) تخلف الأمة الإسلامية في مجالات الحياة ، العلمية ، أو الاقتصادية ، أو التجارية .

(٥) ارتكاب الذنوب والمعاصي في حق الله ، والانهازامية النفسية، واليأس .

(٦) تصدع بناء الفرد المسلم ، والبيت المسلم ، والمجتمع المسلم .

(٧) السلبية ، وكثرة المتفرجين ، وانتظار العمل من الآخرين .

(٨) انتشار الفساد وتفشي الظلم ، والفقر ..

(١) انظر : د. محمد السيد محمد يوسف . التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم . القاهرة ، دار السلام ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، ص ١٥٠ .

(٢) انظر : البيه الخولي : تذكرة الدعاة ، القاهرة ، مكتبة التراث ، ١٩٨٧ ، ص ٥٠ .

ومع هذا فهناك إرهابات ، أو مبشرات النصر والتمكين لدين الله تعالى منها :

(١) المبشرات من القرآن الكريم :

إن الله تعالى لا بد أن يمكن لدينه ، وينصر جنده المستضعفين، لقول الله تعالى { ونريد أن نمنن على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين } (١) . صدق الله العظيم

(٢) المبشرات من السنة النبوية المطهرة :

عندما بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الإسلام بدأ غربياً، وسيعود غربياً كما بدأ فطوبى للغرباء .. كما أقسم عليه الصلاة والسلام ، بأن الله سيتم الإسلام وسينتشر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخشى إلا الله، والذئب على غنمه ، ولكن الناس تستعجل ذلك . كما بين صلى الله عليه وسلم أن الإسلام سيبلغ ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله عز وجل بيت " مدر " ولا " وبر " إلا ودخله الإسلام، بعز عزيز أو بذل ذليل ، يعز الله به الإسلام ، وذلا يذل الله به الكفر (٢) .

(٣) المبشرات من التاريخ :

إن التاريخ يحدثنا أن في الإسلام قوة ذاتية مخبوءة ، لا تبرز إلا عند حلول الشدائد بساحتها وإحاطة المحن بالأمة الإسلامية . وهناك نراه أصلب ما يكون عوداً ، وأعظم ما يكون صموداً وأشد ما يكون قوة . رأينا ذلك في فجر الإسلام في بدر الكبرى ، وفي حروب الردة .. وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه العزيز { واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره } (٣) . صدق الله العظيم

(١) سورة القصص : آية ٥ .

(٢) المدر - حجر - وبر : البوادي .

(٣) سورة الأنفال : آية ٢٦ .

(٤) المبشرات من الواقع :

إن أبناء مدرسة النور لهم فضل سبق في العمل الإسلامي في تركيا ، في وقت كان العمل للإسلام من أشد الجرائم التي يعاقب عليها القانون (١) .

وإذا ما نظرنا إلى العصر الذي كان يعيش فيه النورسي ، وبالتحديد منذ عام ١٩٢٦م حتى مماته في عام ١٩٦٠م ، وجدنا مبشرات كثيرة جعلت هذه الأمة الإسلامية تثبت في وجه الأعاصير ولا تذوب في غيرها كما يذوب الملح في الماء . ولا غرو أن هياً الله تعالى لهذا الدين رجالاً أمثال " النورسي " ، يجددونه ، ويوظفون أمته ، ويصنعون أجيالاً على هداه ، حيث أيقظت العقول بالوعى ، والقلوب بالحماس ، والعزائم بالعمل الدءوب، وأعدت إلى الناس الثقة بالإسلام ، بعد أن ظن أن راية الإسلام قد سقطت . قال تعالى (ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين) (٢).

(٥) المبشرات من السنن الإلهية :

هناك مبشرات مستمدة من سنن الله تعالى في خلقه ، وهي قوانين ثابتة تجرى على الآخرين كما جرت على الأولين . قال تعالى " فلن تجد لسنة الله تبديلاً " (٣) . ومن هذه السنن :

(أ) سنة التداول : وهي من سنن الله تعالى ، ومن ينظر إلى شعلة الحضارة يجدها تنتقل من أمة لأخرى ، قال تعالى " وتلك الأيام نداولها بين الناس " (٤) . صدق الله العظيم

(ب) سنة التغيير : قال تعالى " .. إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " (٥) . صدق الله العظيم

(١) مصطفى محمد ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

(٢) سورة الأنفال : آية ٣٠ .

(٣) سورة فاطر : آية ٤٣ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٤٠ .

(٥) سورة الرعد : آية ١١ .

وفي نهاية هذه الخاتمة نوضح أن الأستاذ النورسي - رحمه الله - كان يحمل شهادة الإمامة والوعظ من بلده "نورس"^(١) . وكان يعيش على الاقتصاد والبركة . فمنذ نعومة أظفاره لم يقبل شيئاً من أحد ، حتى ولو كان زكاة أموالهم . وكان يعيش بمائة ياره " ربع ليره تركية " يومياً وهي تعادل ٢,٥ قرش مصرى .

وكان النورسي يشعر بأنه أعجز ، وأفقر ، وأكثر تقصيراً في جنب الله تعالى من أى أحد من الناس . ولو اجتمعت عليه الدنيا بالمدح ، والشاء لا يقتنع بأنه صالح وفاضل . كما أنه لم يكن سليل عائلة ذات جاه ، وحسب . وهذا لا ينقص من شأنه ، بل يزيده ذلك رفعة ، ومنزلة عند ربه ، ثم عند الناس إلى يوم القيامة ، والله حسيبنا وحسيبه ، ولا نزكى على الله من أحد^(٢) .

ظل بديع الزمان بين نفي ، وسجن ، وتحديد إقامة من عام ١٩٢٦م إلى عام ١٩٥٠م ، ألف خلالها رسائل النور ، شرح فيها الإسلام بأسلوب جذب فيه الشباب خاصة ، فتناقل الناس هذه الرسائل نسخاً باليد ، وأصبح قراء هذه الرسائل يسمون بطلاب النور . وقد بلغ عددهم الملايين حتى أصبحوا القوة الحقيقية في الجامعات ، وغيرها من المؤسسات الحكومية والأهلية ، وأصبح لهم المؤتمر السنوى الذى يدعى إليه العلماء الأفاضل من جميع أنحاء العالم .

إن دلائل أثر بديع الزمان سعيد النورسي فى إحياء الاتجاه الإسلامى المعاصر فى تركيا باهرة، لأنه بحق كان القدوة النافعة له ، ولمن بعده إلى أن تقوم الساعة ، وسيظل أثره الطيب المنبع الأصيل لدعوة الله تعالى . وعلى طلبة النور ، ومحبيه بديع الزمان النورسي أن يجددوا منهجه فى حياتهم بما لا يتعارض مع كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حتى يكونوا جديرين بورثة شيخهم المبجل ، تنظيمياً دقيقاً ، وتدبيراً عميقاً وفهماً شاملاً ، وانفتاحاً ذكياً ، وإدراكاً سليماً للتغيير الذى ظهر فى العالم الإسلامى بعد وفاة بديع الزمان ، لكى يجعلوه حياً بينهم ، ذلك لأن هذا المفكر

(١) بديع الزمان سعيد النورسي. المكتوبات ، ص ٨١ .

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي. المكتوبات ، ص ٤١١ . يتصرف .

الإسلامى المبدع لم يكن رهين مرحلة معينة ، ولا كان أسير زمن ماض بل عاش فى قلب القرآن الكريم الخالد وحده ، ووقف وراء موكب رسول الله صلى الله عليه وسلم . رحم الله شيخنا سعيد النورسى رحمة واسعة ، وأجزل مثوبته ، ورفع مقامه ، وأحقه بموكب الأنبياء والصدقيين والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

وكان من نتائج هذه الدراسة مايلى :

١- عندما يخلو العالم الإسلامى من الخلافة ، فلمن ينصرف دعاء الداعين حين يبتهلون إلى الله العلى القدير فى ظهر كل جمعة أن يشمل بعنايته وتوفيقه خليفة المسلمين .

وحينما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصبح الناس كالخراف الضالة فى ليلة شاتية بأرض مسبعة (كثيرة السباح) ، ماذا فعل المسلمون ؟ تركوا النبى صلى الله عليه وسلم قبل تجهيزه ، وانطلق أبو بكر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين إلى سقيفة بنى ساعدة حيث كان الأنصار يجتمعون لاختيار ولى لأمر الأمة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا المقام تم اختيار سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ليتولى أمر المسلمين .

٢- أرسل الله تعالى نبيه ورسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى البشرية ، وقد كانت فى ظلام دامس ، فحول ظلامها إلى نور ، وعداوتها إلى سلام واطمئنان ، واليوم إذا كنا نريد أن نحيا من جديد ، وأن نستعيد قوتنا ونبلغ عزتنا التى كنا فيها ، فعلينا أن نرجع إلى المعين الأول الذى أخذنا منه تلك القوة .

٣- لقد أخذ الغرب يتأثر بفكرة الخلافة الإسلامية ، ويريد أن يطبقها الآن على نفسه فى ظل النظام العالمى الجديد ، أى الدولة العالمية ، بمعنى أن تهيمن الكنيسة على الدولة العالمية هذه !!

ويكون رئيسها هو البابا ، وإن كل ما يقال عن عصبة أمم ثم هيئة أمم ، ثم حكومة عالمية ثم نظام عالمى ، ما هو إلا تنصير لنظام الخلافة

الإسلامية ، وتوسيع لمدى النفوذ بحيث يخضع له البشر . هذه الأحلام كلها لم تشعشع ولم تتلألأ إلا بسقوط الخلافة الإسلامية (١) .

٤- كانت دعوة بديع الزمان سعيد النورسي دعوة عالمية ، وقد أعلن ذلك على مسمع العالم كله حيث قال : " نعلن بأننا منتسبون إلى الجماعة الإسلامية .. فنحن حزب الله ونحن إخوة متضامنون .. خدّم للقرآن الكريم .. وجند الله وحزبه" (٢) .

٥- خاطبت رسائل النور جميع الطبقات كافة ، ابتداء من العوام، وانتهاء بالخواص بأسلوب سهل شيق ، ولم يترك النورسي أي موضوع دون أدلة ثبوتية راسخة ، وكان يخاطب فيها العقل والروح والوجدان .

٦- كان بديع الزمان سعيد النورسي يستلهم موضوع كل رسالة من رسائل النور من آية أو عدة آيات تتصدر الرسالة ، ثم تستهل بمقدمة مركزة تلخص الموضوع ، ثم تتدرج في الموضوع توضيحاً وتبسيطاً مع ضرب الأمثال لعرض الفكرة وتنويرها ، وكانت الرسائل تجعل من القارئ دارساً لها ولا تجعله مطالعاً وقارئاً فحسب .

٧- قارئ الرسائل يشعر ضمناً أنه يقرأ السيرة ، والتاريخ الإسلامي وفق المنهج القرآني والرسائل لا استطرادات كثيرة فيها ، ولا حشو في الكلام مطلقاً . ويكفي القارئ الكريم أن يقرأ الرسالة ويتذوقها فلا يحس بنفسه إلا وكأنه يقرأ شعراً رقيقاً ، لما فيها من الخيال الخصب والوصف البديع ، ويوجد في الرسائل أبيات من الشعر العربي يساق للاستشهاد ، وترد مقاطع في بعض الرسائل باللغة الفارسية ، ورغم أن الأستاذ من أصل كردي إلا أنه لم يخط سطرًا باللغة الكردية ، والتكرار في الرسائل كان نادراً ما يحس به أحد ، حيث إن الموضوع الذي يكرر يضاف إليه معنى جديد أو

(١) د. علي حسون. الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية. بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٣ ، ص٢٧٨.

(٢) مصطفى زكي العاشور ، مرجع سابق ، ص ٨٨.

يصاغ صياغة جديدة . ولا تخلو رسالة من الرسائل من ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو جانب من جوانب حياته .

٨- تناولت رسائل النور أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي اتخذت ذريعة للهجوم على أمهات الكتب من قبل أهل البدع، فدافعت عن تلك الأحاديث وأبرزت جوانب خفية منها بما يلجم أي معاند ومكابر ، أما المصطلحات الفقهية والأصولية فإنها ليست مجموعة في رسالة معينة ، وإنما مبنوثة في كثير من الرسائل وترد في مكانها ومقامها المناسب ، ولا يمكن أن يذكر شيء في الرسائل إلا ومعه أو قد سبقه برهان ودليل لإثباته ، سواء كانت تلك الأدلة شرعية نقلية أو أدلة عقلية أو فطرية، أو تحتوى على أمثلة مقنعة بحيث تدع القارئ بطمئن دائماً إلى جميع ما يرد في الرسائل .

٩- الجهاد عند سعيد النورسي مقدس ، لكنه لا يكون إلا ضد العدو الخارجي ، والصراع المسلح داخل البلاد الإسلامية يثير الفتن ، ويفرح الأعداء والمتربصين بالإسلام .

١٠- تحظى المرأة بمكانة سامية عند الأستاذ سعيد النورسي، ويتضح ذلك في تأكيده على أهمية الأسرة واستمرار سعادتها من خلال الثقة المتبادلة بين الزوجين ، والاحترام المتبادل والود الصادق بينهما، وهو مع كثرة النسل^(١) . ويهاجم التبرج وعدم الحجاب ، لأنه يثير هوى النفس ، ويطلق الشهوات من عقالها .

١١- استطاع بديع الزمان سعيد النورسي أن يشخص البذور السامة التي تحملها المدنية والعلمانية الغربية - التي لم تكن قد ظهرت نقائصها بعد - في بنيتها ، ثم يقدم الدواء الناجع لها .

١٢- كانت حركة التجديد لدى النورسي تستند إلى أساس تقوية أسس الإيمان ، لأن أفكار المسلم وحياته العملية .. مبنية على هذه الأسس .

١٣- إبراز سوء الاستعمال من قبل الحكام لعلماء الأمة عندما وقع عشرات العلماء على إسقاط الخلافة الإسلامية .

(١) محاضرة للدكتور إبراهيم خليل أحمد ، كلية التربية جامعة الموصل ، ص ٤ .

١٤- المسلم إنسان عامل في كل المواقع ، فمع أن النورسي لم يكن مكلفاً بالخدمة العسكرية لكونه من علماء الدين ، إلا أنه شكل ميليشيا مسلحة من طلابه ، وأصبح قائداً متطوعاً وحارب الروس في الحرب العالمية الأولى ، ودافع عن وطنه ، وجرح في الحرب ، ووقع في الأسر^(١) .

١٥- عندما كان يورد النورسي أدلته وبراهينه ، فلم يكن يخاطب المسلمين وحدهم ، بل كان يخاطب كل من يستعمل عقله ، وإن كان بعيداً عن الإيمان مما كان له الأثر الطيب في تحول مئات الآلاف من الشباب والمثقفين إلى بر الإيمان اليقيني .

١٦- كان يرى امتزاج العلوم الدينية ، والتي هي ضياء الوجدان ، والعلوم المدنية ، والتي هي نور العقل ، وأن افتراقهما يولد التعصب نتيجة الأولى ، والشبهة والتردد والحيلة نتيجة الثانية.

١٧- اهتم سعيد النورسي بالفرد المسلم ، والبيت المسلم ، وكان يرى أن من أسباب التخلف الذي يعوق المسلم عن الانطلاقة الحضارية، الشعور بالهزيمة النفسية ، التي أفضت إلى أن يرى المسلم نفسه صغيراً ضعيفاً ، وينتهي به الأمر إلى أن تهتز ثقته بذاته الإنسانية . فاستدعى ذلك فيه أن يؤكد على أن المسلم هو الأقوى في معرض الموجودات الكونية ، والأعلى شأنًا من بينها . ليتجاوز المسلم المهزوم داخلياً بهذا التصور هزيمته وينطلق في مسيرة البناء^(٢) .

١٨- إن العبادة هي التي تثبت العقائد وتصيرها حالاً وملكة ؛ إذ الأمور الوجدانية والعقلية إن لم تتمها وتر بها العبادة-التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي-تكن آثارها وتأثيراتها ضعيفة^(٣) .

(١) د. سعاد بيلديرم. العمل الإسلامي في تركيا ودور حركة النور. حلقة دراسية تحت عنوان - "بديع الزمان النورسي فكره ودعوته" ، نظمت بالتعاون بين المعهد العالمي للفكر الإسلامي /الأردن ، ومركز بحوث رسائل النور /تركيا ، ١٩٩٧ ، ص ٨.

(٢) د. عبد المجيد النجار. الإنسان في فكر النورسي. حلقة دراسية تحت عنوان " بديع الزمان النورسي: فكره ودعوته " ، نظمت بالتعاون بين المعهد العالمي للفكر الإسلامي / الأردن ، ومركز بحوث رسائل النور / تركيا ، ١٩٩٧ ، ص ٨.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، ص ١٤٧

المصادر والمراجع

المصادر :

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الأحاديث النبوية الشريفة .
- ٣- التوراة والأنجيل .
- ٤- أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد . فتح الباري بشرح صحيح البخارى . القاهرة ، توثيق وتحقيق طه عبدالرءوف سعد، دار الغد العربى، ط١، ١٩٩٢م.
- ٥- أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى . الفتح الربانى، بيروت، ترتيب أحمد عبدالرحمن البناء، دار إحياء التراث العربى ، ج٢٣ .
- ٦- بديع الزمان سعيد النورسى . إشارات الاعجاز فى ميطان الایجاز، القاهرة ترجمة احسان قاسم الصالحى ، شركة سوزلر للنشر، ط٢، ١٩٩٤ .
- ٧- بديع الزمان سعيد النورسى . الشعاعات . القاهرة ترجمة احسان قاسم الصالحى ، شركة سوزلر للنشر ، ط٢ ، ١٩٩٣ .
- ٨- بديع الزمان سعيد النورسى . صيقل الاسلام . القاهرة ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، شركة سوزلر للنشر ، ط٢ ، ١٩٩٥ .
- ٩- بديع الزمان سعيد النورسى . الكلمات . القاهرة ترجمة احسان قاسم الصالحى ، سوزلر للنشر ، ط٢ ، ١٩٩٢ .
- ١٠- بديع الزمان سعيد النورسى . اللمعات . القاهرة ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، شركة سوزلر للنشر ، ط٢ ، ١٩٩٣ .
- ١١- بديع الزمان سعيد النورسى . المثوى العربى النورى . القاهرة ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، شركة سوزلر للنشر ، ط١ ، ١٩٩٥ .
- ١٢- بديع الزمان سعيد النورسى . المكتوبات . القاهرة ترجمة احسان قاسم الصالحى ، شركة سوزلر للنشر ، ط٢ ، ١٩٩٢ .
- ١٣- بديع الزمان سعيد النورسى . الملاحق . القاهرة ترجمة احسان قاسم الصالحى ، شركة سوزلر للنشر ، ط٢ ، ١٩٩٥ .

- ١٤- بديع الزمان سعيد النورسي . مجموعة عصا موسى . بيروت
ترجمة الملا محمد زاهد الملا زكردي ، دار ابن زيدون ، ط ١ ، ١٩٩٧ .
- ١٥- سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي . سنن أبي داود .
بيروت ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة
العصرية، جدة، بدون تاريخ .
- ١٦- السلطان عبد الحميد الثاني. مذكراتي السياسية. بيروت، مؤسسة
الرسالة، ط ٥، ١٩٨٦م.
- ١٧- شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح
الانصاري القرطبي . تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن .
القاهرة، دار الغد العربي ، ط ٢، ١٩٨٨م ، ١٤ ، ١٩٨٨م .
- ١٨- د. محمد حرب . مذكرات السلطان عبد الحميد . دمشق ، دار
القلم، ط ٣ ، ١٩٩١م .
- ١٩- أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري .
صحيح مسلم بشرح النووي . القاهرة ، طبعة دار الريان
للنشر، ط ١، ١٩٨٧م .
- المراجع :
- ١- إبراهيم عامر وآخرون . موسوعة الهلال الاشتراكية .
القاهرة، مراجعة الطبعة الأولى كامل زهيرى ، دار الهلال ، ١٩٦٨م .
- ٢- إحسان قاسم الصالحى . بديع الزمان سعيد النورسي " نظرة عامة
عن حياته وآثاره " . استانبول ، دار سوزلر للنشر ، ط ٢ ، ١٩٩٦م .
- ٣- أحمد أمين . ضحى الإسلام . القاهرة ، مكتبة النهضة
المصرية، ج ١ ، ط ٩ ، ١٩٧٧م .
- ٤- أحمد أمين . فجر الإسلام . القاهرة ، مكتبة النهضة
المصرية، ط ١٥ ، ١٩٩٤م .
- ٥- أحمد زكى تفاعلة . حوار بين الفكر الدينى والفكر المادى .
بيروت ، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م .

- ٦- ابن جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الطحاوي . أصول العقيدة الإسلامية . بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٩٨٨م .
- ٧- د. أحمد شلبي . اليهودية . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١ ، ١٩٩٢م .
- ٨- أحمد عطية الله . القاموس الإسلامي . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ج١ ، ١٩٦٣م .
- ٩- أديب إبراهيم الدباغ . سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان . الكويت ، دار الوثائق ، ط١ ، ١٩٨٦م .
- ١٠- أديب إبراهيم الدباغ وآخرون . بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي . القاهرة ، سوزلر للنشر ، ١٩٩٣م .
- ١١- الأزهر الشريف . بيان للناس . القاهرة ، مطابع وزارة الأوقاف ، ج١ ، ١٩٩٣م .
- ١٢- الأزهر الشريف . بيان للناس . القاهرة ، مطابع وزارة الأوقاف ، ج٢ ، ١٩٩٤م .
- ١٣- اسيد إحسان قاسم . تكريات عن سعيد النورسي . القاهرة ، مركز الكتاب للنشر ، ١٩٩٧م .
- ١٤- أنور الجندي . السلطان عبدالحميد والخلافة الإسلامية . بيروت ، دار بن زيدون ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ١٥- أنور الجندي . الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي . القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٩٥م .
- ١٦- أنور الجندي . من سقوط الخلافة إلى مولد الصحوة . القاهرة ، بيت الحكمة ، ١٩٩٠م .
- ١٧- د. بطرس عبدالملك وآخرون . قاموس الكتاب المقدس . بدون تاريخ .
- ١٨- البهي الخولي . تذكرة الدعاة . القاهرة ، مكتبة التراث ، ١٩٨٧م .

- ١٩- بوعز عفرون . الحساب القومى . القاهرة ترجمة د. محمد محمود أبو غدیر ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ، ١٩٩٥م .
- ٢٠- بولس سلامة . الصراع فى الوجود . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٠م .
- ٢١- د. جلال يحيى . الاشتراكية والفكر الاشتراكي . القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٥م .
- ٢٢- د. جلال يحيى . الثورة والتنظيم السياسى . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦م .
- ٢٣- جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى " ابن منظور " . لسان العرب . القاهرة ، دار المعارف ، ج ١ ، بدون تاريخ .
- ٢٤- د. جمال عبد الهادى محمد وآخرون . أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ " الدولة العثمانية " . المنصورة ، دار الوفاء، ج ١ ، ط ٢ ، ١٩٩٥م .
- ٢٥- د. جمال عبد الهادى ، د. وفاء محمد رفعت . أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ، منهج كتابة التاريخ الإسلامى لماذا؟ وكيف؟ . المنصورة، دار الوفاء، ط ٣ ، ١٩٩٤م .
- ٢٦- د. جورج حنا . معنى الثورة . بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٧م .
- ٢٧- جورج سارتون وآخرون . الشرق الأوسط فى مؤلفات الأمريكيين . القاهرة ترجمة عمر فروخ ، أشرف على جمعه وتحريره مجيد خدورى ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٣م .
- ٢٨- جورج كيرك . موجز تاريخ الشرق الأوسط . القاهرة ترجمة عمر الاسكندراني ، مراجعة د. سليم حسن ، مركز كتب الشرق الأوسط، ١٩٥٧م .
- ٢٩- د. جورجى كنعان . وثيقة الصهيونية فى العهد القديم . بيروت ، دار النهار للنشر ، ط ٢ ، ١٩٨٢م .

- ٣٠- حسن البنا . مجموعة رسائل الإمام حسن البنا . الاسكندرية ، دار الدعوة ، ١٩٨٩ م .
- ٣١- حسن حسين جيلان . الصراع بين الاسلام والعلمانية .السعودية ترجمة كمال خوجة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط١ ، ١٩٩٢ م .
- ٣٢- د.حسن صبرى الخولى . سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين . القاهرة ، دار المعارف ، ج١ ، ١٩٧٣ م .
- ٣٣- د.حسين شحاته . اقتصاد البيت المسلم فى ضوء الشريعة الإسلامية . القاهرة ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، ١٩٩٠ م .
- ٣٤- درية عونى . عرب وأكراد خصام أم وئام . القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٩٣ م .
- ٣٥- د. راشد البراوى . المذاهب الاشتراكية المعاصرة " دراسة مقارنة " . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط١ ، ١٩٦٧ م .
- ٣٦- رفيق شاكر الننتشه . السلطان عبد الحميد الثانى وفلسطين . الرياض ، مطابع الشرق الأوسط ، ط٣ ، ١٩٨٥ م .
- ٣٧- روبير مانتران . تاريخ الدولة العثمانية . القاهرة ترجمة بشير السباعى ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ج١ ، ١٩٩٢ م .
- ٣٨- روبير مانتران . تاريخ الدولة العثمانية . القاهرة ترجمة بشير السباعى ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ج٢ ، ١٩٩٣ م .
- ٣٩- سالم على البهنساوى . الشريعة المفترى عليها . المنصورة ، دار الوفاء ، ط١ ، ١٩٩٥ م .
- ٤٠- د. سعد الدين السيد صالح . الماسونية فى أثوابها المعاصرة " البهائية - الروتارى - الليونز " . القاهرة ، دار الصفا ، ١٩٩٠ م .
- ٤١- د. سعد الدين السيد صالح . مدخل لدراسة الأديان والملل والنحل . الزقازيق ، دار الأرقم ، ١٩٩١ م .

- ٤٢- د. سمير رجب محمد . الفكر الأدبي والدينى عند الداعية
الإسلامى بديع الزمان سعيد النورسى . القاهرة ، شركة سوزلر
للتشر، ط٢، ١٩٩٥م .
- ٤٣- د. السيد محمد نوح . فقه الدعوة الفردية فى المنهج
الاسلامى . المنصورة ، دار الوفاء ، ط٣ ، ١٩٩٣م .
- ٤٤- د. صلاح الدين نافع . النظم الاقتصادية المعاصرة وتطبيقاتها
" دراسة مقارنة " . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨م .
- ٤٥- عبد الرحمن بن خلدون . مقدمة ابن خلدون . القاهرة ، دار
الشعب ، بدون تاريخ .
- ٤٦- د. عبد العزيز محمد الشناوى . الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى
عليها . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ج١ ، ١٩٩٢م .
- ٤٧- د. عبد العزيز محمد الشناوى . الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى
عليها . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ج٢ ، ط٢ ، ١٩٨٦م .
- ٤٨- عبد الكريم الخطيب . الله ذاتا وموضوعا . القاهرة ، دار الفكر
العربى ، ط٣ ، ١٩٨٣م
- ٤٩- د. عبد الكريم زيدان . أصول الدعوة . بيروت ، مؤسسة
الرسالة ، ط٢ ، ١٩٨٧م .
- ٥٠- ضابط تركى سابق . الرجل الصنم كمال أتاتورك . بيروت ، مؤسسة
الرسالة ، ط٤ ، ١٩٨٢م .
- ٥١- د. على حسون . الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية .
بيروت ، المكتب الاسلامى ، ط٣ ، ١٩٨٣م .
- ٥٢- على عزت بيجوفيتش . الإسلام بين الشرق والغرب .
الكويت ، مجلة النور ، ١٩٩٣م .
- ٥٣- د. على محمد حسن . التاريخ الأدبى للعصرين العثمانى
والحديث . القاهرة ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م .
- ٥٤- د. فرج محمد الوصيف . بديع الزمان سعيد النورسى " عصره
ودعوته " . المنصورة ، دار نور الإسلام ، ط١ ، ١٩٩٦م .

- ٥٥- فهمى الشناوى . مصرع الخلافة العثمانية . القاهرة ، المختار الإسلامى ، ١٩٩٥ م .
- ٥٦- فيليبس روبنس . تركيا والشرق الأوسط . قبرص ، ترجمة ميخائيل نجم طورى ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٣ م .
- ٥٧- لجنة الرواد والمشاهير . إشراف د. رعوف سلامة موسى . مصطفى كمال أتاتورك . الاسكندرية ، مراجعة وتقديم فتحى رضوان ، دار ومطابع المستقبل ، ١٩٨٣ م .
- ٥٨- مالك بن نبي . الظاهرة القرآنية . بيروت ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، تقديم محمد عبدالله دراز ، محمود محمد شاكر ، دار الفكر المعاصر ، ط٣ ، ١٩٨٧ م .
- ٥٩- مالك بن نبي . مشكلة الثقافة . بيروت ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٣٩١ هـ .
- ٦٠- ماهر نسيم . الشيوعية والصهيونية . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٩ م .
- ٦١- د. محسن عبد الحميد . النورسى متكلم العصر الحديث . القاهرة ، سوزلر ، ١٩٩٤ م .
- ٦٢- محمد الخير عبد القادر . نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية . القاهرة ، مكتبة وهبة ، ط١ ، ١٩٨٥ م .
- ٦٣- محمد الصايم . شهداء الدعوة الإسلامية فى القرن العشرين . القاهرة ، دار الفضيلة مراجعة وتقديم محمد عبدالله السمان ، ١٩٩٢ م .
- ٦٤- د. محمد السيد محمد يوسف . التمكين للأمة الإسلامية فى ضوء القرآن الكريم . القاهرة ، دار السلام ، ط١ ، ١٩٩٧ م .
- ٦٥- د. محمد حرب . السلطان عبدالحميد الثانى آخر السلاطين العثمانيين الكبار . دمشق ، دار القلم ، ط١ ، ١٩٩٠ م .
- ٦٦- د. محمد حرب . المسلمون فى آسيا الوسطى والبلقان . القاهرة ، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى ، ط١ ، ١٩٩٣ م .

- ٦٧- د. محمد حرب . العثمانيون فى التاريخ والحضارة . القاهرة، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى ، ١٩٩٤م .
- ٦٨- د. محمد حسين كامل . الحكومة الإسلامية . القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م .
- ٦٩- محمد داود . الإسلام والزمن المقبل . القاهرة ، دار المنار، ط١، ١٩٩١م .
- ٧٠- د. محمد شفيق . البحث العلمى " الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية " . اسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٩٣م .
- ٧١- د. محمد عبدالله دراز . الدين . بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان . الكويت ، دار القلم ، ط٢ ، ١٩٧٠م .
- ٧٢- د. محمد على الزغبى . الماسونية فى العراق . بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ، ١٩٨٨م .
- ٧٣- محمد فؤاد عبدالباقى . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . القاهرة ، دار الحديث ، بدون تاريخ .
- ٧٤- محمد قطب . قبسات من الرسول . القاهرة ، دار الشروق، ط٩، ١٩٨٩م .
- ٧٥- مصطفى الزين . نذب الأناضول . لندن ، رياض الريس للكتب والنشر ، ط١ ، ١٩٩١م .
- ٧٦- د. مصطفى حلمى . الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية . الاسكندرية ، دار الدعوة ، ط٢ ، ١٩٨٩م .
- ٧٧- مصطفى زكى العاشور . بديع الزمان سعيد النورسى " نظرة عامة عن حياته وآثاره " . المانيا ، دار المحراب ، بدون تاريخ .
- ٧٨- مصطفى محمد . الحركة الإسلامية الحديثة فى تركيا . المانيا الغربية ، ط١ ، ١٩٨٤م .
- ٧٩- الندوة العالمية للشباب الإسلامى . الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة . الرياض ، مطبعة سفير ، ط٢ ، ١٩٨٩م .

- ٨٠- وليام غاي كار . أحجار على رقعة الشطرنج . بيروت ترجمة سعيد جزائري ، مراجعة وتحرير م . بدوي ، دار النفائس ، ط١١، ١٩٩٠م .
- ٨١- يحيى أبو بكر ، كمال متولى . حقيقة السلام . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، بدون تاريخ .
- ٨٢- د . يحيى عويس . الاشتراكية . القاهرة ، دار المعارف ، مجموعة اخترنا لك "٢١" الشهرية ، بدون تاريخ .
- ٨٣- د . يوسف القرضاوى . الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا . القاهرة ، مكتبة وهبة ، ط٥ ، ١٩٩٣م .
- ٨٤- د . يوسف القرضاوى . شمول الإسلام . القاهرة ، مكتبة وهبة ، ط٢ ، ١٩٩٥م .

المقالات :

- ١- إحسان قاسم الصالحى . هذا التحقيق . تحقيق فى كليات رسائل النور " إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز " . القاهرة ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، شركة سوزلر للنشر ، ط٢ ، ١٩٩٤م .
- ٢- د . أحمد عبدالرحيم السايح . سعيد النورسى الرجل والدور . مقال فى " بديع الزمان سعيد النورسى فى مؤتمر عالمى حول تجديد الفكر الإسلامى " . القاهرة ، سوزلر للنشر ، ١٩٩٢م .
- ٣- عبدالرحمن بن عبدالخالق . أصول الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى . مقال فى المشكاة "بحوث فصلية شرعية" . هولندا ، مركز المشكاة للبحوث والدراسات الشرعية ، الجزء الثانى ، ١٤١٦هـ .
- ٤- د . عبداللطيف بن محمد الحميد . سقوط الدولة العثمانية، دراسة تاريخية فى العوامل والأسباب ، مقال فى مجلة السدارة ، الرياض ، دار الملك عبدالعزيز ، العدد ٣، ١٣١٧هـ .
- ٥- د . محسن عبدالحميد . مقدمة . كليات رسائل النور " إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز " . القاهرة ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، شركة سوزلر للنشر ، ط٢ ، ١٩٩٤م .

- ٦- محمد فتح الله كولن . تقديم . المنشوى العربى النورى . القاهرة
ترجمة أورخان محمد على ، شركة سوزلر للنشر ، ط١ ، ١٩٩٥م .
٧- وكالات الأنباء . غضب عربى بعد القرار الأمريكى حول القدس .
تعليق فى جريدة أخبار اليوم المصرية ، العدد ٢٧٤٥ ، ١٩٩٧م .
المراجع الأجنبيةه :

1- NECMEDDIN SAHINER , “ SON SAHITLER 1 “ , YAY
ISTANBUL, 1986 .

2- NECMEDDIN SAHINER , “ SON SAHITLER 2 “ , YAY
ISTANBUL 1986.

3- NECMEDDIN SAHINER , “
SON SAHITLER 1986. , YAY , ISTANBUL, 3

4- NECMEDDIN Sahiner, Bilinmeyen Taraflariyla Nursi,
Yay, ISTANBUL, 1991.

5- Sadik ALBayeak : Son dauir Osmamli Ulemasi ISTambul
1987 , C.4 .

محتويات الدراسة

| | |
|-----|--|
| ١ | مقدمة |
| ١١ | الباب الأول : مقدمات ظهور بديع الزمان سعيد النورسي |
| ١٢ | مقدمة : |
| ١٨ | الفصل الأول : الدولة العثمانية في عهدها الأخير |
| ١٩ | ١- ضعف الدولة |
| ٢٩ | ٢- الصراع بين الفكر الغربي الوافد والفكر الإسلامي... الفصل الثاني : المجتمع العثماني بين أواخر عهد الدولة وأوائل عهد الجمهورية . |
| ٥١ | مقدمة : |
| ٥٣ | ١- البيئة الفكرية للمجتمع العثماني |
| ٥٨ | ٢- البيئة العلمية في المجتمع العثماني الفصل الثالث : آثار إلغاء الخلافة العثمانية ، وقيام الجمهورية التركية على تغييب الفكر الإسلامي في تركيا . |
| ٧٥ | مقدمة : |
| ٧٥ | ١- القرارات التاريخية الخاصة بإلغاء الخلافة العثمانية ، وقيام الجمهورية التركية |
| ٨٠ | ٢- مبادئ الجمهورية التركية |
| ٨٧ | ٣- موقع مظاهر الدين الإسلامي في هذه المبادئ وظهور المصلحين |
| ١٠٥ | الباب الثاني : حياة بديع الزمان سعيد النورسي وتأثيره الفصل الأول : الإطار الاجتماعي والديني الذي ظهر فيه |
| ١٠٦ | بديع الزمان سعيد النورسي |
| ١٠٦ | ١- شرق الأناضول بين أواخر الدولة العثمانية وقيام الجمهورية التركية |

- ١١٤ -٢ العلوم الدينية فى شرق الأناضول
- ١٣٥ -٣ التيارات الفكرية السائدة فى الأناضول
- الفصل الثانى : حياة النورسى السياسية والدعوية .
- ١٤٦ -١ نشأته ودراسته
- ١٦١ -٢ موقف النورسى من تحية الإسلام عن الحياة ...
- ١٦٧ -٣ وفاة النورسى
- الفصل الثالث : الاطار الفكرى والدعوى لبديع الزمان
سعيد النورسى.
- ١٨٦ -١ أعمال بديع الزمان سعيد النورسى
- ٢٠١ -٢ اتجاهات النورسى الدينية ومنهجه لتغيير المجتمع
التركى.....
- ٢١٧ -٣ مدرسة وتلامذة النورسى
- الباب الثالث : رسائل بديع الزمان سعيد النورسى .
- ٢٣٦ الفصل الأول : التعريف برسائل النور
- ٢٣٧ -١ مصدر رسائل النور
- ٢٣٩ -٢ خصائص رسائل النور
- ٢٤٦ -٣ مؤلفات النورسى
- ٢٦٨ الفصل الثانى : محتويات رسائل النور
- ٢٧٠ -١ عقيدة
- ٢٨٥ -٢ عبادات
- ٢٨٨ -٣ سياسة
- ٢٩٠ -٤ فقه - رد الشبهات - الاجتهاد
- ٢٩٣ -٥ بلاغة - أدب - شعر
- ٢٩٤ الفصل الثالث : اتجاهات رسائل النور
- ٢٩٥ -١ تربية الفرد المسلم لإنقاذ إيمانه
- ٣٠٠ -٢ عفة المجتمع وطهارته
- ٣٠٤ -٣ المحافظة على سلامة المجتمع

| | |
|---|-----|
| الخاتمة: تأثير بديع الزمان سعيد النورسي في المجتمع التركي المعاصر | ٣١٢ |
| المصادر والمراجع | ٣٣٥ |
| محتويات الدراسة | ٣٤٥ |